

التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية

إعداد

ديما غازي رمضان رمضان

المشرف

الدكتور سليمان الدقور

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التفسير

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه المسطرة من الرسالة
التوقيع..... التاريخ.....

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الثاني - ٢٠١٤

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية)
وأجيزت بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠١٣.

أعضاء لجنة المناقشة:

(التوقيع)

.....


الدكتور سليمان محمد الداكور/مشرفاً
أستاذ مشارك-الجامعة الأردنية

.....


الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري/عضواً
أستاذ-الجامعة الأردنية

.....


الدكتور جهاد فيصل نصيرات/عضواً
أستاذ مشارك-الجامعة الأردنية

.....


الدكتور أحمد إسماعيل نوفل/عضواً خارجياً
أستاذ-الجامعة الأردنية

تعمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع:..... التاريخ:.....


نموذج ترخيص

أنا الطالبة: ديماغازي رمضان رمضان أمنح الجامعة الأردنية و /
أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و /
أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية
أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية .

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي
غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو
بعض ما رخصته لها.

اسم الطالبة: ديماغازي رمضان رمضان

التوقيع: ديماغازي رمضان رمضان

التاريخ: ١٤ / ١ / ١٤ .

التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية

إعداد

ديما غازي رمضان رمضان

المشرف

الدكتور سليمان الدقور

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التفسير

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه المسطرة من الرسالة
التوقيع..... التاريخ.....

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الثاني - ٢٠١٤

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية)
وأجيزت بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠١٣.

أعضاء لجنة المناقشة:

(التوقيع)

.....

الدكتور سليمان محمد الدقور/مشرفاً
أستاذ مشارك-الجامعة الأردنية

.....

الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري/عضواً
أستاذ-الجامعة الأردنية

.....

الدكتور جهاد فيصل نصيرات/عضواً
أستاذ مشارك-الجامعة الأردنية

.....

الدكتور أحمد إسماعيل نوفل/عضواً خارجياً
أستاذ-الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع:..... التاريخ:.....

نموذج ترخيص

أنا الطالبة: ديماغازي رمضان رمضان أمنح الجامعة الأردنية و /
أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و /
أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية
أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية .

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي
غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو
بعض ما رخصته لها.

اسم الطالبة: ديماغازي رمضان رمضان

التوقيع: ديماغازي رمضان رمضان

التاريخ: ١٤ / ١ / ١٤٠٤ .

الإهداء

إلى الوالدين الحبيبين، نبع العطاء المتدفق، قدمتما لي بلا حدود ومازلتما، لولاكما لما خرجت هذه الرسالة إلى النور.. أرجو رضاكما

إلى الزوج الوفي والحنون والمعين والصديق، كنت لي خير رفيق وستبقى إلى الجنة بإذن الله.. جزاك الله خيراً -والداك- لما تحملت وصبرت..

إلى عائلتي الطيبة وعمتي منى، كنتم ومازلتم خير إخوة وخير أخوات.. أشكركم لما تحملتموه من مشقة في رعاية أطفالي.

إلى قرتي العين.. وفرحة الروح... كنان وريان.. أسأل الله لكما أن تكونا من أهل القرآن حتى تنالا الجنان..

إليكم جميعاً أهدي هذا العمل

شكر وتقدير

أرفع إلى مقام شيخي الفاضل الدكتور سليمان الدقور عظيم الشكر والتقدير على ما أولاني من اهتمام وعناية، وما قدم من نصح وإرشاد في كتابة هذه الرسالة، وتحفيز للهمة على طلب العلم طيلة أيام الدراسة، فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء..

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام الذين تشرفت بالتلمذ على أيديهم ، فضيلة الدكتور أحمد نوفل حفظه الله، وفضيلة الدكتور أحمد شكري حفظه الله، والأب الحنون الدكتور جهاد نصيرات حفظه الله؛ لما تكبدوه من جهد في قراءة هذه الرسالة وما قدموه من توجيهات نافعة مفيدة..

وأشكر كل من أسدى إلي نصيحة وكل من قدم إلي يد العون في إخراج هذه الرسالة وأخص بالذكر د. محمد ريان، ود. نماء البناء، ود. نداء زقزوق، ود. روضة فرعون ورفيقتي العلم إسراء العودات وصفا نصر..

فهرس المحتويات	
الصفحة	الموضوع
ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	فهرس المحتويات
ز	فهرس الجداول
ز	فهرس الأشكال والمخططات
ح	الملخص
١	المقدمة
٧	الفصل الأول: مقدمات بين يدي الدراسة
٧	المبحث الأول: التعريف بعلم المناسبات
٧	المطلب الأول: المناسبة في اللغة والاصطلاح
١٠	المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات
١٤	المطلب الثالث: آراء العلماء في علم المناسبة
١٩	المبحث الثاني: التعريف بسورة النساء
١٩	المطلب الأول: تقديم للسورة
١٩	المطلب الثاني: اسم السورة
٢٠	المطلب الثالث: فضل السورة
٢٣	الفصل الثاني: تناسب سورة النساء مع غيرها من السور القرآنية
٢٤	المبحث الأول: علاقة سورة النساء بالسور المتحدة معها في الافتتاح
٢٤	المطلب الأول: النداء وتناسب مضمونه مع موضوعات سورة النساء
٢٨	المطلب الثاني: تناسب السور المفتحة بالنداء مع سورة النساء
٤٦	المبحث الثاني: علاقة سورة النساء بالسور المجاورة لها
٤٦	المطلب الأول: تناسب سورة النساء مع سورة آل عمران
٥٢	المطلب الثاني: تناسب سورة النساء مع سورة المائدة
٥٥	المطلب الثالث: التناسب بين السور الثلاث
٥٧	المبحث الثالث: علاقة سورة النساء بالسور المشابهة لها في الموضوعات
٥٧	المطلب الأول: علاقة السورة بغيرها في موضوع العدل
٦٣	المطلب الثاني: علاقة السورة بغيرها في موضوع التيامي
٦٨	المطلب الثالث: علاقة السورة بغيرها في موضوع النساء
٧٨	المطلب الرابع: علاقة السورة بغيرها في موضوع الاستضعاف
٨٨	المطلب الخامس: علاقة السورة بغيرها في موضوع الجهاد ودور المنافقين فيه
٩٧	المطلب السادس: علاقة السورة بغيرها في موضوع أهل الكتاب
١٠٢	المطلب السابع: علاقة السورة بغيرها في موضوع المال
١٠٩	الفصل الثالث: التناسب بين محور السورة وموضوعاتها وآياتها
١٠٩	المبحث الأول: التناسب بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها
١٠٩	المطلب الأول: مقاصد السورة ومحورها
١١٦	المطلب الثاني: التناسب بين اسم السورة ومحورها
١٢٥	المطلب الثالث: تناسب الموضوعات مع محور السورة
١٤٠	المبحث الثاني: التناسب بين الآيات وروابطها

١٤٢	المطلب الأول: تناسب الآيات المكملة لبعضها
١٤٩	المطلب الثاني: تناسب الآيات المستقلة عن الآيات السابقة لها
١٦٤	المبحث الثالث: التناسب بين مقاطع الآية الواحدة
١٦٥	المطلب الأول: تناسب الموضوع في الآية الواحدة
١٨١	المطلب الثاني: تناسب الفاصلة مع موضوع الآية
١٨٨	الفصل الرابع: التناسب في دلالات الألفاظ والأساليب مع محور السورة
١٨٨	المبحث الأول: تناسب دلالات الألفاظ مع محور السورة
١٩٠	المطلب الأول: تناسب الألفاظ التي لم يشتق من جذرها سواها مع محور السورة
١٩٦	المطلب الثاني: تناسب الألفاظ التي اشتق من جذرها سواها مع محور السورة
٢٠٢	المبحث الثاني: تناسب الأساليب البيانية مع محور السورة
٢٠٣	المطلب الأول: تناسب أسلوب الإنشاء الطلبي مع محور السورة
٢١٠	المطلب الثاني: تناسب أساليب الخبر مع محور السورة
٢١٤	المبحث الثالث: تناسب فواصل الآيات مع محور السورة
٢١٥	المطلب الأول: تناسب الفواصل المنتهية بأسماء الله الحسنى مع محور السورة
٢٢٣	المطلب الثاني: تناسب الفواصل المنتهية بغير أسماء الله الحسنى مع محور السورة
٢٢٧	الخاتمة
٢٢٩	قائمة المصادر والمراجع
٢٣٩	الملخص باللغة الإنجليزية Abstract

فهرس الجداول		
الصفحة	العنوان	رقم الجدول
٥٦	التناسب بين سورة آل عمران والنساء والمائدة	١
١٣٨	التناسب بين الافتتاح والختم في سورة النساء	٢
٢١٥	الفواصل التي جاءت بأسماء الله الحسنى	٣
٢٢٣	الفواصل غير المنتهية بأسماء الله الحسنى	٤

فهرس الأشكال والمخططات		
الصفحة	العنوان	رقم المخطط
٤٥	علاقة سورة النساء بالسور المفتحة بـ (يا أيها)	١
٦٢	علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن العدل	٢
٦٧	علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن البيتامى	٣
٧٧	علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن النساء	٤
٨٧	علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن الاستضعاف	٥
٩٦	علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن الجهاد	٦
١٠١	علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن أهل الكتاب	٧
١٠٧	علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن المال	٨
١٣٩	موضوعات سورة النساء	٩
١٦٣	تقسيم الآيات من حيث الارتباط	١٠

التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية

إعداد

ديما غازي رمضان رمضان

المشرف

الدكتور سليمان الدقور

الملخص

إن علم المناسبات يُسهم في توثيق علاقة الدارسين بالقرآن الكريم؛ فإنه علم اجتهادي يعتمد على طول التأمل لإدراك الروابط حتى يُسفر عن كنوز ولفقات تؤثر في النفس، وتقوّم السلوك، وتؤدي الغرض من إنزال القرآن وهو هداية البشر إلى ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم.

من هنا تبرز أهمية هذه الدراسة وقيمتها والتي تناولت موضوع التناسب في سورة النساء؛ لتكشف عن إعجازها وتبين وحدتها الموضوعية في جميع آياتها.

كما أنها جاءت تكشف عن علاقاتها بين سور القرآن، سواء أكانت تلك التي اتحدت معها في الافتتاح، أم تلك التي تجاوزت معها، أم التي تشابهت معها في الموضوعات.

وبينت الدراسة ارتباط سورة النساء بعضها ببعض في نظمها وموضوعاتها وترتيب آياتها وجملها وألفاظها والأساليب البيانية التي جاءت فيها.

وقد حاولت الدراسة أن تثبت وجود الروابط والعلاقات بين موضوعات السورة مهما تطرقت إلى موضوعات متباعدة، ومن تجليات إعجاز القرآن تجلياته في وحدة موضوعاته وتناسب آياته .

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وساق للقرآن عقولاً تتدبره وأناساً يتمثلونه؛ ليقيموا به العدل وليتبروا ما علا الظلمُ تنبيراً، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الحق بإذنه وسراجاً منيراً، أما بعد:

إن هذا القرآن العظيم، الذي نزل على خاتم المرسلين ρ ، لهو المعجزة الخالدة على مر الزمان، وقد أفنى العلماء أعمارهم في خدمة هذا القرآن دراسة وتحليلاً وتفسيراً؛ طلباً لأحسن الفهم وبغية الوصول إلى الأجر.

إن إعجاز القرآن كان في بلاغته وبيانه وحسن رصفه وإحكام آياته وتماسك سوره، وقد انبثق عن هذا العقد الفريد والنظم البديع علم المناسبات بين سور القرآن وآياته.

لأجل ذلك فإن هذه الدراسة تتناول موضوعاً بالغ الأهمية، يبحث الصلة بين الآيات في السورة الواحدة بعضها ببعض، حيث تبين أنواع هذه الصلات و المناسبات وأبرز ملامحها في هذه السورة التي لها أولوية البحث؛ لما تحويه من موضوعات اجتماعية معاصرة نحن بأمس الحاجة لتفعيل الحس القرآني فيها، خاصة الموضوعات التي تتعلق بالمرأة التي زعم البعض أن الإسلام قد انتقص حقها وجعلها في مرتبة دون مرتبة الرجل؛ وإن آيات كالتي نتحدث عن تعدد الزوجات وقوامة الرجل على المرأة وميراث المرأة في سورة النساء التي جاءت بهذا الاسم لتعلي قدر النساء، فيه رد حاسم على هؤلاء.

وقد جاء العنوان (التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية) لكي يعكس أن محل هذه الدراسة هو الكشف عن العلاقة الوطيدة ما بين موضوعات هذه السورة وما تشكله باجتماعها من وحدة واحدة ستكشف هذه الدراسة كُنْهها.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية علم المناسبات الذي يعين على فهم القرآن الكريم فهماً دقيقاً قابلاً لتنزيل مسائله على أرض الواقع. كما أن في هذه الدراسة رداً على الدعوات التي تشكك في توقيفية ترتيب سور القرآن الكريم.

مشكلة الدراسة:

إن الناظر في سورة النساء إذا أراد أن يتخذ دستوراً متكامل البنود في موضوع ما؛ كالإتم أو المرأة أو الميراث فلا يستطيع لذلك سبيلاً، وذلك لما يلحظ من الانتقالات التي تبدو مفاجئة بين موضوع وآخر؛ لذلك جاءت هذه الدراسة تجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ما أبرز ملامح التناسب في سورة النساء؟

٢- ما أثر أوجه التناسب المتنوعة في تجلية دلالات الآيات، وتجليّة الوحدة الموضوعية في

السورة؟

٣- بماذا امتازت سورة النساء عن غيرها من السور؟ (شخصية السورة وملامحها).

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال:

١- إبانته لقيمة التناسب وأثره في بيان معاني القرآن الكريم.

٢- توضيحها لدور التناسب في فهم سورة النساء وتقديم تطبيقات عملية له في السورة.

٣- تناولها الموضوعات الواردة في السورة بشكل يخدم احتياجات البحث العلمي لمعاصر؛

حيث يجتمع علم المناسبات في ذلك مع علم التفسير الموضوعي.

أهداف الدراسة:

- ١- الكشف عن أنواع التناسب في سورة النساء.
- ٢- إثبات الوحدة الموضوعية للسورة، وأثر التناسب في ترابط موضوعاتها.
- ٣- إثبات التناسب بين سورة النساء والصور المجاورة لها.
- ٤- إثبات التناسب بين سورة النساء والصور القرآنية.
- ٥- إثبات التناسب بين سورة النساء والصور المتحدة معها في المطلع.
- ٦- بيان أثر أنواع التناسب الوارد في السورة في الاستعمال القرآني للمفردات والأساليب والفواصل القرآنية في تعزيز محور السورة وترسيخ معناه.

الدراسات السابقة:

بعد البحث لم تقف الباحثة على دراسة تناولت التناسب في سورة النساء على وجه الخصوص، وإنما هنالك دراسات شملت سوراً أخرى، إلا أن البحث يستلزم الاعتماد على الكتب والدراسات التي درست علم المناسبات والوحدة الموضوعية عموماً، والكتب التي درست سورة النساء دراسة تحليلية أو موضوعية.

ومن الدراسات التي تحدثت عن التناسب والوحدة الموضوعية ويمكن الاستفادة منها في الجانب التطبيقي:

- ١- النبأ العظيم لمحمد دراز.
- ٢- التناسب البياني في القرآن لأحمد أبو زيد.
- ٣- في مناسبات سور القرآن للطالب محمد يعقوب.

أما الدراسات التي تناولت سورة النساء فمنها:

١- التفسير التحليلي لسورة النساء لإبراهيم خليفة

٢- المجتمع المدني كما تنظمه سورة النساء لمحمد المدني.

وقد جاءت الدراسة تطبيقاً عملياً لسورة كاملة متكاملة بكل جوانب ملامح التناسب وأنواعه لتطبيقها على سورة النساء، وتجليه المعنى الدلالي والوحدة الموضوعية فيها بكامل جوانبها بشكل مختلف عن كل الدراسات المتعلقة بالتناسب، والتي جاءت بشكل نظري أكثر منها بالشكل التطبيقي. ولا تزعم الباحثة أنها أحاطت بكل تفصيلات السورة، فإن هذا صعب وشائك لطول آياتها وتشعب موضوعاتها، وإنما اقتصر على أهم الموضوعات التي تتلاءم وأهداف الدراسة.

منهج البحث:

تقوم هذه الدراسة على:

- المنهج الاستقرائي الوصفي من خلال جمع المادة العلمية من مظانها وذلك للوقوف على معنى التناسب وأنواعه وما قاله أهل التخصص ومن ثم عرض مقولاتهم.
- المنهج التحليلي الاستنباطي: حيث سيتم تحليل آيات سورة النساء بناءً على ما قاله أهل التفسير فيها، بعد النظر فيه ومقارنة الأقوال والترجيح بينها للوصول إلى أحسن الفهم في آيات الموضوع الواحد، ومن ثم استنباط التناسب بين آيات السورة وموضوعاتها وأساليبها المتنوعة التي جاءت بها .

وقد رأَت الباحثة أن تكون الدراسة على النحو التالي:

الفصل الأول: مقدمات بين يدي الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بعلم المناسبات.

المبحث الثاني: التعريف بسورة النساء.

الفصل الثاني: التناسب بين سورة النساء والسور القرآنية

المبحث الأول: علاقة سورة النساء بالسور المتحدة معها في الافتتاح.

المبحث الثاني: علاقة سورة النساء بالسور المجاورة لها (آل عمران، المائدة).

المبحث الثالث: علاقة سورة النساء بالسور المشابهة لها في الموضوعات.

الفصل الثالث: التناسب بين محور السورة وموضوعاتها وآياتها.

المبحث الأول: التناسب بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها.

المبحث الثاني: التناسب بين الآيات وروابطها.

المبحث الثالث: التناسب بين مقاطع الآية الواحدة.

الفصل الرابع: التناسب في دلالات الألفاظ والأساليب مع محور السورة.

المبحث الأول: التناسب في دلالات الألفاظ.

المبحث الثاني: التناسب في الأساليب البيانية

المبحث الثالث: التناسب في الفواصل القرآنية

والخاتمة جاء فيها أبرز النتائج وبعض التوصيات

وقد تضمنت الدراسة خرائط ذهنية وجداول في بعض فصولها، تظهر العلاقات الداخلية والخارجية

للسورة وذلك لزيادة البيان والتوضيح.

والله الموفق

الفصل الأول

مقدمات بين يدي الدراسة

المبحث الأول: التعريف بعلم المناسبات

المطلب الأول: المناسبة في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات

المطلب الثالث: آراء العلماء في علم المناسبة

المبحث الثاني: التعريف بسورة النساء

المطلب الأول: تقديم للسورة

المطلب الثاني: اسم السورة

المطلب الثالث: فضل السورة

الفصل الأول: مقدمات بين يدي الدراسة

المبحث الأول: التعريف بعلم المناسبات

المطلب الأول: المناسبة في اللغة والاصطلاح

المناسبة (لغة): "اتصال الشيء بالشيء، حيث إن النسيب سمي كذلك لاتصاله وللاتصال به" (١) وهي " من نَسَبَ والنسب هو نسب القرابات وهو أحد الأنساب وهي في الآباء خاصة وتكون إلى البلاد وتكون في الصناعة. ويقال رجل نسيب أي ذو حَسَبٍ ونَسَبٍ. ويقال: أنسَبَتِ الريح أي اشتدت. ويقال: هذا الشعر أنسب أي أرق نسيباً " (٢) أي أقرب إلى رقة شعراء الغزل، و" نقول: ليس بينهما مناسبة أي مُشاكلة". (٣)

" النسيب والنيسبان: طريق مستدق واضح كطريق النمل والحية وهو طريقة واضحة". (٤)

" ويقال خط منسوب أي: ذو قاعدة". (٥)

"والمعنى المحوري لجذر نسب بجميع تصريفاته هو: اتصال بلطف (دقة) وامتداد". (٦)

وهذا الاتصال قد يكون حسيّاً كاتصال الطريق وصلة القرابة، وقد يكون معنوياً كرقعة شعر النسيب وسرعة الريح، وكأنها تربط بين مكانين بانتقالها بينهما.

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا(ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، مادة نسب

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، مادة نسب

(٣) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، مادة نسب

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠ هـ)، العين، مادة نسب

(٥) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة نسب

(٦) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠١٢، ص ٢٢٥٢

هذه المعاني اللغوية التي وردت في المعجمات تدور على: القرابة، والمشاكل، والقاعدة، والترابط، والتشابه، وكلها توحى بمعاني الاتصال والوحدة والاجتماع والاتساق، وهذا ينقلنا للحديث عن معنى علم المناسبة في الاصطلاح.

علم المناسبة اصطلاحاً:

اعتنى العلماء والمفسرون بهذا العلم، ونجد الكثير منهم قديماً وحديثاً قد اهتموا بعلم المناسبة فمنهم من أفرده بالتأليف: كأبي جعفر بن إبراهيم الثقفي في كتابه البرهان في ترتيب سور القرآن ونظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي، ومنهم من اهتم به في تفسيره كالرازي وأبي السعود والمراعي وغيرهم، ومنهم من جعله باباً في كتب علوم القرآن كالزركشي والسيوطي وصبحي الصالح وغيرهم.^(١)

(١) من أهم المؤلفات في علم المناسبات:

- أ. علماء خصوا المناسبة بالتأليف ومنهم:
- أبو جعفر بن إبراهيم بن الزبير : البرهان في ترتيب سور القرآن.
 - البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآي والسور.
 - السيوطي : أ. تناسق الدرر
 - ب. مراصد المطالع
 - عبد الحميد الفراهي : دلائل النظام
 - محمد ظاهر بن غلام : سمط الدرر.
 - ب. ومن الذين ضمنوا تفاسيرهم لطائف علم المناسبات:
 - الزمخشري : الكشاف
 - ابن النقيب الحنفي : التحرير والتحبير
 - أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطي : التسهيل لعلوم التنزيل
 - أبو حيان : البحر المحيط.
 - محمد رشيد رضا : المنار.
 - محمد الطاهر ابن عاشور : التحرير والتنوير.
 - وهبه الزحيلي : التفسير المنير .
 - ومن الذين كتبوا في علم المناسبات ضمن مؤلفات علوم القرآن:
 - أبو بكر بن العربي : أحكام القرآن - سراج المريدين.
 - العز بن عبد السلام : مجاز القرآن
 - كمال الدين الزمكاني : البرهان في إعجاز القرآن
 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن
 - السيوطي : الإتقان في علوم القرآن.
 - مصطفى مسلم محمد : مباحث في التفسير الموضوعي.

وقد عرفوا علم المناسبة في بعض كتبهم ومن هؤلاء: أبو بكر العربي في كتابه سراج المريدين فذكر أن: "علم المناسبة علم عظيم ترتبط فيه آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني".^(١)

أما البقاعي فذكر أن علم المناسبات: "علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه وبما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كُحْمَة النسب، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال".^(٢)

أما السيوطي فقد عرّف علم المناسبات في الإتيان فقال: "إن علم المناسبات في القرآن مرجعه في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلّة والمعلول والنظيرين والضدين، ومنها ما هو ظاهره الارتباط ومنها ما هو غير ظاهر الارتباط".^(٣)

ومن المحدثين يعرف د. مصطفى مسلم المناسبة فيقول: "بأنها الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها، وعلم المناسبات بين السور من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن، وتذوق لنظمه وبيانه المعجز وإلى معايشة جو التنزيل".^(٤)

(١) كلام ابن العربي من سراج المريدين نقلا عن كتاب: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ط ١، (١٣٧٦، ١٩٥٧)، دار إحياء الكتب العربية، منشورات عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج ١، ص ٣٦.

(٢) البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥)، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ط ١، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ)، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م)، ج ٣، ص ٣٧١.

(٤) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ط ٤، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، دار القلم، ص ٥٨.

التعريف المختار

مما سبق سرده من التعريفات، يمكنني أن أضع لعلم المناسبات تعريفاً خاصاً فأقول: علم يكشف الصّلات بين آيات القرآن الكريم، وسوره وموضوعاته، بهدف إبراز تناسقها وتلاحمها، لتجلية الإعجاز القرآني في نظمه وبلاغته ووحدة موضوعاته ومقاصده وحكمه. وستكون الدراسة التطبيقية على سورة النساء مستندة إلى هذا التعريف.

المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات.

يذكر بعض العلماء أن ترتيب السور اجتهادي بخلاف ترتيب الآيات، و يذكر بعضهم أن ترتيب السور بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي، وبناءً على ذلك فقد قالوا إنه لا فائدة من البحث عن التناسب والارتباط بين الآيات والسور؛ لأن القرآن الكريم نزل منجماً في مدة ثلاث وعشرين سنة وفي مناسبات مختلفة. والثابت أن "ترتيب السور في كتاب الله تعالى توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، فكما أن الآيات كانت بترتيب أخذه النبي ﷺ عن جبريل عن الله رب العالمين، فإن ترتيب السور كذلك. هذا هو مذهب الجمهور".^(١)

وقد تحدث العلماء عن أهمية علم المناسبات ومن هؤلاء:

ذكر الرازي أن: "علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمرٌ معقول إذا عُرض على العقول تلقفته بالقبول. وقال: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط" ^(٢)

(١) فضل عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ص ٤٤٩. وينظر البيهقي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، ط ٣ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ج٤، ص ٥٢١-٥٢٣.

(٢) الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن (ت: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣ (١٤٢٠هـ)، دار إحياء التراث

أما الزركشي فقال: "قال بعض مشايخنا المحققين ويقصد به (ولي الدين الملوي) وقد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالمصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف".^(١)

ويذكر الزركشي فائدة علم المناسبة: "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء".^(٢)

أما الإمام البقاعي فيقول: "هو سر البلاغة، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو".^(٣)

ويقول السيوطي: "علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته".^(٤)

ومما ذكر في أهمية هذا العلم وربطه بالوحدة الموضوعية للقرآن بالرغم من نزول آياته مفردة قول الزرقاني: "إن القرآن الكريم تفرؤه من أوله لآخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جملة وآياته وجاء آخره مساوفاً لأوله وبدا أوله موافياً لآخره".^(٥)

وفي المعنى نفسه يذكر الدكتور محمد عبد الله دراز: "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت

(١) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٦٣.

(٢) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٦٢.

(٣) البقاعي، نظم الدرر، ج ١، ص ٧.

(٤) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، الجزء الأول، ص ٤٣.

(٥) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص ٥٠.

بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمة مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، وترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، إنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً^(١).

ويذكر د. مناع القطان: "من أهمية علم التناسب إدراك اتساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي وإحكام بيانه وانتظام كلامه"^(٢).

كما أن هذا العلم يساعد على التأويل الصحيح وفهم الآية وفي ذلك يقول الفراهي في دلائل النظام "المعترفون بوجود التناسب جعلوا التناسب علماً شريفاً، ولكن لم يجعلوه جزءاً عظيماً من مفهوم القرآن ولذلك بقي متروكاً لإشكاله، وأما نحن فنقول إن فهم القرآن محول إليه والوجوه الكثيرة في التأويل وعدم الاعتماد على تأويل صحيح إنما نشأ من عدم المعرفة بالنظام^(٣) فإنه هو المعتمد في صحيح التأويل ورفع الشكوك والحيرة"^(٤).

(١) دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار الثقافة (الدوحة)، ص ١٥٥.

(٢) قطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط ٧، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، ص ٩٧.

(٣) النظام مصطلح آخر يرد أثناء الحديث عن المناسبة، يُقصد به ارتباط الآي بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، ويعرّف الفراهي النظام بأن تكون السورة وحدة متكاملة ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتالي قبلها أو بعدها على بعد ما، أي أن تكون السورة مرتبطة بأية سورة بعدها أو قبلها ولا يشترط أن تكون مرتبطة بما قبلها أو بعدها مباشرة. وترى الباحثة أن النظام والمناسبة يؤديان معنى واحداً. للتوسع: ينظر: محمد سبحاني، إمعان النظر في تناسب الآي والسور، ط ١، ٢٠٠٣م، دار عمار، والفراهي، دلائل النظام.

(٤) الفراهي، دلائل النظام، الفراهي، ط ١ (١٣٨٨)، الدائرة الحميدية، ص ٧٥.

مما سبق من هذه الأقوال يتبين مدى اهتمام العلماء بهذا العلم الشريف، وربط أهميته بالتفسير والإعجاز والوحدة الموضوعية، و توافق الباحثة على ما ذكره هؤلاء العلماء في أهمية هذا العلم ووجوب الاعتناء به، وتوجه الدراسات إليه.

مما سبق تجمل الباحثة فوائد علم المناسبة وأهميته بما يلي:

١. يساعد على فهم القرآن فهماً دقيقاً، بحيث يكشف مواضع الخطأ أحياناً في بعض التأويلات.
٢. بعلم المناسبة تكشف قوة الارتباط بين الآيات بعضها ببعض و بين السور بعضها ببعض ووحدة موضوعاتها.
٣. دقة علم المناسبات وصعوبته كما قال العلماء، يحوجنا إلى أن ننظر نظرة كلية شمولية مصحوبة بتفكير كلي دقيق لربط أجزاء الكلام بعضه بالبعض الآخر، ولتكشف وجوه العلاقات بينهما، ولذلك فإن الفهم الكلي لسياق الآيات أو موضوعات السورة ضروري لكشف العلاقة بينهما، فيسهل علينا فهم مقصود سور القرآن وأهدافها.
٤. اكتشاف سر البلاغة والبيان وإظهار إعجاز القرآن والكشف عن كنوزه، لقول الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".^(١)
٥. الرد على شبهات المستشرقين وغيرهم بتوقيفية ترتيب آيات القرآن.
٦. إدراك الروح العامة للآيات وفهم القرآن؛ مما يقرب العبد إلى ربه بحيث يتصل هذا القلب الذي يتلو آيات القرآن بخالقه عندما يفهم الأسرار المودعة في هذه الآيات ويدرك سر ترابطها، ونتيجة لذلك يسهل حفظها وتسلس تلاوتها فتحصل الغاية من تلاوة كتاب الله.
٧. لعلم المناسبات علاقة وطيدة مع التفسير الموضوعي والذي يعرف بأنه: علم يبحث في القرآن الكريم من حيث استخراج ما فيه من موضوعات، وجمع الآيات المتعلقة بكل موضوع وتقسيمها

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١، ص ١١٠

إلى عناصر بحيث تُجمع الآيات في موضوع واحد لدراسته واستخراج فوائده. ^(١) وهو بذلك "يكشف عن قدر الأمور وأهميتها ويشخص معاني الآيات المكررة ويحدد مراميها". ^(٢)

المطلب الثالث : آراء العلماء في علم المناسبة.

تباين العلماء في آرائهم في علم المناسبة، فمنهم المؤيد ومنهم المنكر ومنهم المتوسط.

فأما المثبتون لهذا العلم:

فقد دافعوا عنه وتحذروا عنه في كتبهم وطبقوه في تفاسيرهم، و منهم من أفرده بكتب مستقلة حتى إنه تكلف في إيجاد المناسبة، كما فعل البقاعي في نظم الدرر في بعض المواضع من كتابه، ومنهم من اهتم به في كتب علوم القرآن وأولوا به اهتماماً كالزركشي والسيوطي، ومنهم من طبقه في تفسيره كالرازي وابن عاشور.

وقد كانت أدلة هؤلاء معتمدة على العقل كون هذه المسألة اجتهادية ومن هذه الأدلة:

أولاً: ترتيب آي القرآن توقيفي، وفي هذا دليل على أن لهذا الترتيب سراً ودلالة.

ثانياً: ما ذكر في المبحث السابق من أهمية علم المناسبات وفوائده بذكر أقوال العلماء فيه.

المنكرون لهذا العلم:

أبرز المنكرين لعلم المناسبة وأسبقهم الإمام عز الدين بن عبد السلام، حيث نقل السيوطي في الإتيان قوله: "إن ربط آيات القرآن على ترتيب نزوله تكلف لا يليق، إذ إنه يشترط في حسن الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يُصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن

(١) مناهج جامعة المدينة العالمية، التفسير الموضوعي ٢، جامعة المدينة، ص ٩، "بتصرف".

(٢) سبجاني، محمد، إمعان النظر في نظام الآي والسور، ط ١، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، دار عمار للنشر والتوزيع، ص ١٠٥.

وينظر ص ١٠٣ - ص ٢٥٨ فقد تحدث عن مزايا النظام وأهمية علم المناسبات مستشهداً بنماذج عديدة من أقوال العلماء وتفسيرهم.

أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض".^(١)

هذه ما أورده العز بن عبد السلام لينكر علم المناسبة، فهو يريد أن يقول إن علم المناسبة حسن إذا كان هناك ترابط في الكلام، لكن القرآن نزل على أوقات متفرقة فلا تطلب فيه المناسبات. كما نقل عن الإمام أبي حيان صاحب البحر المحيط كلاماً شبيهاً بكلام العز بن عبد السلام وقد ذكر الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير، حجج المنكرين لهذا اللون من الربط بين الآيات وأيدهم بحجج وضرب أمثلة، حيث قال في معرض حديثه عند تفسير الآية (٤٠) من سورة البقرة. "واعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكفوا سباحته، واستقرغوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة؛ بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه.

وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، وينزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته".^(٢)

وذكر كلاماً طويلاً في اعتراضه على هذا، وألخص ما قاله بذكر الأسباب التي أوردها وهي:

السبب الأول: نزوله مفزقاً على أسباب مختلفة وحوادث متنوعة حيث قال: " وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفزقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ

(١) السيوطي، الإتقان، ج ٣، ص ٣٧٠

(٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط ١، ١٤١٤هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت ج ١، ص ٨٦.

نزول الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام". (١)

السبب الثاني: أن ترتيب آيات القرآن اجتهادي لا توقيفي حيث قال: " فأني معنى لطلب المناسبة بين الآيات معلوم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً وتأخر ما أنزله الله متقدماً، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن؛ بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة". (٢)

السبب الثالث: علم المناسبات من الرأي المحض وهو منهي عنه في تفسير كلام الله.

السبب الرابع: في إثبات علم المناسبات فتح لأبواب الشك على من في قلبه مرض.

السبب الخامس: علم المناسبات لا نفع وراءه.

السبب السادس: التكلف عند استخراج المناسبة ما بين الآيات والسور.

الرد على الشبهات

أولاً: نرد على هذه الشبهات بأن القرآن وإن نزل منجماً في أوقات متفرقة ورُتّب على خلاف نزوله فلا يمنع ذلك من وجود المناسبة بين آيه وسوره، بل إن نزوله على تلك الهيئة والترتيب التوقيفي الذي رُتّب به قد شكل نصاً متكاملأ كالكلمة الواحدة يسوده الانسجام وقوة الارتباط وماتانة التماسك. ويدل على هذا أن جبريل عليه السلام يدل رسول الله على موضع الآية بعينه وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها ما أخرجه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: "كنت عند رسول الله جالساً إذ شخص ببصره ثم صوبه متى كان أن يلزمه بالأرض قال: ثم شخص ببصره فقال أتانى جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه.

أَلْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿النحل: ٩٠﴾^(١) وقد أسهب العلماء

في بيان الأدلة التي تدل على توقيفية ترتيب الآيات.^(٢)

ثانياً: إن اعتماد هذا العلم في تفسير القرآن على الرأي كان ضمن ضوابط وشروط، ودون تكلف أو تحميل الآيات ما لا تحتل. ولذلك يمكن القول أن نفي النافين لهذا العلم جاء فيمن سلك منهج الغلو والتعسف في إيجاد المناسبة بأشكالها المختلفة.

أما المتوسطون بين هذين الرأيين:

كان صبحي الصالح ممن توسطوا في رأيهم حيث يقول: "أما التماس أوجه الترابط بين السور فهو مبني على أن ترتيب السور التوقيفي لا يستلزم حتماً أن يكون بين كل سورة سابقة وكل سورة لاحقة أواصر قريبي" ويذكر: "أن معيار الطبع أو التكلف فيما لمح من ضروب التناسب بين الآيات والسور يرتد في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أمور متحدة مرتبطة أوأثلها بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمر متنافرة فما هذا من التناسب في شيء".^(٣)

ويؤيد القطان ما ذكره العلماء بأن المناسبة علم مقبول إن كان دون تكلف حيث يقول: "وقد يدرك المفسر ارتباط آياته وقد لا يدركها فلا ينبغي أن يتعسف وإلا كانت تكلفاً ممقوتاً".^(٤)

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٤، ص٢١٨، رقم الحديث: ١٧٩٤٧. إسناده ضعيف، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٨٩٣) عن إسماعيل بن أبان، والطبراني (٨٣٢٢) و (١٠٦٤٦) من طريق محمد بن بكر، كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام، بهذا الإسناد. وهو عند البخاري مختصر. وأورده ابن كثير في "تفسيره" ٥١٦/٤ وقال: إسناده جيد متصل حسن، قد بُين فيه السماع المتصل! ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً. وحسن الهيتمي إسناده في "المجمع" ٤٨/٧-٤٩، ومع ذلك فقد قال ابن كثير في "تفسيره" ٥١٦/٤: هذا إسناد لا بأس به، ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين، والله أعلم!

(٢) للتوسع ينظر مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، وسبحاني، إمعان النظر في تناسب الآي والسور.

(٣) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق، ص١٥١-١٥٢.

(٤) قطان، مناع خليل ت(١٤٢٠هـ-١٩٩٠م) مباحث في علوم القرآن، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر، ص٩٧

ونهاية الرأي: أن ترتيب القرآن الكريم بهذا الشكل الذي بين أيدينا الآن بين آياته وسوره يدعونا إلى كشف أسراره وسبر أغواره، فترجح الباحثة أدلة المثبتين لهذا العلم لقوتها، ولا نجد من يعارض المناسبة كلياً حتى إن المنكرين قد أثبتوها عملياً في تفاسيرهم. (١) ويبقى التكلف في استخراج المناسبة هو المرفوض، ولذلك قام العلماء بالتنبيه على بعض الضوابط التي ينبغي أن يلتزم بها عند استخراج المناسبة والبحث عن الوحدة الموضوعية ووجود رابط من الروابط وغيرها.

(١) ينظر: محمد سبحاني ، إمعان النظر في نظام الآي والسور، ص ٣٦ - ٤٣.

المبحث الثاني: التعريف بسورة النساء

المطلب الأول: تقديم للسورة

مدنية السورة: سورة النساء سورة مدنية، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت " ما نزلت سورة البقرة وسورة النساء إلا وأنا عنده".^(١)

ترتيبها: هي السورة الرابعة من حيث الترتيب في المصحف وتبدأ في الجزء الرابع في منتصف الحزب الثامن، ونهايتها في الجزء السادس.
عدد آياتها: مائة وست وسبعون.

المطلب الثاني: اسم السورة

اسمها سورة النساء ولا يوجد لها اسم آخر، وإنما سميت سورة البقرة بسورة النساء الطولى وسورة الطلاق بسورة النساء الصغرى أو القصرى حسب ما وقع ذلك في قول ابن مسعود رضي الله عنه في البخاري: "أتجعلون عليها- يعني المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً- التغليظ ولا تجعلون لها الرخصة لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى".^(٢)

"فإن ابن مسعود إنما يعني لا محالة بسورة النساء الطولى سورة البقرة فإنها التي فيها حديث عن عدة المتوفى عنها زوجها، لا أنه يعني بها السورة التي بين آل عمران والمائدة لخلوها تماماً من

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل ت (٢٦٥هـ)، صحيح البخاري، كتاب (٦٦): فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، حديث رقم: ٤٩٩٣،

تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، نشر دار طوق النجاة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير (سورة البقرة)، باب: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتريصن بأنفسهم أربعة أشهر

وعشراً، إلى قوله تعالى: بما تعملون خبير)، ح: ٤٥٣٢، ج٦، ص٣٠.

الحديث عن العدة، ولا نعرف أحداً ذكر اسم النساء مقروناً بوصف الطولى غير عبد الله بن مسعود في هذا الحديث ... وبالجملة فإن اسم النساء لا يقال على غير هذه السورة الواقعة بين آل عمران والمائدة إلا مقروناً بالوصف المناسب له فإن قيل على سورة البقرة قرنت بالطولى وإن قيل على سورة الطلاق فلا بد من وصفها بالقصرى". (١)

ومما يؤكد أن سورة النساء ليس لها إلا اسم واحد حديث عمر بن الخطاب عندما قال : "ما رجعت رسول الله ﷺ في شيء ما رجعت في الكلاله، ما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري فقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء". (٢)

إذن هذا هو اسمها الذي قاله رسول الله ﷺ وأجمع عليه كُتَّاب المصاحف والمفسرون والمحدثون "لكن الفيروزآبادي ذكر أنها تسمى بسورة النساء الكبرى، وهذه سبقة قلم منه فإن سورة النساء الطولى المذكورة في قول ابن مسعود "نزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى" المقصود بها سورة البقرة بدليل السياق إذ إن عدة المتوفى عنها نزلت في سورة البقرة، وهذا الذي قاله الفيروزآبادي لم يرق لابن عاشور الذي وصفه بقوله لم أره لغيره". (٣)

المطلب الثالث: فضل السورة

أخرج الحاكم عن طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال: إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرنى بها الدنيا وما فيها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً

(١) خليفة، إبراهيم، التفسير التحليلي لسورة النساء ، ط١، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، ج١، ص٩١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً، ح: ٥٦٧، ج١، ص٣٩٦ .

(٣) الضائي ، عبد الله بن سالم بن حمد، أسماء سور القرآن الكريم، ط١، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، الأجيال للتسويق، ص٢٢٣.

وينظر التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٤، ص٢١١، ويصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ، ج١، ص١٦٩.

يُضْعِفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ (النساء: ٤٠)، و ﴿ إِن تَجَنَّبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿ (النساء: ٣١) و ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ^٤ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ (النساء: ٤٨) و ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ

بِإِذْنِ اللَّهِ^٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ

تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿ (النساء: ٦٤) و ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

(النساء: ١١٠). (١)

(١) قال الحاكم إسناده صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه فقد اختلف في ذلك، ينظر المستدرک ، ج ٢، ص ٣٠٥، وينظر تفسير

ابن كثير، ج ٢، ص ١٧٨، وينظر التفصيل في تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٢١٥.

الفصل الثاني

علاقة سورة النساء مع غيرها من السور القرآنية

المبحث الأول: علاقة سورة النساء بالسور المتحدة معها في الافتتاح

المطلب الأول: النداء وتناسب مضمونه مع موضوعات سورة النساء

المطلب الثاني: تناسب السور المفتوحة بالنداء مع سورة النساء

المبحث الثاني: علاقة سورة النساء بالسور المجاورة لها

المطلب الأول: تناسب سورة النساء مع سورة آل عمران

المطلب الثاني: تناسب سورة النساء مع سورة المائدة

المطلب الثالث: التناسب بين السور الثلاث

المبحث الثالث: علاقة سورة النساء بالسور المشابهة لها في الموضوعات

المطلب الأول: علاقة السورة بغيرها في موضوع العدل

المطلب الثاني: علاقة السورة بغيرها في موضوع اليتامى

المطلب الثالث: علاقة السورة بغيرها في موضوع النساء

المطلب الرابع: علاقة السورة بغيرها في موضوع المستضعفين

المطلب الخامس: علاقة السورة بغيرها في موضوع الجهاد ودور المنافقين فيه

المطلب السادس: علاقة السورة بغيرها في موضوع أهل الكتاب

المطلب السابع: علاقة السورة بغيرها في موضوع المال

الفصل الثاني: علاقة سورة النساء مع غيرها من السور القرآنية

يتناول هذا الفصل علاقة سورة النساء بغيرها من السور القرآنية حيث إن سور القرآن تترايط فيما بينها في المعاني ومعالجة الموضوعات في مواضع متعددة، ويظهر إعجازه في ترايط كل سورة بما قبلها أو بما بعدها، أو في السور المتحددة معها في الافتتاح، أو تلك التي تتشابه معها في الموضوعات.

وشبه كثير من العلماء الوحدة الموضوعية بالجسد واجتماع الأعضاء؛ لأنها جاءت متكاملة معاً ويقول في ذلك محمد حجازي: "هذه المعاني المحشودة في السورة بآياتها المفصلة لها مناسبات دقيقة كل آية بمعناها مناسبة ومرتبطة تماماً مع سابقتها ولاحتقتها، حتى ترى السورة في سبيل تحقيق هدفها العام قد جمعت الآيات بحكمة كاجتماع الأعضاء المكونة لجسم الإنسان. وكل سورة جاءت مناسبة لما قبلها وما بعدها إذ إن الأصح أن ترتيب السور توقيفي".^(١)

(١) حجازي، محمد محمود، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط١، (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، دار الكتب الحديثة، ص ١١٣.

المبحث الأول: علاقة سورة النساء بالسور المتحدة معها في الافتتاح.

وقف العلماء عند السور التي لها ذات الفواتح لكشف المشترك فيها، والمعاني التي يمكن أن تستشف من ترتيبها في كتاب الله كالسور المفتحة بالحمد أو التسبيح أو بالأحرف المقطعة "فإنك تلاحظ أحياناً أن مجموعة من السور لها بدايات معينة تشبهها مجموعة أخرى لها نفس البداية فمثلاً تلاحظ أن سورتي البقرة وآل عمران تبدأ بـ(الم) تأتي بعدهما سورتا النساء والمائدة كل منها تبدأ بـ(يا أيها)، ثم تأتي سورة الأنعام وهي مبدوء بالحمد لله وهكذا".^(١) والواضح هنا أن ابتداء سورة النساء كان بالنداء، وهي تشترك في ذلك مع السور التالية: (المائدة والحج والأحزاب والحجرات والملتحنة والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر).

فهل هناك علاقة ما بين هذه السور المتحدة بالافتتاح؟.

هذا ما سنتعرفه من خلال هذا المبحث تطبيقاً على سورة النساء، وما اتحد معها في مطلعها من السور.

المطلب الأول: النداء وتناسب مضمونه مع موضوعات سورة النساء

ورد النداء في القرآن الكريم وجاء الخطاب فيه للناس والعباد والمؤمنين و أهل الكتاب والأدمنين والنساء والأقوام ، لأهداف عديدة وعندما ينادي الله عباده فإنه يريد بذلك أن يحرك القلوب، ويستجيش المشاعر ليجلب الانتباه إليه وإلى ما يلقي عليه. ورضي الله عن ابن مسعود حيث يقول: "إذا سمعت الله ينادي يا أيها الذين آمنوا فأزعها سمعك".^(٢)

(١) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام ، ج١، ص٧٨

(٢) ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله (ت١٨١هـ)، الزهد الرقائق لابن مبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج١، ص١٢ وينظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ت(٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة، ١٣٤٩هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ص١٣٠.

"ويلحظ أن النداء ب(يا أيها الناس) كان أكثر فيما يختص الأحكام العامة للدين من الإيمان بالله والوحي وبالرسول وباليوم الآخر ومن ذلك قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١)، وقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ﴾ (النساء: ١)". (١)

وفي ذلك يقول الزركشي: "يأتي بعد النداء ب (أيها الناس) أمر بأصل الإيمان أما بعد (يا أيها الذين

آمنوا) تفاصيل الشريعة، وإن جاء بعدهما الأمر بالإيمان كان من قبل الأمر بالاستصحاب". (٢)

فالخطاب ب(يا أيها الناس) يأتي بعده غالباً نصيحة عامة، والخطاب ب(يا أيها الذين آمنوا) يأتي بعده غالباً أوامر تشريعية وأمر ونهي.

ونجد القرآن قد عالج بالنداءات الإلهية المؤمنين والناس على وجه عام، وعالج الطوائف على وجه خاص. وكانت الأوصاف التي تقع بهذه النداءات من شأنها أن تدفع المخاطبين إلى امتثال ما يخاطبون به، وهو أسلوب قوي من أساليب الإرشاد واستنهاض الأمم. (٣)

فلا بد للنداء من دلالة، ولا بد أنه جاء يعالج موضوعات عدة. فماذا جاءت النداءات تعالج في سورة النساء؟.

إن أول سورة تبدأ بنداء (يا أيها الناس) هي سورة النساء. أما النداء ب(يا أيها الناس) فهو الثالث من

حيث وروده في المصحف بعد قوله تعالى في سورة البقرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (البقرة: ٢١)

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا﴾ (البقرة: ١٦٨) ، وسبق هذه السورة

(١) مغاربة، محمد صدقي محمد (٢٠٠٠م)، يا أيها الذين آمنوا دراسة في التفسير الموضوعي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ص١٢.

(٢) الزركشي ، البرهان ، ج٢ ، ص٢٢٩.

(٣) صباغ، عبد الهادي قدور ، تفسير نداء القرآن وصوت الإسلام الحكيم، ط٢، ص٢٣-٢٥. "بتصرف"

النداء ب(يا أيها) بعشرين مرة، منها(يا أيها الناس) مرتين، و(يا أيها الذين آمنوا) ثماني عشرة مرة. فما قيمة النداء في هذه السورة؟.

ورد النداء في سورة النساء كثيراً جداً وقد جاء فيها النداء (يا أيها الناس) أربع مرات، والنداء ب(يا أيها الذين آمنوا) تسع مرات، والنداء ب(يا أيها الذين أتوا الكتاب) مرة واحدة. كان كل نداء في هذه السورة يشكل محوراً من محاورها، وينتقل بنا إلى تفصيل جديد من تفاصيلها بشكل عام.

فأول آية منها تستهل بمطلع في منتهى البراعة والإحكام في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَةٍ﴾ (النساء: ١)، فالخطاب ب(يا أيها الناس) خطاب يشمل جميع الناس، فهو خطاب عالمي، ويتناسب مع موضوع سورة النساء التي جاءت تتحدث عن أبرز مقومات المجتمع المدني وتعالج قضاياها عن طريق معالجة قضايا الأسرة بشكل عام، والنساء بشكل خاص. فهذا النداء يدل على أن الإسلام لم يهتم بتنظيم علاقات النساء المسلمات فقط، وإنما بتنظيم شؤون نساء العالم كله. فالنساء محضن المجتمع و نواته. (١)

وقد ورد نداء (الذين آمنوا) في تسع آيات في السورة يذكر صاحب رسالة (يا أيها الذين آمنوا) أنها حققت موضوع السورة (٢) وهو مقومات المجتمع الإسلامي التي أبرزها الشيخ محمد المدني وهي كالآتي: (٣)

أولاً: بناء علاقة متينة بين المجتمع والخالق والمحافظة على هذه الصلة.

(١) وسيأتي لاحقاً تفسير هذه الآية وشموليتها وتناسبها مع موضوع السورة في الفصل الثالث من هذه الرسالة، ص ١٦٨

(٢) ينظر: مغاربة، محمد صدقي محمد (٢٠٠٠م)، يا أيها الذين آمنوا دراسة في التفسير الموضوعي، رسالة ماجستير، جامعة آل

البيوت، ص ٣٢

(٣) المدني، محمد محمد، المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، مكتبة اليراق، الكتاب الأول ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، التعريف

الأعلى للشؤون الإسلامية.

ثانياً: بناء الوحدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع وهي الأسرة، وذلك ببيان الأحكام المتعلقة بها من زواج وطلاق ومواريث ومعاملة اليتامى والسفهاء.

ثالثاً: أرست السورة الأسس التي يقوم عليها الحكم في المجتمع المسلم، وذلك بعدم التحاكم للطاغوت وبأداء الأمانات إلى أهلها، والعدل بين الناس وبتقرير مصادر التشريع الإسلامي.

رابعاً: استقرار المجتمع داخلياً وخارجياً من أهم مقومات المجتمع الإسلامي، فقد حددت السورة طبيعة علاقة هذا المجتمع مع أعدائه من المشركين واليهود والمنافقين.

وأضيف إلى ما قاله صاحب هذه الرسالة (يا أيها الذين آمنوا في القرآن) أنه ليس فقط هذه النداءات التسعة بـ(يا أيها الذين آمنوا) هي التي حققت موضوع السورة، بل جميع أنواع النداءات التي وردت في السورة حققت موضوعها وتناسبت معه بشكل كبير سواء في (نداء الناس أم الذين آمنوا أم الذين أوتوا الكتاب) وبغض النظر عما جاء من تكاليف فيما بعدها، إنما كان قصد السورة من ذلك جمع الناس كلهم مسلم وغير مسلم على التكافل ضمن المجتمع ككل، حتى يسير استقراره الداخلي والخارجي على أتم وجه، لذلك حددت السورة طبيعة علاقة المجتمع الإسلامي بغيره من الأعداء والمشركين واليهود والمنافقين.^(١)

وخلاصة القول: "جاء النداء في سورة النساء (يا أيها الناس)؛ لأنهم ينادون لأمر تستدعيها إنسانيتهم فإن ما احتوت عليه السورة من حقوق الأيتام والنساء أمور نابعة من كونهم بشراً يستوجبون هذه الحقوق، كما أن ما أتت به السورة من أحكام لا تتوقف على كون المخاطبين مسلمين بل يحس بخطرها وعظمتها كل ذي إحساس إنساني صحيح".^(٢)

(١) ليس من موضوع البحث هنا النظر في جميع النداءات التي جاءت بها السورة بقدر استخراج مقصودها و مضمونها و للتوسع، ينظر: في رسالة (يا أيها الذين آمنوا) دراسة في التفسير الموضوعي لمحمد صدقي مغاربة (ص ٣١) وما بعدها وينظر: علي مصيلحي

حسن ، نداءات المؤمنين في القرآن الكريم ، مكتبة الجامعة الأردنية

(٢) عتر، نور الدين، أحكام سورة النساء ، ص ٢٠

المطلب الثاني: تناسب السور المفتحة بالنداء مع سورة النساء.

عدد السور التي بدأت بالنداء عشر سور، وهي النساء والمائدة والحج والأحزاب والحجرات والملتحة والطلاق والتحريم والمدثر والمزمل.

تشابهت سورة النساء مع سورة الحج بـ (يا أيها الناس).

تشابهت سورة المائدة مع الممتحنة ومع الحجرات بـ (يا أيها الذين آمنوا).

تشابهت سورة الأحزاب مع الطلاق ومع التحريم بـ (يا أيها النبي).

جاء النداء مرة واحدة في سورة المزمل بـ (يا أيها المزمل).

جاء النداء مرة واحدة في سورة المدثر بـ (يا أيها المدثر).

أولاً: تناسب السور المفتحة بالنداء (يا أيها الذين آمنوا) مع سورة النساء

السور التي ابتدأت بنداء (يا أيها الذين آمنوا) هي سورة المائدة وسورة الممتحنة وسورة الحجرات وبنظرة سريعة إلى مقاصد كل سورة نلاحظ ما يأتي:

سورة المائدة : سورة المائدة سورة مدنية ^(١) ومن أواخر ما نزل من السور بالمدينة ^(٢)، "دار كل ما تضمنته سورة المائدة على أمرين بارزين: تشريع المسلمين في خاصة أنفسهم وفي معاملة من يخالطون، وإرشادات لطرق المحاجة والمناقشة، وبيان الحق في المزاعم التي كان يثيرها أهل الكتاب مما يتصل بالعقائد والأحكام". ^(٣)

(١) عن جبير بن نفير قال: "دخلت عائشة فقالت هل تقرأ سورة المائدة؟ فقال: قلت نعم، قالت: فإنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستطوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه" أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨٨/٦ والحاكم في المستدرک ٣٤٠/٢ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه .

وعن عبدالله بن عمرو قال: آخر سوريتين نزلت المائدة والفتح . أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ٥، حديث: ٣٠٦٣ وقال حديث حسن غريب .

(٢) لم تكن سورة المائدة من أواخر ما نزل في المدينة مطلقاً بل نزلت آيات فيها من أوائل ما نزل في المدينة كآية الوضوء وقصة موسى عليه السلام.

(٣) شحاتة، عبدالله محمود، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ط٣، ١٩٨٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٦٢

وسميت هذه السورة بسورة العقود، "والعقود جمع عقد وهو ما يلتزمه المرء لنفسه أو لغيره وأساسه يكون شيئاً فطرياً تدعو إليه الطبيعة، وقد يكون شيئاً تكليفاً تدعو إليه العقيدة، وقد يكون شيئاً عرفياً يدعو إليه الالتزام والتعاهد والعقد العرفي، أي المتعارف عليه من عامة الناس يكون بين الفرد والفرد كما في البيع والزواج والشركة والوكالة والكفالة إلى آخر ما تعارفه الناس ويتعارفونه من وجود الاتفاقات، والكلمة عامة في ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١) فإنها تأمر بالوفاء بالعقود فتشمل العقود كلها على اختلاف ألوانها وأنواعها.

وتدخل في العقود المعاملات والمعاهدات بظاهر اللفظ، كما تدخل إقامة الحدود وتحريم المحرمات بوصفها داخلة عقد الإسلام بين الله ورسوله والذين آمنوا بالله ورسوله، وعلى وجه العموم فإننا نجد سياق السورة كله يدور حول العقود والمواثيق في شتى صورها حتى حوار الله والمسيح يوم القيامة الوارد في نهاية السورة نجده سؤالاً عما عهد إليه وعما إذا كان قد خالف عنه كما زعم الزاعمون بعده". (١)

كما تميزت سورة المائدة بكثرة النداءات التي جاءت فيها، وكان كل نداء منها يُشكّل محوراً من محاورها.

وفي ذلك يقول د. عبدالله شحاته: "جاءت جملة النداءات في سورة المائدة عن التربية العملية للمؤمنين وبيان للطريق السوي التي يجب اتباعها في الشعائر والعبادات والمعاملات والمعاهدات" (٢) وجاءت السورة تتحدث عن "الوفاء بالعقود المعاملاتية". (٣) فهي تتحدث عن أحكام في تعاملنا مع الطعام والشراب والصيد والذبائح وأحكام في تعاملنا في الأسرة والزواج، وأحكام في كيفية تعاملنا مع

(١) شحاته، عبدالله محمود، أهداف كل سورة ومقاصدها، ج ١، ص ٦٣.

(٢) شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها، ج ١، ص ٦٨.

(٣) الدقور، سليمان، محاضرات في التفسير التحليلي.

اليهود والنصارى والأديان الأخرى، وتنظيم علاقتنا بهم، وأحكام في الإيمان والكفارات وأحكام في العبادات، وأحكام في الحكم والقضاء والشهادات وإقامة العدل، فوجب علينا الوفاء بهذه العقود وعدم الإخلال بها. وتكون بذلك قد تشابهت إلى حد كبير مع موضوعات سورة النساء بأن نعدل في عقودنا ونؤديها بأمانة في كل شؤون حياتنا، وهذا ما كان محور سورة النساء يدور حوله.

أ- سورة الممتحنة: سورة مدنية إجماعاً^(١) وقد ابتدأت ببناء الذين آمنوا في قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: ١). "ومعظم مقصودها النهي عن

موالاة الخارجين عن ملة الإسلام، والافتداء بالسلف الصالح في طريق الطاعة والعبادة

وانتظار المودة بعد العداوة، وامتحان المدعين بمطالبة الحقيقة وأمر الرسول بالبيعة مع أهل

الستر والعفة والتجنب من أهل الزيف والضلالة في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا

قَوْمًا عَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (الممتحنة: ١٣)^(٢)

ووجه تسميتها أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة

وهي قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠).^(٣)

ومن أغراض هذه السورة كما يقول ابن عاشور:

"تحذير المؤمنين من اتخاذ المشركين أولياء مع أنهم كفروا بالدين الحق وأخرجوهم من بلادهم،

وإعلامهم بأن اتخاذهم أولياء ضلال، وأنهم لو تمكنوا من المؤمنين لأساءوا إليهم بالفعل والقول.

وأن ما بينهم وبين المشركين من أواصر القرابة لا يعتد به تجاه العداوة في الدين، وضرب لهم مثلاً

(١) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ١٩٤.

(٢) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ت (٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (تحقيق: محمد علي نجار)،

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج ١، ص ٤٦٠.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد ت (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، ١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر، ج ٢٨، ص ١٢٩.

في ذلك قطيعة إبراهيم لأبيه وقومه. وأردف ذلك باستئناس برجاء أن تحصل مودة بينهم وبين الذين أمرهم الله بمعاداتهم أي هذه معاداة غير دائمة.

وأردف بالرخصة في حسن معاملة الكفرة الذين لم يقاتلوا المسلمين قتال عداوة في دين ولا أخرجوهم من ديارهم وهذه الأحكام إلى نهاية الآية التاسعة.

وحكم المؤمنات اللاتي يأتين مهاجرات، واختبار صدق إيمانهن، وأن يحفظن من الرجوع إلى دار الشرك ويعوض أزواجهن المشركون ما أعطوهن من المهور ويقع الترادُّ كذلك مع المشركين.

ومبايعة المؤمنات المهاجرات؛ ليعرف التزامهن لأحكام الشريعة الإسلامية وهي الآية الثانية عشرة. وتحريم تزوج المسلمين المشركات وهذا في الآيتين العاشرة والحادية عشرة، والنهي عن موالة اليهود وأنهم أشبهوا المشركين وهي الآية الثالثة عشر^(١).

وبذلك فهي سورة "الوفاء بالعقود الإيمانية العقدية"^(٢) وتكون قد تشابهت موضوعاتها إلى حد كبير مع سورة النساء والتي فيها تنظيم لعلاقة المسلمين بغيرهم، والتي تدعو إلى تقوية أواصر المودة بين المسلمين، وحفظ هذه العلاقات قوية متينة بينهم، ومع أن سورة النساء جاءت تدعو إلى تقوية العلاقات وتوطيد أواصر الرحم بين المسلمين حيث أن قيمة الرحم عظيمة في الإسلام، إلا أن سورة الممتحنة جاءت تدل على مقاطعة هذا الرحم عندما يؤدي إلى الامتهان، فإن أول آية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كان الرسول ρ يجهز الجيوش قبل فتح مكة، حتى يفاجئ الكفار بدخول مكة فيستسلموا دون أن يحدث أي قتال، لكن الصحابي حاطب بن أبي بلتعة أرسل لأهله في مكة حتى يحذرهم فكان امتحاناً له ونزلت آيات تعاتبه في ذلك^(٣).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ١٣٢

(٢) الدقور، سليمان، محاضرات في التفسير التحليلي

(٣) ينظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب (٥٦): الجهاد والسير، باب: الجاسوس، ج: ٣٠٠٧

وهي تذكر نموذجاً في ذلك عن سيدنا إبراهيم في مقاطعته لأبيه، عندما أصر على الشرك، فالرحم يبقى والمودة تبقى لكن عندما يصل إلى حد الاستهزاء بالدين والمهانة فإن موالاتهم حينئذ تصبح من أشد المنهيات؛ لأنها ستكون خيانة للعقيدة وللأمة، فيجب الوفاء بما يرسخ الإيمان في قلوب المؤمنين، وعدم خيانة العهد من أجل قريب أو زوج حتى لو كان من أقرب الناس لنا، ويجب أن نوازن بين قاعدة الولاء والبراء، ويجب أن ننتمي كاملاً لدين الله، ونتبرأ تبرؤاً كاملاً من أي منهج لا ينتمي لدين الله.

تشابهت سورة الممتحنة مع سورة النساء في حديثها عن أحكام في سورة النساء وزواجهن بحيث جاءت سورة النساء تأمر بإعطاء المرأة صداقها أو مهرها؛ لأنه حق من حقوقهن. أما هنا فجاءت تعطي الرجل حقه برد المهر وما أنفقه عليها إذا لم ترجع لزوجها المشرك بسبب شركه؛ لأنها لا تحل له بعد أن أمنت بالله فجاء في النساء قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء: ٤) وقوله: ﴿فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ (النساء: ٢٤).

جاء في الممتحنة قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ جِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا﴾ (الممتحنة: ١٠). وأما آخر السورة في امتحان مبايعة النساء ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمَّجُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠) تركيز على إيمان النساء وتوحيدهن وعدم شركهن بالله، وعدم اقترافهن للمحرمات والسرقة والزنا والقتل، وطاعة الرسول في كل ما يأمر، هذه قضية مهمة أيضاً هنا في علاقة سورة النساء بسورة الممتحنة، وهي تأكيد على الفكرة التي جاءت بها سورة النساء بأنهن المحرك الأساسي والمحصن والبذرة الأساسية في الأسرة، وتحدثت السورة عن امتحان النساء في إيمانهن لأنها ستربي للنساء الصالح و بالتالي المجتمع الصالح، فإن أخلت إحداهن في هذه العهود الإيمانية، و في امتثال طاعة الرسول فقد أخفقت في الامتحان، وبذلك دخل المجتمع الإسلامي الفساد بفساد

أسره وفساد فئاته كلها. وإن نجحت في امتحانها وتوفر لها عناصر النجاح فقد قام المجتمع وتوحد وتماسك، وقام على أسس من النجاح والانتماء لدين الله تعالى.

ج - سورة الحجرات

"سورة مدنية إجماعاً"^(١) تتحدث عن قواعد التربية والأخلاق، واستهلكت ببناء الذين آمنوا في قوله

تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات ١).

"هذه السورة تشمل معاني كبيرة من مناهج التكون والتنظيم وقواعد للتربية والتهديب ومبادئ التشريع والتوجيه. وأول ما يبرز للنظر فيها هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم والتي تكفل قيامه أولاً وصيانتة أخيراً... عالم نقي القلب، نظيف المشاعر، عف اللسان وعف السريرة... وله أدب مع الله وأدب مع رسوله، وأدب مع نفسه، وأدب مع غيره. وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة التي تقوم على ذلك الأدب فيتوافق باطن العالم وظاهره وتتوازن دوافعه فيتجه إلى الله".^(٢)

إذن فهذه هي "سورة الوفاء بالعقود الأخلاقية".^(٣) حيث يجب فيها الأدب والوفاء بعقدنا الذي تعاقدهنا مع الله بما أننا من الذين آمنوا، ويجب فيها أن لا نخل عهدنا مع شرع الله فلا نكون خاضعين إلا له، ولا نتجاوز عن أمر إلهي ويجب، أن لا تسبق حكماً من أحكام الله. فالأدب مع النبي p هو أدب مع الله تعالى ولا يجوز تعدي حدود الأدب في شيء مع الرسول p، وهذا مما جاءت به الآيات من أولها إلى خامس آية فيها، وقد استكملت الآيات التالية لهذا الموضوع الأدب

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥)، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨١ م، مكتبة المعارف -

الرياض، ج ٣، ص ٦.

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ١٧، ١٤١٢ هـ، دار الشروق - بيروت، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) الدقور، سليمان، محاضرات في التفسير التحليلي.

الذي تحكم به الروابط التي ينبغي أن تقوم بين أفراد المجتمع الإسلامي، بعد أن بينت الآيات السابقة الأدب الذي ينبغي أن يتأدب به المسلمون في حضرة النبي الكريم (١).

فهي تأمر المسلمين بأن يتثبتوا في أحكامهم. وواضح أن الأمة المؤمنة هي أمة واحدة بعقيدتها وإيمانها وأخوتها، وإن حدث أي خلاف بين الطائفتين فعليهم الإصلاح بين المؤمنين، فهي فريضة شرعية والعدل كذلك، حفاظاً على وحدة الأمة وتماسكها، كما بينت أيضاً الآداب الاجتماعية في التعامل بين الناس في الإسلام والتي يقوم عليها المجتمع الإسلامي.

وبينت الآداب في التعامل بين مختلف فئات المجتمع المسلم، وحذرت من التجسس والغيبة. والتفاضل إنما يكون بالتقوى، وهذه الآداب التي ذكرت هنا لها علاقة وطيدة بسورة النساء أيضاً حيث إن سورة النساء نظمت الأمور الكبرى والعلاقات في المجتمع بداية من النساء المحضن الأساسى، ونظمت أمور الأسرة والمجتمع الإسلامي مع غيره، وهنا جاءت السورة بأدق التفاصيل في كيفية تعامل الناس مع بعضهم بالآداب والأخلاق، فعندما ينتظم المجتمع الإسلامي وتكون كل أسرة تتعامل بالخلق فيما بينها وبين غيرها، فإن الأخلاق ستعم في المجتمع وتنتشر لتملأ العالم حيث يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) فقد جاءت تقابل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١) فإن صلح المجتمع كما نظمته سورة النساء، عمت الأخلاق والذوقيات وعم الأدب في العالم.

(١) الخطيب، عبدالكريم يونس (ت ١٣٩٠)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي القاهرة، ج ١٣، ص ٤٤٠، بتصرف

ثانياً: تناسب السور التي افتتحت ببدء (يا أيها النبي) مع سورة النساء

أ- سورة الطلاق:

سورة مدنية ^(١) بدأت بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ (الطلاق: ١)، "مقصودها: تقدير حسن التدبير في المفارقة والمهاجرة بتهديب الأخلاق بالتقوى، لاسيما إن كان ذلك عند الشقاق، لاسيما إن كان في أمر النساء، لاسيما عند الطلاق، ليكون الفراق على نحو التواصل والتلاق" ^(٢).

وقد ربط البقاعي بينها وبين سورة النساء حيث إن سورة النساء مقصودها العدل "ولذا سميت بسورة النساء القصرى لأن العدل في الفراق بعض مطلق العدل الذي هو محط سورة النساء" ^(٣). وهذه لفته رائعة من البقاعي في إيجاد علاقة ما بين سورة النساء وسورة الطلاق بالنظر إلى مقصودها واسمها ^(٤)، وعندما يكون الخطاب للنبي ﷺ فإنه تكريم وتعظيم له بقول الزركشي "ولم يقع في القرآن النداء ب (يا محمد)، أو ب (يا أيها النبي)، إلا تعظيماً وتبجيلاً وتخصيصاً بذلك عن سواه" ^(٥).

وسأنتقل بإثبات العلاقة ما بين سورة الطلاق وسورة النساء مما بدأ به البقاعي، حيث إن سورة النساء التي ما برحت تذكر أهمية الأسرة في إنشاء المجتمع الإسلامي، وأهمية الأسرة في تماسكه وقوته والتي جعلت في بدايتها وربطت ما بين تقوى الله وتقوى الأرحام، جاءت هذه السورة لتبين

(١) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ١٩٤.

(٢) البقاعي، مصادد النظر، ج ٣، ص ٩٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ذكرت الباحثة سابقاً أن سورة النساء القصرى هي الطلاق وسورة النساء الطولى هي البقرة، ينظر الفصل الأول، ص ١٩.

(٥) الزركشي، البرهان، ج ٢، ص ٢٢٨.

فيها أحكام وتفصل بها بما لم يرد في سور أخرى، كالبقرة التي تضمنت بعض أحكام الطلاق وتقرر فيها أحكام الحالات المختلفة عن طلاق من شؤون الأسرة.

فإن سورة النساء التي كان مقصدها مبنياً على التواصل والرحم لم تذكر كلمة الطلاق فيها أبداً مع التعريض لهذا الموضوع ببعض آياتها كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ٣٥) وقوله: ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾ (النساء: ٢٠) وقوله: ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَا يُعِنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّنْ سَعْيِهِءَ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٣٠) فجاءت سورة الطلاق تفصل في هذا الموضوع لكنها تُذكر بالتقوى في معظم آياتها وتؤكد عليه؛ لأن عدم التقوى في هذه الظروف يؤدي إلى الخلافات والمشاكل في الأسر ويؤدي إلى قطع الأرحام والتي أتت سورة النساء لتبتعد عنه لتجعله آخر الحلول بجعل الإصلاح أولاً، أو تدخل أحد الأطراف لحل مشاكل الأسرة ثانياً، ولكن الإسلام الواقعي يأتي بأخر الحلول في مسألة الطلاق ويوضح أحكامه حتى لا تزيد المشاكل وتتفاقم، وبالتالي تأثيرها على الأسر جميعاً و تأثر المجتمع كله، فيتفرق ويختلف وتتهار مقوماته القائم عليها.

ومما جاء في سورة النساء ما له علاقة بسورة الطلاق أيضاً؛ أن سورة النساء بينت لنا واجب الجهاد علينا في القرى التي فيها مسلمون وقد وقع عليهم ظلم الكافرين، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ٧٥) أما في سورة الطلاق فقد بين لنا عاقبة القرى الظالمة برمتها في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسِلَتْ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّيْنَاهَا عَذَابًا مُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَنَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ

أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿ (الطلاق: ٨ - ١٠) فالظلم لا يدوم، وسيزول بإحدى اثنتين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا).

فهذه الآية تخبر أن وجود الظلم سبب من أسباب عذاب الله، وسبب من أسباب انهيار المجتمعات، ومن أشد الظلم عندما يقع الطلاق ظلماً على المرأة، ولهذا يأمر الله بأن نتقي الله في النساء ويُحَدَّر من يتعدى حدود الله فيهن.

ب- سورة التحريم:

بدأت سورة التحريم ببناء (يا أيها النبي) في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ مُحَرَّمٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بِنِعْمِي مَرْضَاتٍ أَرْزَقَكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التحريم: ١) هذه السورة المدنية تتعلق بموضوعاتها بالنساء أيضاً، حيث يذكر البقاعي في مقصود هذه السورة: "الحث على تقدير التدبير في الأدب مع الله، ومع رسوله لاسيما للنساء اقتداء بالنبي" (١) فكان هناك حادثاً في بيت النبي، وأظهره الله تعالى لنا. ويقول الطبري: "الصواب من القول من ذلك أن يقال كان الذي حرمه النبي على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له وجائز أن يكون ذلك جاريتيه وجائز أن يكون شرباً من الأشرية، وجائز أن يكون غير ذلك فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه". (٢)

"وفي ظلال ذلك الحادث الذي كان في بيوت النبي ندرك الإيحاء المقصود هنا من وراء هذه النصوص، أن المؤمن مكلف هداية أهله وإصلاح بيته كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه، فإن الإسلام دين أسرة، ومن ثم تقرر تبعة المؤمن في أسرته وفي بيته، والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة وهو الخلية التي يتألف منها، ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي المجتمع

(١) البقاعي، مصاعد النظر، ج ٣، ص ٩٩ .

(٢) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١ (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، تحقيق: أحمد محمد

شاكر، مؤسسة الرسالة، ج ٢٨، ص ١٠٢ .

الإسلامي، ولا بد من الأم المسلمة فالأب المسلم وحده لا يكفي ... لتأمين القلعة لا بد من أب وأم ليقوما كذلك على الأبناء والبنات، فعبثاً يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامي بمجموعة من الرجال، فلا بد من النساء في هذا المجتمع فهن الحارسات على النشء، وهو بذور المستقبل وثماره".^(١)

وتتضح علاقة سورة التحريم بسورة النساء عندما نتحدث عن دور المرأة في الانتماء، وقد ضربت السورة في ذلك نموذجين: نموذج يمثل الإيمان في بيت كافر كامرأة فرعون، ونموذج يمثل الكفر في بيت مؤمن كامرأة نوح وامرأة لوط.

كما ضرب مثلاً للمؤمنة الصالحة القانئة المصدقة بكلمات ربها مريم ابنة عمران التي أنت كذلك استجابة لدعاء والديها، وفي هذا دليل على دور الأم والأب في تربية الأبناء والدعاء لهم.

فهذه أمثلة تبين تناقض الظاهر ما بين القرابة والهداية، وفي الآخرة لا يُغني أحد عن أحد. وهذا أيضاً تأكيد على أهمية دور المرأة في إصلاح المجتمع وتماسكه، وإنشاء الجيل الصالح القوي المجاهد. فهذه السورة تقرر مسؤولية المرأة عن نفسها مستقلة عن مسؤولية الرجل، وأنه لا يؤثر عليها وهي صالحة فساد الرجل وطغيانه، ولا ينفعها وهي طالحة صلاح الرجل وتقواه.^(٢)

ج- سورة الأحزاب

سورة الأحزاب مدنية وتتولى جانباً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة، وإبراز تلك الملامح وتثبيتها في حياة الأسرة والجماعة وبيان أصولها من العقيدة والتشريع كما تتولى تعديل الأوضاع والتقاليد أو إبطالها وإخضاعها في هذا كله للتصور الإسلامي الجديد.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص ٣٦١٩

(٢) عتر، نور الدين، أحكام سورة النساء، ص٧

وفي ثنايا الحديث عن تلك الأوضاع والنظم يرد الحديث عن غزوة الأحزاب، وغزوة بني قريظة، ومواقف الكفار والمنافقين واليهود فيهما، ودسائسهم في وسط الجماعة المسلمة، وما وقع من خلخلة وأذى بسبب هذه الدسائس وتلك المواقف. كما تعرض بعدها دسائسهم وكيدهم للمسلمين في أخلاقهم وآدابهم وبيوتهم ونسائهم". (١)

فالسورة تتكلم عن جملة من العداوات ضد الإسلام كما يحدث الآن في عصرنا الحاضر، وكما يحدث في زمن الثورات عندما يتكالب الأعداء من كل صوب، ويتربصون بالأمة ليصل هذا التربص إلى المواجهة المعنوية والمادية، فأصبحت الحرب على الإسلام ظاهرة واضحة والله المستعان.

وحتى ينتصر المجتمع الإسلامي على هذه العداوات يجب أن تكون مرجعيتنا هي طاعة الله ورسوله، فأول آية في السورة تخاطب القائد النبي محمداً ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب: ١)، فالاستسلام لأوامر الله تعالى وطاعة النبي من أهم عناصر مقومات المجتمع الإسلامي، وعدم طاعة الكفار وحماية المجتمع من النفاق من أهم أسباب قيام المجتمع الإسلامي أيضاً. "كما أن جملة النداء التي بدأت بها السورة الشريفة تتضمن فنوناً من التوكيد منها استعمال حرف النداء الذي للبعيد للإشارة إلى أنه عليه السلام ينادى لأمر خطير ومهم فليجمع قلبه وعقله لتلقيه". (٢)

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٨١٨

(٢) أبو موسى، محمد محمد، أسرار التعبير القرآني "دراسة تحليلية لسورة الاحزاب"، ط ٢ (١٤١٦-١٩٩٦م)، مكتبة وهبة القاهرة،

ومن ثم تُفصّل السورة في العلاقات الأسرية، وتبطل الظهار والتبني وتوجه بتوجيهات ربانية إلى بيت النبوة، وتبين فضل نساء النبي وعلو منزلتهن على جميع النساء، وتؤكد في آية عظيمة على مساواة الرجل والمرأة في الثواب في الأعمال الصالحة.

كما تأتي بأحكام تتعلق بالنساء كلبس الحجاب وعدم الخضوع في القول والطلاق، وتأتي تشريعات في أزواج النبي وتشريعات خاصة في بيت النبوة الكريم، وآداب دخول البيوت.

كما جاءت آياتها تنبه لمسؤولية الأمانة وحفظها، ومصير المؤمنين والكافرين، وتظهر من موضوعات سورة الأحزاب العلاقة الواضحة ما بينها وسورة النساء، ذلك أن الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي الذي تحدثت عنه سورة النساء يجب أن يحفظ ولن يتأتى هذا الحفظ له إلا عندما ينتصر على من تحزب عليه، والانتصار على مجموعة الأعداء والأحزاب هذه بحاجة إلى المحضن الأساسي الذي يربي على أساس بيئة صالحة طاهرة عفيفة مبنية على الحب والود، فإن صناعة الشباب القائد النائر على الظلم لن يكون إلا من تحت يد امرأة عفيفة طاهرة تربت على الآداب، وتربت على طاعة الله ورسوله، ومن اللافت للنظر أيضاً أن السورة ورد فيها النداء بصور عديدة كنداء النبي والنساء والذين آمنوا، حيث ورد النداء في أكثر من صورة للدلالة أن المجتمع متساوٍ في نظر الإسلام ولا فرق بين أفراد أو أحزابه، وإنما يجب أن يكونوا كلهم يد واحدة في المجتمع، مسلمين لله عز وجل حتى تقوم الأمة الإسلامية المتماسكة القوية. وهذا ماله علاقة بسورة النساء التي جاء محورها يتحدث عن العدل بين أفراد المجتمع.

وقد تشابهت سورة النساء بأسلوبها مع سورة الأحزاب في كثرة الفواصل القرآنية التي تنتهي بأسماء الله الحسنى، وفي هذا دلالة على مجيء هذه الفواصل في السور التي تكثر فيها الأحكام التشريعية.

ثالثاً: تناسب سورة الحج مع سورة النساء لافتتاحهما بندا (يا أيها الناس)

سورة الحج مكية ^(١). وقد جاءت تعالج موضوع الطاعة لله الذي أنعم وتفضل، طاعة تصل إلى درجة التقوى والمراقبة كي ينجو الناس من عذاب ربهم، ولهذا تبدأ بمخاطبة الناس جميعاً وتأمريهم بهذا الموضوع ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١) ثم تبين موقف هؤلاء الذين أعرضوا عن التقوى والطاعة. ^(٢)

وقد تشابهت سورة الحج مع سورة النساء في فاتحتها (يا أيها الناس اتقوا ربكم) ومن اللافت للنظر مما انتبه إليه الزركشي "أن سورة النساء في النصف الأول من القرآن وهي السورة الرابعة منه، وسورة الحج في النصف الثاني وهي السورة الرابعة منه، والأولى تشمل على شرح المبدأ والثانية تشمل على شرح المعاد". ^(٣) فسورة النساء تتحدث عن بداية الإنسان، والحج تتحدث عن نهايته. وبما أن سورة الحج مكية فقد نزلت قبل سورة النساء، فهي عندما أسست لبناء الإيمان الراسخ في القلب بتذكر الآخرة عادت في النساء لتتحدث عن البدء فإن العبرة بالخواتيم. ^(٤)

كما أن سورة الحج كان نصيب العقيدة فيها أظهر؛ لتحسين خاتمة الإنسان ثم حسن الاتباع، ويأتي بعدها حسن التصور، وسورة النساء ركزت على جانب الأحكام، فكانت الحج هي المحرك والمشجع والمنظم لسير خطوات المسلمين لتحقيق جملة الأحكام التي جاءت بها سورة النساء. ^(٥)

كما أن كلاً من السورتين أكثر من الحديث عن صفات الله عز وجل.

(١) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ١٩٠ (وفيها خلاف كبير حول مكيتها ومدنيتها والراجح أن معظمها مكي وفيها آيات مدنية)

(٢) رفعت فوزي، الوحدة الموضوعية للسور القرآنية، ص ٥٩.

(٣) الزركشي، البرهان، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٤) محاضرات في التفسير التحليلي للدكتور سليمان الدقور.

(٥) محاضرات في التفسير التحليلي للدكتور سليمان الدقور.

وهناك عدة علاقات بينها وبين سورة النساء أيضاً، حيث إن سورة النساء ذكرت أحكام الجهاد والحج هو جهاد النساء، وجاءت سورة النساء تتحدث عن اتقاء الأرحام وبيّنت سورة الحج أقوى هذه الروابط الرحمية حتى لآخر لحظة قبل الآخرة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ٢) (تذهل كل مرضعة تضع كل ذات حمل).

كما أن سورة النساء ذكرت دخول الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة مرتين^(١) على الصيغة التالية: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (النساء: ٥٧) وسورة الحج ذكرت دخول الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة مرتين^(٢) على الصيغة التالية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (الحج: ١٤) وفي ذلك تكامل عجيب، حيث إن الصيغة الأولى عظمت الداخل بتقديمه وزيادة أجره، والصيغة الثانية عظمت المدخل بتقديمه وذكر اسمه.

كما أنه أورد قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥).

وفي سورة الحج قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ (الحج: ٧٨) ففي الآية الأولى أثنى الله على المسلم المتبوع وعلى إبراهيم، وفي الآية الثانية بين فضل الله على المتبوع وفضل إبراهيم على المسلمين، وهذا من التكامل في هاتين السورتين أيضاً.

(١) ينظر الآية (١٢٢) من سورة النساء

(٢) ينظر الآية (٢٣) من سورة الحج

ومن العلاقات المتشابهة أن سورة النساء ذكرت أجر المهاجر مجملاً في قوله: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ

اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ (النساء: ١٠٠)، أما سورة الحج ذكرت أجر المهاجر مفصلاً في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ

﴿ (٥٨) لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿ (الحج: ٥٨ - ٥٩)، وانظر كيف ناسب اسم

الغفور - وهو من الستر - الإجمال وكيف ناسب اسم العليم التفصيل، ثم كيف ناسب ذكر الرحمة

ذكر الموت منفرداً والحلم - وهو من الصبر - ذكر القتل. ومن العلاقات ما بين السورتين، أن

سورة النساء حثت على جهاد الرفع أي رفع الظلم عن غيرنا من المستضعفين كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿ (النساء: ٧٥).

أما سورة الحج فقد حثت على جهاد الدفع أي دفع الظلم عن أنفسنا وجهاد من قاتلنا، كما في قوله

تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَلْقَدِيرُ ﴿ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ

إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا هُدِمَتْ سَوَاعِجُ وَيَبِعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا

أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ (الحج: ٣٩ - ٤٠).

ولو تم البحث بشكل أكبر ستظهر علاقات أخرى سواء أكانت أسلوبية أم موضوعية، ولكن هذا مما

يسره الله للباحثة من علاقات لسورتين افتتحنا بنداؤ الناس بالتقوى.

رابعاً: تناسب سورة النساء مع سورتي المزمّل والمدثر

تتحدث سورتا المزمّل والمدثر عن طاعة الرسول القائد والاتصال مع الله بقراءة القرآن وقيام الليل

ونشر الدعوة الإسلامية، والاستعداد للجهاد في سبيل الله لحماية المجتمع المسلم الذي تحدثت عنه

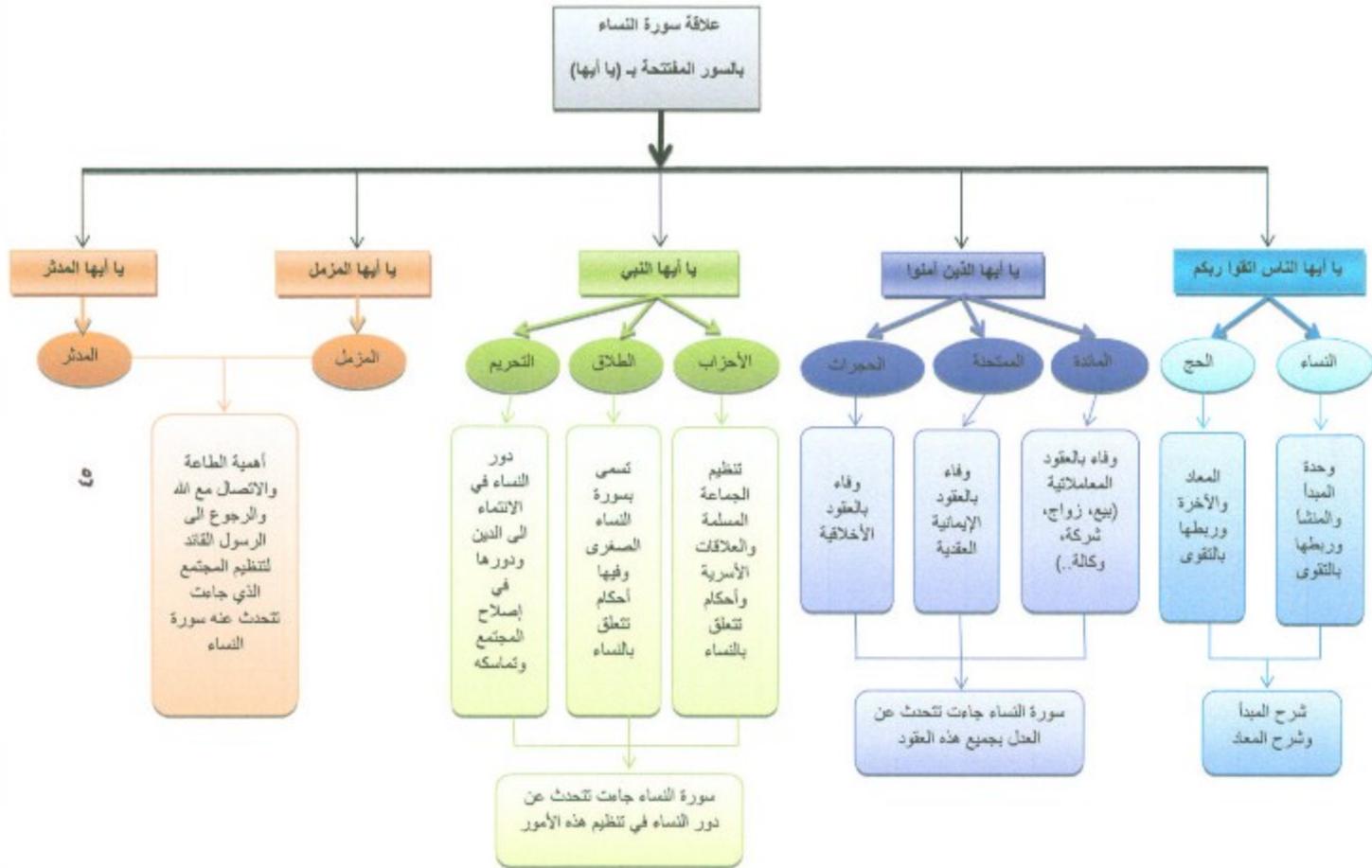
سورة النساء. كما أن قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿إِنَّكَ فِي النَّهَارِ سَبَّحْتَ طَوِيلًا﴾ (المزمل: ٧) وقوله تعالى:

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ (المزمل: ٤ - ٥) وكان هذه الآيات هيأت

الرسول ﷺ إلى المسؤولية الاجتماعية الكبيرة التي سيتولاها لأنه سيحمل المنهج ويدير به دفعة

مجتمع واسع وذلك بتنظيمه وتنظيم علاقته بما حوله، وهذا ما جاء تفصيله في سورة النساء أيضاً.

وفيما يأتي مخطط موجز لأبرز العلاقات بين سورة النساء والسور المتحدة معها بالافتتاح.



المبحث الثاني: علاقة سورة النساء بالسور المجاورة لها (آل عمران والمائدة)

للتناسب بين السور المجاورة عدة أوجه منها: التناسب الموضوعي، والتناسب الأسلوبي وكلاهما له تقسيماته، ومن أوجه هذه التقسيمات: التناسب بين الأطراف أي التناسب بين آخر السورة ومطلع التي تليها، كما يوجد تناسب بين الفاتحتين كسورة البقرة وآل عمران، وهناك تفصيل وإجمال حيث يذكر الأمر مجملاً في سورة فتأتي التي بعدها وتفصله، أو أن يذكر الموضوع في سورة فتأتي جارتها لتعالج هذا الموضوع من جانب آخر، فالقرآن الكريم بناءً إلهي معجز يظهر فيه غاية الارتباط والاحتباك بين سوره. ومن خلال هذا المبحث سيتم إثبات تناسب سورتي آل عمران والمائدة مع سورة النساء بحسب هذه الوجوه المذكورة .

المطلب الأول: تناسب سورة النساء مع سورة آل عمران.

تقع سورة آل عمران في ترتيب المصحف الشريف قبل سورة النساء مباشرة وهي سورة مدنية، وكان نزولها قبل سورة النساء. (١)

"وقد جاءت تتحدث عن قضيتين كبيرتين، الأولى: حوار مع أهل الكتاب الذين يخاصمون الإسلام داخل المدينة، والأخرى: تعليق على هزيمة أحد التي أصابت المسلمين بجرح غائر". (٢)

ومن العلاقات ما بين السورتين تأتي كالاتي:

أولاً: التناسب بين الأطراف (الاختتام مع الافتتاح).

أي أن هناك تناسباً بين آخر آل عمران وأول النساء، وهو من وجوه المناسبات بين السور التي أشار إليها الزركشي بقوله: "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة

(١) الزركشي، البرهان، ج١، ص١٩٤.

(٢) الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي، ط١، دار النهضة، مصر، ج١، ص٢٣

قبلها ثم يخفى تارة ويظهر تارة".^(١) ومن أمثلته في السورة:

أ. "اختتمت آل عمران بالأمر بالتقوى في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران: ٢٠٠)، وافتتحت سورة النساء بالأمر بها حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾

(النساء: ١)، وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور.^(٢)

ب. اختتمت آل عمران بعدة آيات جاء فيها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ

عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥) ثم جاءت سورة النساء تتحدث عن

هذه الأنثى وحقوقها ودورها في المجتمع .

ج. اختتمت آل عمران بذكر جزاء المتقين: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٨) وافتتحت سورة النساء

بالأمر بالتقوى.

د. اختتمت آل عمران ببناء الذين آمنوا وافتتحت النساء ببناء الناس، ولم يفصل بينهما سوى

البسمة التي ذكرت اسمي الرحمن الرحيم، أي الرحمة العامة للناس والخاصة بالمؤمنين.

هـ. تضمنت سورة آل عمران في آخرها أمرين؛ أحدهما وحدة الأصل بين الجنسين والعدل في

الجزاء الإلهي، وعدم تضييع أي عمل من أعمال الجنسين، ثم جاءت سورة النساء في أولها

تبيين خلق الله للناس من نفس واحدة، ثم تكرر التأكيد في السورة على إيتاء النساء حقوقهن

على قدم المساواة مع الرجال، فإله لا يظلم أحداً، ويدعو المؤمنين أن لا يظلموا النساء

ويؤتوهن حقوقهن.^(٣)

(١) الزركشي، البرهان، ج١، ص٣٨

(٢) السيوطي، قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ج٢، ص٦٧٩.

(٣) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص٨٣

و. في خاتمة آل عمران قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠) ، وفي بداية النساء ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (النساء: ١) إذن

"صار الخطاب عاما للمؤمنين، وفي خاتمة آل عمران يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا

ورابطوا واتقوا الله وأنتم أيها الناس اتقوا ربكم إذن كلكم مأمورون بالتقوى، والمؤمنون هم فئة

من الناس والناس أعم، والمؤمنون أمرهم بأكثر من التقوى الصبر والرباط، ثم التفت إلى

الناس بالتقوى؛ لأن ليس كل الناس عندهم استطاعة فمنهم الضعيف والمريض أما المؤمنون

فخصهم بالمرابطة، وهنا علاقة الخاص بالعام، المؤمنين والناس وبين التقوى وغير التقوى

إذن صار ارتباط الأمر للمؤمنين والعموم والناس".^(١)

ثانيا: التناسب في التفصيل والإجمال:

ومن هذا النوع من التناسب الكثير في السور القرآنية، حيث إن كل سورة تضع الأساس الذي

ستكمله السورة التي تأتي بعدها كما يقول الشيخ سعيد حوى^(٢)، وتأتي السورة التالية مفصلة لبعض

المواضيع ومجملة لبعضها، وتلقي الضوء من زاوية أخرى على الموضوع نفسه لتعالجه في جانب

آخر من جوانبه ومن الأمثلة على ذلك:

أ. سورة آل عمران ذكرت فيها قصة أحد مستوفاة، في حين ذكر في سورة النساء ذيلها وهو

قوله سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ (النساء: ٨٨) فإنها نزلت لما اختلف الصحابة رضي

(١) السامرائي، فاضل صالح ، برنامج لمسات بيانية، الناشر: موقع إسلاميات، <http://www.islamiyyat.com/lamsat.htm>

(٢) ويؤكد الشيخ سعيد حوى على الوحدة الموضوعية في القرآن، وأن كل سورة في القرآن تعد محورا من محاور سورة البقرة، فقد أكملت

بالتفصيل ما بدأته سورة آل عمران ووضعت الأساس الذي ستكمله سورتنا المائدة والأنعام، ينظر: حوى، سعيد، الأساس في التفسير،

الله عنهم فيمن رجع من المنافقين من غزوة أحد^(١) ففي صحيح مسلم "أن النبي ﷺ لما خرج إلى أحد رجع ناس ممن كان معه، فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم فرقتين، فقال بعضهم: نقلتهم وقال بعضهم: لا، فنزل قوله ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ (النساء: ٨٨) " (٢)

ب. لما قال تعالى في سورة آل عمران في حق المنتشابه من القرآن: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧) قال في سورة النساء مفصلاً في صفة الراسخين في العلم ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٦٢).

ج. وقد قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (آل عمران: ١٤) فصل هذه الأشياء في سورة النساء على نسق ما وقعت في آية آل عمران؛ ليعلم ما أحل من ذلك فيقتصر عليه، وما حرم فلا يتعدى إليه، ففصل في هذه السورة أحكام النساء ومن يباح نكاحهن ومن يحرم منهن ولم يحتج إلى تفصيل البنين لأن الأولاد أمر لازم للإنسان لا يترك منهم شيء كما يترك من النساء فليس فيهم محرم يحتاج إلى بيانه، ومع ذلك أشير إليهم في قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْشُرَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩) كما فصل في سورة النساء ذكر البنين في أمر الميراث، لأنه لما أخبر بحب الناس لهم وكان من ذلك إيثارهم على البنات في الميراث وتخصيصهم به دونهن، تولى قسمة الميراث بنفسه وقال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (النساء: ١١) وقال تعالى أيضاً: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

(١) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ج ٢، ص ٩٧٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، ح: ٢٧٧٦، ج ٤، ص ٢١٤٢.

وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرًا نَصِيحًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ (النساء: ٧) فجاءت الآية رداً على ما كانوا

يصنعون من تخصيص البنين بالميراث لحبهم إياهم. (١)

د. "لما ذكر الله تعالى في سورة آل عمران أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين

بقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

(آل عمران: ١٩٥) على المجازاة، وأخبر أن بعضهم من بعض في أصل التوالد، نبه تعالى في

أول هذه السورة على إيجاد الأصل وتفرع العالم الإنساني منه؛ ليحث على التوافق والتوالد

والتعاطف وعدم الاختلاف، ولينبه بذلك على أن أصل الجنس الإنساني كان عابداً لله مفرداً

إياه بالتوحيد والتقوى طائعاً له، فكذلك ينبغي أن تكون فروعها التي نشأت منه فنادى تعالى

نداءً عاماً للناس، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر". (٢)

ثالثاً: التناسب في الموضوعات :

ويتمثل بالأمثلة الآتية:

أ. كثر الحديث عن الجهاد في سورة آل عمران والتي جاءت تُعَلِّقُ على غزوة أُحُدٍ وكثر الحديث

عن الجهاد أيضاً في سورة البقرة، وعندما جاء الحديث عن الجهاد في هاتين السورتين جاءت

سورة النساء تتحدث عن الجهاد واما يتحقق به، وهو العدل بين الأفراد، وإنصاف المرأة ورعاية

شؤون الضعفاء، ولن تتحقق ثمرة الجهاد إلا بتطبيق هذا العدل.

(١) السيوطي، قطف الأزهار، ج٢، ص٦٨٠

(٢) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، ١٤٢٠هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر -

بيروت، ج٣، ص١٥٣، وينظر التفسير التحليلي للقرآن على صدر سورة النساء، صبري المتولي، ١٤٢٣-٢٠٠٣، كلية الآداب،

جامعة الناصرة، مكتبة زهراء الشرق.

ب. أمر الله تعالى في سورة آل عمران المؤمنين بمواجهة العدو، وذلك يؤدي إلى سقوط شهداء يخلفون وراءهم أرمال وأيتاما، فأتبع ذلك في سورة النساء الأمر بإنصافهن واليتامى بالإحسان إليهم زيادة تأكيد لهذه الأحكام.^(١)

ج. مهدت سورة آل عمران لتكريم المرأة في قصة زوجة عمران ومريم اللتين هما رمز الثبات في الأرض، ولأن النساء هن مصانع الرجال والأجيال سميت سورة النساء بهذا الاسم تكريماً لهن ولدورهن في الأمة.

د. جاءت سورة البقرة وحددت المنهج الذي يجب أن يتبعه الذين استخلفهم الله في الأرض وسورة آل عمران ركزت على الثبات على المنهج، وتأتي سورة النساء لتدلنا على أن العدل والرحمة هما أساس المسؤولية في الأرض.

هـ. ذكرت محاجة اليهود والنصارى في كلتا السورتين، وذكر شيء عن المنافقين وأحكام القتال في كل منهما.^(٢)

و. قدمت سورة آل عمران نموذجاً قوياً عملياً واقعياً عن الأسرة المسلمة القوية، وكما أن الجهاد يحمي الأسرة فإن الذي يحقق النصر هو تماسك الأسرة، فجاءت سورة النساء تقدم هذا النموذج في المجتمع المتكافل بتكافل أسرته وتماسكها.

ولو أمعنا النظر في سورة النساء وجدنا الكثير مما ذكر فيها مفصلاً لما ذكر في سورة آل عمران وبذلك يظهر الارتباط ما بين السورتين.

(١) عتر، نور الدين، أحكام سورة النساء، ص ١٢

(٢) رضا، محمد رشيد بن علي (ت ١٣٥٤هـ)، المنار=تفسير القرآن الحكيم، ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب. وينظر مبحث

علاقة سورة النساء بغيرها في موضوع أهل الكتاب من الرسالة، ص ٩٣

المطلب الثاني: تناسب سورة النساء مع سورة المائدة

من أهم موضوعات سورة المائدة إبطال ألوهية عيسى عليه السلام، وتوبيخ الكفرة على اعتقادهم الفاسد وافتراءهم الباطل. (١) وقد تناسبت سورة النساء مع المائدة بعدة أمور منها:

أولاً: تناسب الأطراف (الاختتام مع الافتتاح)

تناسب ختام سورة النساء مع فواتح سورة المائدة كالاتي:

أ. جاء في أواخر سورة النساء نداء الناس، وافتتحت المائدة بنداؤ الذين آمنوا ليرجع التكامل ذاته بين العموم والخصوص.

ب. اختتمت سورة النساء بالميراث وهو العلاقة المالية التي ألزمتنا بها الشرع، وافتتحت المائدة بذكر العقود ومنها العلاقات المالية التي ألزمتنا أنفسنا بها.

وفي ذلك يقول الإمام السيوطي: "سورة النساء اشتملت على عدة عقود بعضها صريح

وبعضها ضمن العقود الصريحة، عقود الأنكحة وعقد المعاهدة والحلف، ومن العقود

الضمنية عقد الوصية والوكالة والعارية وغير ذلك من العقود الداخلة تحت قوله تعالى ﴿ إِنَّ

اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨) فناسب أن يعقب ذلك بسورة مفتوحة بالأمر

بالعقود فكأنه قيل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (المائدة: ١) التي فرغ من ذكرها في

السورة التي تمت، فكان ذلك غاية التلاحم والترابط. " (٢)

(١) ينظر البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ)، معالم التنزيل، ط ٤ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار طيبة، ج ٢، ص ٣٥٤

وينظر الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن

بالقرآن، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر للطباعة - بيروت، ج ١، ص ١٨١.

(٢) السيوطي، قطف الأزهار، ج ٢، ص ٧٨٢

ج. لما افتتحت سورة النساء ببدء الخلق، ختمت سورة المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء،

فكانها سورة واحدة اشتملت على الأحكام من المبدأ إلى المنتهى. (١)

د. ورد في ختام سورة النساء تقسيم الميراث وتقسيم العلاقات المالية مع الأقرباء، أما أول

المائدة فهي علاقات مع الآخرين، إذن خاتمة النساء وأول المائدة تنظيم للعلاقات بين أفراد

المجتمع عموماً حيث بدأ من الأقربين إلى عموم المجتمع.

ثانياً: التناسب في التفصيل والإجمال.

أ. لما وقع في سورة النساء قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ

اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٥) حيث نزلت هذه الآية في قصة سارق مسلم،

اتهم يهودياً بالسرقة، وقد علم مسلم آخر بالأمر وشهد زوراً حتى لا يفضح أمر المسلم،

فنزلت هذه الآية وأطلع الله رسوله على الأمر؛ حتى يبين أن العدل يجب مع المسلمين

وغيرهم^(٢)، ثم فصل سبحانه وتعالى أحكام السارقين والخائنين في سورة المائدة.

ب. لما ذكر سبحانه في سورة النساء أنه أنزل الكتاب إلى رسوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا

فيه، ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما أنزل الله بين الكفار، ووصف من لم يحكم

بما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق.

(١) السيوطي، قطف الأزهار، ج ٢، ص ٧٨٢

(٢) وينظر القصة في سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن موسى بن ضحاك (ت ٢٧٩هـ)، ط ٢ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، تحقيق: أحمد

محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج ٥، ص ٢٤٤. والحديث حكم عليه الألباني بأنه حسن.

ثالثاً: التناسب في الموضوع:

أ. تحدثت سورتا البقرة وآل عمران عن تقرير الأصول من الوجدانية والربوبية والنبوة بينما

جاءت سورة النساء والمائدة تقرر الفروع الحكمية والأحكام التشريعية. (١)

ب. أخبر الله تعالى في أواخر النساء أن اليهود نقضوا المواثيق، فحرم الله عليهم طيبات أحلت

لهم ﴿فِظَاهِرٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٦٠)

في حين أن سورة المائدة أمرتهم أن يفوا بالعقود لذلك قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ

لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ (المائدة: ٤) حين نقضوا المواثيق حرم عليهم، وعند الوفاء بالعقود أحل لهم.

ج. كما يوجد تناسب كبير بين الأحكام في ما بين السورتين ومنها ما قاله صاحب المنار:

"ترى أن معظم سورة المائدة في محاجة اليهود والنصارى مع شيء من ذكر المناقنين

والمشركين، وهو ما تكرر في سورة النساء وأطيل به في آخرها، فهو أقوى المناسبات بين

السورتين. وأظهر وجوه الاتصال، كأن ما جاء منه في هذه السورة متمم ومكمل لما قبلها،

وفي كل من السورتين آيتا التيمم والوضوء وحكم حل المحصنات من المؤمنات، وزاد في

المائدة حل المحصنات من أهل الكتاب، فكان متمماً لأحكام النكاح في النساء. ومن

المشترك في الوصايا العامة الأمر بالقيام بالقسط والشهادة بالعدل من غير محاباة لأحد.

وكذا الوصية بالنقوى، ومن لطائف التناسب بينهما أن سورة النساء مهدت السبيل لتحريم

الخمير، وسورة المائدة حرمتها ألبتة فكانت متممة لشيء فيما قبلها، وانفردت المائدة بأحكام

قليلة في الطعام والصيد والإحرام وحكم البغاة المفسدين وحد السارق وكفارة اليمين، وأمثال

(١) الألويسي، روح المعاني، ج٣، ص٢٢٢، "بتصرف"

هذه الأحكام من كماليات الشريعة المؤذنة بتمامها، كما انفردت النساء بأحكامهن وأحكام

الإرث والقتال وهي مما كان يحتاج إليه عند نزولها".^(١)

المطلب الثالث: التناسب بين السور الثلاث.

عندما تتظر في هذا البناء الإلهي المحكم بامعان؛ فإنك تشاهد الأمور العجيبة التي تتملك السمع والأبصار، وعندما يرتب القرآن بهذه الطريقة فلا بد من سر من أسرار هذا الإعجاز القرآني، فقد رتبت السور ترتيباً لا مثيل له على الإطلاق، وعند النظر بنظرة شمولية إلى السور الثلاث فإنك ستلحظ هذا التكامل، فهناك تناسب في كثير من الموضوعات التي شملتها السور الثلاث سواء أكان ذلك في الأسلوب أم الموضوعات كموضوع أهل الكتاب أو العبادات، وسيوضح هذا المطلب بعض الأمثلة لإثبات هذا الأمر، وإنما يحتاج ذلك إلى طول تدبر وتأمل عميق لاستخراج كنوز القرآن العظيم، وستذكر الباحثة هنا علاقات عامة في السور الثلاث؛ إنما هي تدبرات واجتهادات في موضوعات متنوعة وستدرج ضمن الجدول الآتي لتوضيح العقد المنتظم الذي تصنعه سور القرآن فيما بينها:

(١) رضا، محمد رشيد، المنار، ج٦، ص٩٧

جدول رقم (١) : التناسب بين سورة آل عمران والنساء والمائدة

افتتاح السورة		
آل عمران	النساء	المائدة
افتتحت بوصف الرب ﴿الذَّارِعَاتُ رَبَّهُنَّ الْمَوْدُوِّنَاتُ ۖ رُوِّدْنَ فِي الْعَالَمِينَ ﴿١﴾﴾	افتتحت بواجب الناس اتجاه الرب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾	افتتحت بواجب المؤمنين تجاه الناس الذين ابتدأت سورة النساء بذكرهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَالْعُقُوبَةَ﴾
التناسب في الأسلوب		
ورد نداء الذين آمنوا من أول السورة إلى آخرها	افتتحت واختتمت بندااء الناس وما بين ذلك ورد النداء بيا أيها الذين آمنوا	ورد نداء الذين آمنوا من أول السورة إلى آخرها
وبهذا صنعت السور عقدا منتظما شملت به العموم والخصوص آمنوا - الناس - آمنوا - الناس - آمنوا		
التناسب في الموضوعات		
١- موالاة غير المؤمنين		
الحديث عن موالاة غير المؤمنين بشكل عام ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨)	تخصيص الحديث عنهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤٤)	تفصيل وتحديد غير المؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٥١) وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا ذُرِّيَّتَهُمْ ذُرِّيَّةً وَوَدَّعُوا الدِّينَ وَالْآلِينَ﴾ (٥٧)
٢- نماذج أسرية (خلق آدم وخلق عيسى ابن مريم عليهم السلام)		
بين الله خلق آدم في قوله تعالى: ﴿كَمْثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (٥٩) (الزوج)	بين الله خلق زوج آدم في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (١) (الزوجة)	ذكر الله ابني آدم المخلوقين من هذا التزاوج ليبين من المجموع مفهوم الأسرة الأولى ﴿وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ آتَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ (٢٧) زوج + زوجة = (الأبناء) الأسرة الأولى
ذكر الله أم مريم وأباها ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ (٣٥)	بين الله براءة مريم وابنها من البهتان العظيم ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ (١٧١)	ذكرت مريم وابنها عيسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ﴾ (١١٦)
١- تبين من المجموع معالم أسرة ثانية ممتدة (أم، أب، ابنة، حفيد) وبيان أن النساء شقائق الرجال ولولا النساء لم يكن لأدم ذرية ولم يكن لعمران آل، فالنساء جاءت متوسطة بين هاتين السورتين، وهذا خلق متنوع كتتنوع المائدة أصله نفس ونساء. (١)		

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨)، البرهان في تناسب سور القرآن، ط١ (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص ١٩٩ حيث جاء فيه: "ولما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق وإيجاد آدم عليه السلام من غير أب ولا أم، وأعقبت بسورة آل عمران لتضمنها - مع ما ذكر في صدرها أمر عيسى عليه السلام وأنه كمثل آدم في (عدم) الافتقار إلى أب، وعلم الموقنون من ذلك أنه تعالى لو شاء لكانت سنة فيمن بعد آدم عليه السلام، (فكان سائر الحيوان لا يتوقف على أبوين، أو كان يكون) عيسى عليه السلام لا يتوقف إلا على أم فقط، أعلم سبحانه أن من عدا المذكورين عليهم السلام من ذرية آدم سبيلهم سبيل الأبوين فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً". ثم أعلم تعالى بكيفية النكاح المَجْعول سببا في التناسل وما يتعلق به."

المبحث الثالث: علاقة سورة النساء بالسور المشابهة لها في الموضوعات

هذا المبحث يتحدث عن أهم الموضوعات التي ذكرتها سورة النساء، ويبين علاقتها بما ذكر من هذه الموضوعات في سور أخرى وردت فيها.

وقد اجتهدت الباحثة في تتبع موضوعات السورة فوجدت أبرزها تجتمع في سبعة موضوعات وهي موضوع العدل، وموضوع اليتامى، وموضوع النساء، وموضوع المستضعفين، وموضوع أهل الكتاب، وموضوع الجهاد و دور المنافقين فيه، وموضوع المال. ،وسيكون منهج هذا المبحث إعطاء فكرة عامة عما تحدثت به السور الأخرى عن الموضوع الذي جاءت تركّز عليه سورة النساء، ثم البحث عن التناسب العام بين هذه السور كلها، ومن ثم تحديد السورة المحورية في حديثها عن هذا الموضوع لإظهار ما امتازت به سورة النساء وبما جاءت به من جديد في عرض الموضوع.

المطلب الأول: علاقة السورة بغيرها في موضوع العدل:

كان الرابط بين موضوعات السورة العدل الذي هو "أساس التعامل الأمثل بين العبد وخالقه، وبين البشر أنفسهم حكماً ومحكومين، أفراداً وجماعات، والعدل مطلب أخلاقي كريم في جميع الشرائع؛ لأنه قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالود والبغض".^(١)

ومما جاء في الحديث عن العدل في القرآن ما يأتي:

(١) الألمعي، زاهر بن عواض، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط١، ١٤٠٥هـ، ص ٤٠

سورة البقرة:

١- الأمر بإقامة العدل مع الخصم عند حديثها عن التشريع الجهادي الذي يتحدث عن حماية الدين الحق في حال أي خطر متوقع عليه، والمعاملة بالمثل حق لا ينبغي الزيادة عليه إلا بالإحسان. (١)

٢- الأمر بالعدل مع الناس بالحق، وإقامته بينهم في حال التداين، أو في حلّ المعاملات المالية والأمر بالكتابة بالعدل والقسط حفاظاً للحقوق. (٢)

سورة آل عمران:

١- الأمر بالقسط ومدح المقيمين له، و وصف أهل العلم به. (٣)

٢- التوعد بالعذاب الأليم لمن يمنع أن يُقام العدل في الأرض للذي يقتل أصحابه. (٤)

سورة المائدة: ١- الأمر بالقسط والعدل في أمور الحكم والعلاقات السياسية والعدل بين الناس. (٥)

٢- أمر الرسول ﷺ بالحكم بالقسط بين أهل الكتاب، والثناء على

المقسطين. (٦)

سورة الأنعام: ١- عدم جواز تحكيم غير الله في أمورنا وعدم تحكم الأهواء. (٧)

٢- الأمر بالعدل في أموال اليتامى وفي القول حتى مع أقرب الناس لنا. (٨)

سورة الأعراف: الأمر بالقسط وذكره مع الآية التي تحت على الصلاة وهذا دلالة على أهميته

ووجوبه كأهمية الصلاة. (٩)

(١) ينظر الآية (١٩٤) من سورة البقرة

(٢) ينظر الآية (٢٨٢) من سورة البقرة

(٣) ينظر الآية (١٨) من سورة آل عمران

(٤) ينظر الآية (٢١) من سورة آل عمران

(٥) ينظر الآية (٨) من سورة المائدة

(٦) ينظر الآية (٤٢) من سورة المائدة

(٧) ينظر الآية (١٥٢) من سورة الأنعام

(٨) ينظر الآية (١٥٢) من سورة الأنعام

سورة هود : الأمر بالعدل بين الناس. (٢)

سورة النحل : ١- الأمر بالعدل بين الناس (٣)

٢- الأمر بإقامة العدل مع الخصوم. (٤)

سورة الحج : الأمر بإقامة العدل مع الخصوم. (٥)

سورة الأحزاب: ١- الأمر بما هو قسط عند الله عز وجل؛ لأن السورة تزيد أن تقرر مبدأ أن

المجتمع الإسلامي يجب أن يكون على حد سواء في نظر الإسلام، ولا يجب

التحيز لحزب أو الحكم باتباع الهوى، وهي تأمر بما هو قسط عند الله لا بما

تهوى الأنفس فشرع الله أولى بالاتباع من الهوى. (٦)

٢- العدل الإلهي في تطبيق الشرع على آل البيت وأهل القائد أولاً، كالأحكام

التي جاءت في سورة الأحزاب والتي تخص بيت النبوة.

سورة ص: القضاء بين الناس بالحق، وعدم تحكم الهوى في الحكم. (٧)

سورة الشورى: الأمر بالعدل في الحكم بين الناس وفي الخلافات السياسية مع ولي الأمر. (٨)

سورة الحجرات: تأمر الخلق صراحة بالعدل والقسط، وثناء الله على المقسطين. (٩)

سورة الحديد: تعال الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب لقيام القسط بين الناس. (١٠)

سورة الممتحنة: الأمر بالقسط والعدل؛ لأنه شعار المؤمن بالله والنهي عن موالاة أعداء المسلمين

والأمر بالعدل حتى مع الكافر. (١)

(١) ينظر الآية (٢٩) من سورة الأعراف

(٢) ينظر الآية (٨٥) من سورة هود

(٣) ينظر الآية (٧٦) من سورة النحل

(٤) ينظر الآية (٩٠) من سورة النحل

(٥) ينظر الآية (٦٠) من سورة الحج

(٦) ينظر الآية (٥) من سورة الأحزاب، وهذا المعنى مستلهم من قوله تعالى: "ادعهم لأبائهم"

(٧) ينظر الآية (٢٦) من سورة ص

(٨) ينظر الآية (١٥) من سورة الشورى

(٩) ينظر الآية (٩) من سورة الحجرات

(١٠) ينظر الآية (٢٥) من سورة الحديد

أما سورة النساء فإنها امتازت بشمولها جميع هذه الموضوعات، بل أسهبت في موضوع العدل حيث إنها:

أولاً: استهلكت الحديث عن بداية الخلق من نفس واحدة، والذي هو أساس العدل بين الناس في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١). ويدور محور سورة النساء حول مبدأ العدل في حياتنا كلها بجوانبها مجتمعة ، وهذا إنما انبثق مما قررته الآية الأولى فيها من إرساء لمبدأ المساواة فلا فرق بين عربي ولا أعجمي، ولا أسود ولا أبيض؛ لأننا خلقنا من نفس واحدة، وإنما يكون التفاضل بالتقوى، ولولا هذه القاعدة التي أقرتها سورة النساء في بدايتها لاختل ميزان العدل واضطرب.

ثانياً: تأمر بالقسط في اليتامى، وتأمّر بالعدل بين النساء في مهورهن أو في ميراثهن، سواء كن هؤلاء النساء زوجات أم بنات، وتساوي فيما بينهم في المعاملة الإنسانية والمعاملة المادية، من خلال ربط هذه الأحكام بمدلول كلمتي القسط والعدل حيث إن العدل أعم من القسط، وعلى رأي الراغب الأصفهاني فإن العدل لفظ يحمل مفهوم المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. (٢) "والقسط يعني النصيب العادل". (٣) وأيضاً فإن القسط ضده الجور، والعدل ضده الظلم، كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَرُبْعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاجِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْوُوا﴾ (النساء: ٣) فإن القسط يكون في الأمور المادية، أما العدل يكون في الأمور المادية والمعنوية.

(١) ينظر الآية (٨) من سورة الممتحنة

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن ، ط١ (١٢٤١هـ)، تحقيق: صفوان

عدنان داوودي، دار العلم والدار الشامية، دمشق - بيروت، مادة عدل

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن ، مادة قسط

ثالثاً: تأمر بالعدل حتى مع السفهاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (النساء ٥) فلا يجوز ظلم هذه الفئة أو استغلالها بحجة السفاهة، أو عدم استطاعتهم تدبيرهم شؤون حياتهم.

رابعاً: توزيع الأموال عند الميراث يكون بالعدل، كما يشترك الرجل والمرأة بقدرٍ متساوٍ إذا كانا قد خرجا من دائرة الإنفاق على الآخرين كالأب والأم والجد والجدة. (١)

خامساً: أمرت السورة بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل بين الناس عامة، في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء ٥٨).

سادساً: عدم أكل أموال الناس بالباطل، سواء أكانوا يتامى أم غيرهم؛ لأن هذا من الظلم وعدم العدل ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء ٢٩).

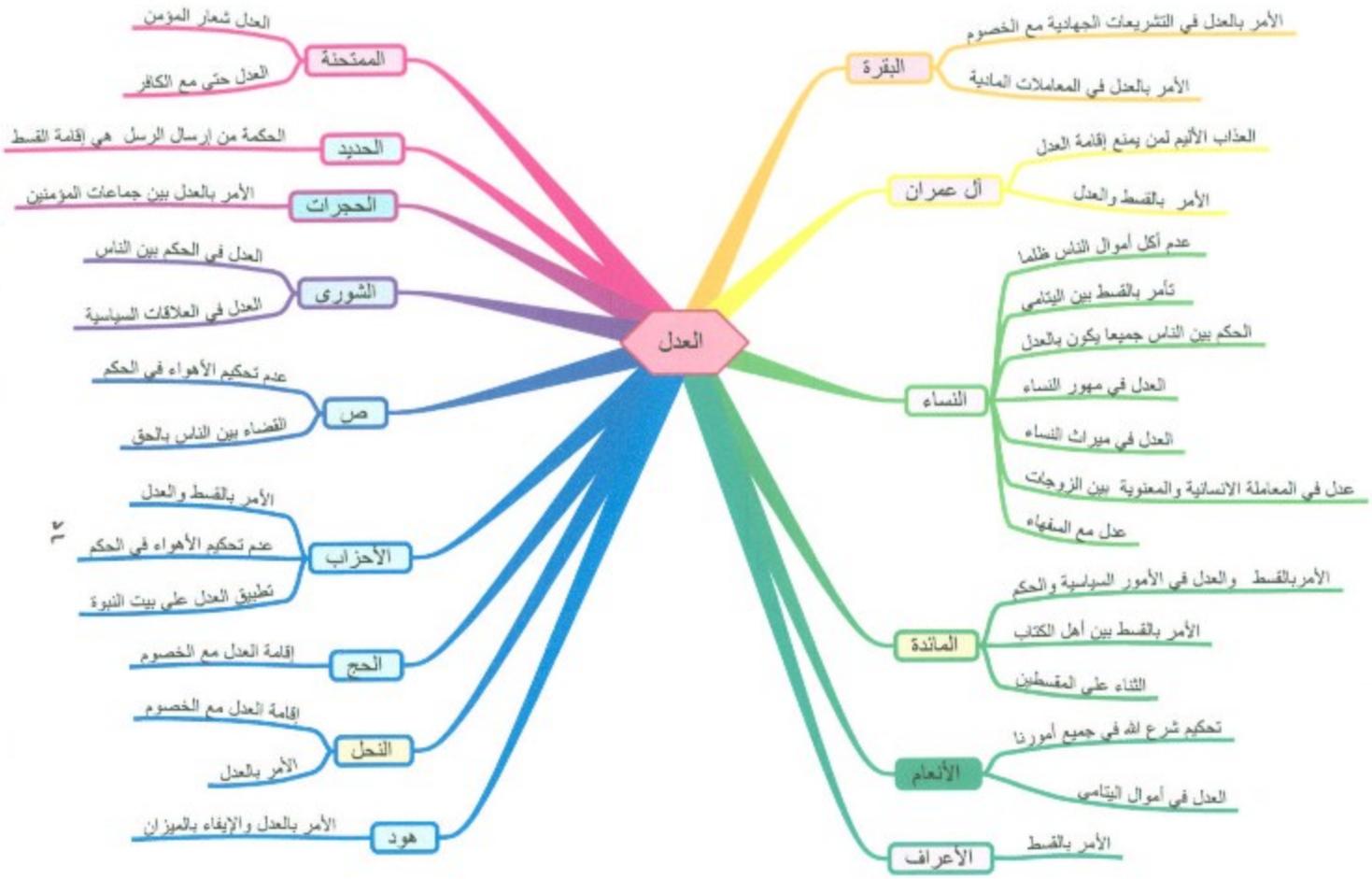
سابعاً: يجب أن يكون الحكم بين الناس سواء في العلاقات البشرية أم السياسية بالعدل والقسط. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء ٥٨).

ثامناً: العدل حتى مع غير المسلمين كما في قوله تعالى آية ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء ١٠٥).

وهكذا تأتي سورة النساء جامعة لكل مدلولات العدل والقسط وتنزيه الله عن الظلم، متميزة عن باقي سور القرآن التي أشارت كل واحدة منها إلى موضوع واحد أو موضوعين دونما تفصيل كما فصلت به سورة النساء فتكون بحق سورة العدل.

والخريطة الذهنية الآتية تلخص علاقة سورة النساء بغيرها مع معظم السور القرآنية التي تحدثت عن العدل.

(١) ينظر الآية ١١-١٢ من سورة النساء



مخطط رقم 2
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن العدل

المطلب الثاني: علاقة السورة بغيرها في موضوع اليتامى

ذكر الله اليتيم بمشتقاته: (يتيم، يتامى، يتيمين) في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة في اثنتي عشرة سورة، وهذا العدد ليس بالهين مقارنة ببعض الموضوعات التي لم يتطرق لها القرآن سوى مرة أو مرتين، لتصل بورودها في القرآن ولو لمرة إلى مرحلة القدسية والوجوب، فكيف بما تكرر إحدى وعشرين مرة، ويُلاحظ أن القرآن تحدث عن اليتامى من جوانب عدة منها:

أولاً: حقهم في الأموال والنفقات العظمى للدولة كما جاء في سورتي الأنفال والحشر. (١)

ثانياً: حقهم في الأموال والنفقات الصغرى للأفراد، كما أشارت لذلك سورة البقرة وسورة الإنسان وسورة البلد تحدثت عن النفقات التطوعية. (٢)

ثالثاً: راعى القرآن حقهم في الإحسان إليهم بمخالطتهم وإكرامهم، كما أشار لذلك في سورة البقرة وسورة الفجر وسورة الضحى. (٣)

رابعاً: حقهم في حفظ أموالهم وحرمة الاعتداء عليها، كما ورد في سورة الأنعام وسورة الإسراء. (٤)

خامساً: اقتران الإيمان بالإحسان إلى الأيتام كما جاء في سورة الماعون. (٥)

هكذا جاء الحديث باختصار عن اليتامى في سور القرآن.

بينما جاءت سورة النساء تتكلم عن جملة التشريعات لليتامى في تنظيم شؤونهم في ظل المجتمع المتكافل، حيث جُعِلت أول قضية اهتمت بها بعد إقرار مبدأ المساواة، وهم أول من تحدثت عنهم

(١) ينظر الآية (٤١) من سورة الأنفال و الآية (٦) من سورة الحشر.

(٢) ينظر الآية (٢١٥) و(٢٢٠) من سورة البقرة والآية (٨) من سورة الإنسان والآية (١٥) من سورة البلد

(٣) ينظر الآية (٨٣) و (٢٢٠) من سورة البقرة والآية (١٧) من سورة الفجر والآية (٩) من سورة الضحى

(٤) ينظر الآية (١٥٢) من سورة الأنعام والآية (٣٤) من سورة الإسراء

(٥) ينظر الآية (١) و(٢) من سورة الماعون

لأن اليتامى يجتمع فيهما ضَعْفَانِ إِنْ كَانُوا مِنَ النِّسَاءِ؛ ضَعْفٌ كَوْنُهُمْ نِسَاءً وَضَعْفٌ كَوْنُهُمْ يَتَامَى.

وقد وضعت جملة من التشريعات لتحقيق هذا التكافل يمكن تلخيصه بالآتي: (١)

أولاً: حفظ أموال اليتامى.

ثانياً: إصلاح هذه الأموال بالقيام عليها، وحسن التدبير لها.

ثالثاً: الإنفاق على اليتامى من أموالهم، والعمل على أن يكون هذا الإنفاق من ربحها وثمرتها لا من

أصلها ورأسها.

رابعاً: إصلاح اليتامى في أنفسهم بتربيتهم تربية صالحة قائمة على تكريمهم، والاعتناء بشخصيتهم

وتعليمهم كل ما يكونون به مواطنين صالحين وأعضاء في المجتمع نافعين.

خامساً: ارتسام النوايا الصالحة في جميع شؤون اليتامى، أي الإخلاص لهم في رعاية أموالهم

ومصالحهم بحيث لا تتطوي النفوس على نية اغتيال أموالهم ولا مبادراتهم بتضييعها قبل أن

يكبروا والخروج عن المعروف في تقاضي الأجور، بحيث يكون الوصي بالنسبة لليتيم كأنه

أبوه أو رائده المخلص الذي لاهم له إلا أن يوفر له جميع أسباب الصلاح المادي والأدبي

والتربية القويمة.

سادساً: الإشهاد عند دفع الأموال إلى اليتامى بعد بلوغهم سن الرشد.

"وننبه أن القرآن المكي قد أمر مراراً بمراقبة الله في أموال اليتامى وحقوقهم، ولا أن يكون هذا

السبب استمراء عادة البغي عليها والإساءة فيها، فلما توطد سلطان الإسلام في المدينة اقتضت

حكمة التنزيل أن يعار الأمر اهتماماً تشريعياً، وقد بدأ ذلك فعلاً في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

(١) محمد المدني، المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، ص ١٢٨

أَلَيْتَمَىٰ قُلُّ إِصْلَاحٍ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: ٢٢٠﴾. (١)

ونبه الدكتور أحمد نوفل على هذا المعنى في إحدى محاضراته أنك لن تجد كلمة يتيم إلا في سورة مكية، وكلمة يتامى إلا في السور المدنية؛ لأن المسلمين في مكة كان إحسانهم فردياً والدولة ما زالت في بدايتها والكلام منصب على اليتيم، أما في المدينة فأصبح الحديث عن عمل مؤسسي ضمن جماعات وضمن مجتمع متكافل يهتم بشؤون اليتامى ويرعى مصالحهم.

ويلحظ أيضاً أن القرآن راعى مصالح اليتيم النفسية والمادية. وتعرضت السور المكية لهم من جانب التربية والعطف عليهم في نفوس الناس والتحذير من إيذائهم أو إهانتهم وهذا ما كان عليه أكثر القرآن حيث إنهم الفئة المستضعفة ، وكانت تنبه إليهم بإشارات دون التفصيل حيث إن الخطاب في السور المكية هو خطاب لجميع الناس فهو خطاب عام يشمل المكلفين وغيرهم.

أما السور المدنية فجاءت تعالج الأمرين معاً، وتقرر حقوق اليتامى، وتؤكد على ما جاءت به السور المكية وسورة النساء امتازت بأنها أولت الاهتمام بهذا كله، وجاءت بموضوعات تخص اليتامى تتناسب وموضوع الضعف فيهم من حيث رعاية حق اليتيمات في مهر المثل كما في قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَلٍ لِّذَلِكَ وَرُبِمَّا خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فَوَاحِدَةً

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿النساء: ٣﴾ ففي هذه الآية اعتناء بأمر اليتامى المادي والنفسي

معاً.

(١) دروزة ، محمد عزت ، التفسير الحديث، ط ١ ، ١٣٨٣ هـ ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، ج ٨ ، ص ١٢

ووضعت الوصاية المالية على الأيتام القُصر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ

اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝٥﴾ وَأَبْنُوا الِيتِمَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ

بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ (النساء ٥-٦). وذكرت ضعف اليتيم

القاصر السفيه صاحب المال الضعيف جداً، وأكدت معنى الإحسان إليهم كما في قوله تعالى:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ

وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ۚ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ (النساء ٣٦)."

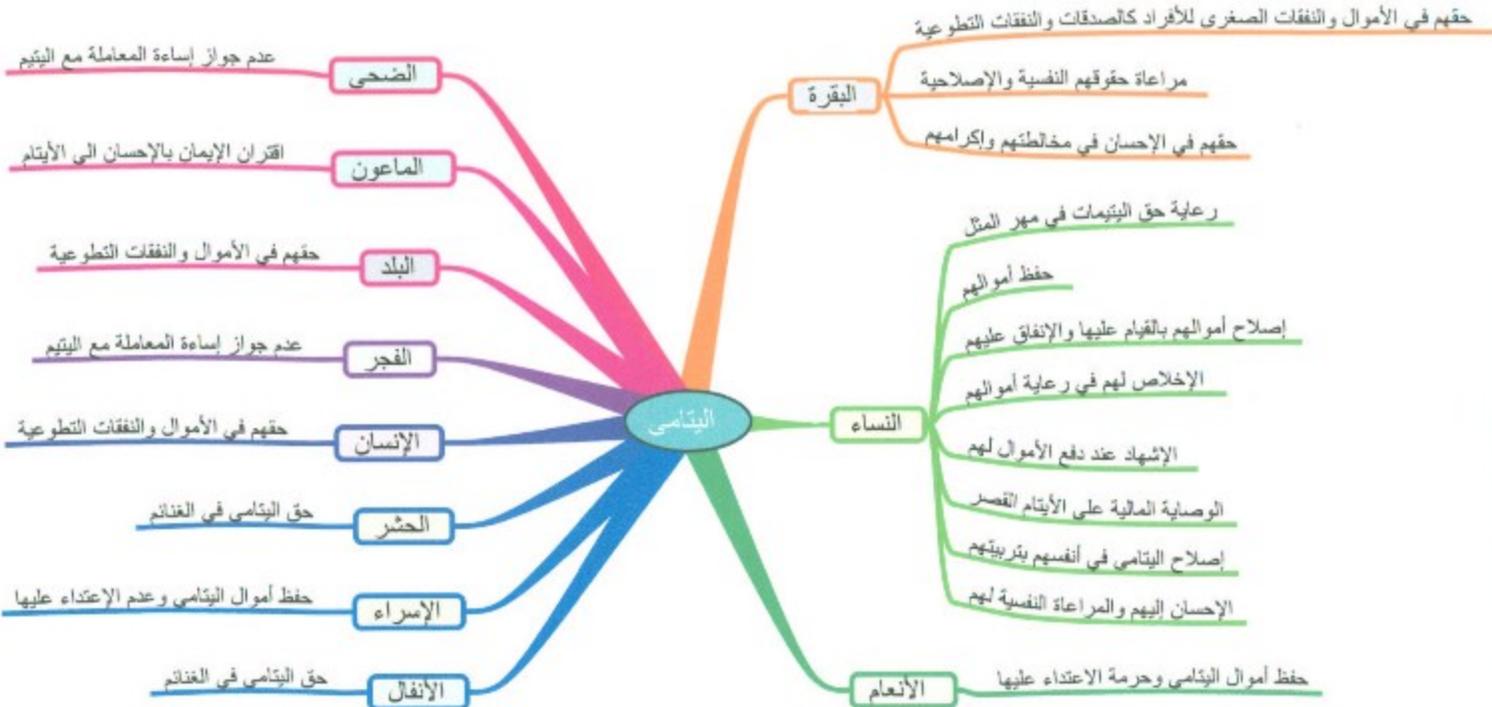
"وهكذا تتسق مبادئ القرآن في المكي والمدني من القرآن، وتتطور في المدني وفقاً لتطور حالة

المجتمع الإسلامي فتغدو تشريعاً بعد أن كانت تنبيهاً ووعظاً وإنذاراً." (١)

والخريطة الذهنية الآتية تلخص علاقة سورة النساء بغيرها مع جميع السور القرآنية التي تحدثت

عن اليتامى.

(١) دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، ج٨، ص١٢



مخطط رقم 3
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن اليتامى

المطلب الثالث: علاقة السورة بغيرها في موضوع النساء

حظيت المرأة باهتمام القرآن الكريم، وقد تحدثت الكثير من الآيات عن المرأة بجميع جوانب حياتها سواء الدينية أو الإنسانية أو الزوجية أو الاجتماعية أو السياسية، وهذا يدل على رعاية القرآن للمرأة بحفظ حقوقها من جميع النواحي.

وقد اهتمت سور عديدة بالمرأة كما جاء في سورة البقرة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والتحريم والنمل والقصص والطلاق، ومنها ما خُصَّصَ باسم من أسمائها كسورة مريم، ومنها ما خص بجميع جوانبها كسورتنا هذه (النساء).

وسيُبحث ما جاء في القرآن في حديثه عن النساء باختصار، لبيان ما امتازت به سورة النساء عن غيرها في الحديث عن النساء وأحكامهن وجوانب حياتهن.

سورة البقرة:

١- تتحدث عن النساء كحالة مستضعفة، حيث تتحدث عن المرأة في حكم فرعون وكيفية ذلها

واستخدامها واستحلالها وهذه حال جميع النساء في الجاهلية القديمة.^(١)

٢- جاءت تتحدث عن الصلة التي تقع بين الزوجين والتي تستر كلاً منهما وتقيهُما باعتبار أن

كلاً منهما ستراً وحافظاً للآخر، فهو في ظل حكم شرعي ضمن أحكام الصيام لا ينسى أن

يقرر العلاقة الزوجية الراقية بين الزوجين، وهذا إنما يدل على تكريم المرأة وتكريم العلاقة

الزوجية، فقد راعى هنا الحقوق الجسدية والنفسية ضمن حقوق الله سبحانه وتعالى.^(٢)

(١) ينظر الآية (٤٩) من سورة البقرة

(٢) ينظر الآية (١٨٧) من سورة البقرة

٣- تتحدث عن جوانب من تنظيم الأسرة لتطهيرها من فوضى الجاهلية، وتتحدث عن أحكام أولها النهي عن زواج المسلم بمشركة وعن تزويج المشرك بمسلمة، والحكم الثاني يتعلق بالنهي عن مباشرة النساء في الحيض، والحكم الرابع حكم الإيلاء، والحكم الخامس حكم عدة المطلقة، والحكم السادس حكم عدد الطلقات، ثم حكم استرداد شيء من المهر والنفقة في حالة الطلاق، وحكم الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان بعد الطلاق، وحكم الرضاعة والاسترضاع والأجر، وحكم التعريض بخطبة النساء في أثناء العدة، وحكم المطلقة بعد العدة وحكم المتعة للمتوفى عنها زوجها وللمطلقة.^(١) كما أنه أقر لها حق الشهادة لإقامة العدل وإحقاق الحق وفي هذا تكريم للمرأة في اعتبارها إنساناً سوياً صاحبة عقل.^(٢)

سورة آل عمران:

١- تحدثت عن النساء عندما ذكرت شهوات الإنسان والمتمثلة بالنساء والبنين والأموال وغيرها وتأمراً بضبطها.^(٣)

٢- وقد ذُكرت المرأة في سورة آل عمران كنموذج إيماني من النساء.^(٤) وأي تكريم للمرأة عندما يذكر اسمها في القرآن، بل تعرض سياق قصتها على أنها نموذج حي للإيمان سواء أكانت امرأة عمران أم مريم، فكلها كانت تتحدث عن نموذج الأسرة المسلمة التي جاءت سورة النساء فيما بعد تؤكدها.

سورة المائدة: ذكرت المرأة الكتابية حيث أبيض الزواج منها، وهذا يؤكد السماحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين من أهل الكتاب، بحيث يجعل طعامهم حلالاً لهم، ويجعل العفيفات من

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، وينظر الآيات من سورة البقرة (٢٤٢-٢٦٢)

(٢) ينظر الآية (١٨٧) و (٢٢٢) من سورة البقرة

(٣) ينظر الآية (١٤) من آل عمران

(٤) ينظر الآية (٣٥) و (٣٦) من آل عمران

نسائهم طبيبات للمسلمين، ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات، وهذا من سماحة الإسلام، وشرط جلِّ المحصنات الكتابيات هو شرط جلِّ المحصنات المؤمنات. (١)

فانظر كيف كرم الإسلام ليس فقط المرأة المسلمة، بل كرمها حتى وهي غير مسلمة، حيث كرم المرأة على كل حال حين أمر بحفظها وعدم السماح لها بأن تكون لأي رجل، فإنه جاء ليطهرها ويرفع مكانتها، وهذا ما جاءت سورة النساء تؤكد عليه وتقرره أيضاً.

سورة الأعراف:

- ١- ذكرت المرأة في سياق الحديث عن قوم لوط، والتذكير بأن المرأة مما جُبلت النفس على حبها، وباعتبار الميل الطبيعي لها. (٢)
- ٢- تقرير ظلم المرأة في العصور الغابرة والطغيان في كل مكان وفي كل زمان (٣) لا فرق بين وسائله قبل عشرات القرون والأعوام، فما نحن نرى النساء المضطهدات في كل مكان من قبل الأنظمة الظالمة، ونرى كيف استبيحت المرأة في ظل هذا الطغيان فكانت رمزاً للاستضعاف في كل مكان، وهذا ما جاءت تؤكد وتقرره سورة النساء أيضاً .
- ٣- ذُكرت النساء كإشارة إلى العلاقة الزوجية التي تربط بين الزوجين بجعل كل واحد منهما سكناً للآخر، بعد أن كانت الديانات المحرفة تعد المرأة أصل البلاء الإنساني وتعتبرها لعنة ونجساً وفخاً للغواية، فتعرض وتصور العلاقة بين الزوجين ومن ثم تصف المرحلة الثانية وهي الحمل والولادة، كما لهذه الآية إشارة نفسية إلى مراعاة تعب المرأة في حملها كما لها إشارة تربية تجاه الآباء لأبنائهم فالأم هي محضن هذا الزرع وهؤلاء الأولاد

(١) ينظر الآية (٥) من سورة المائدة

(٢) ينظر الآية (٨١) من سورة الأعراف

(٣) ينظر الآية (١٢٧ و ١٤١) من سورة الأعراف

الذين تـرجو من الله لهم أن يكونوا صالحين، وفيه دلالة إلى تربية الأم واهتمامها بأولادها وحبها لهم^(١) وسيؤكد هذا المعنى أيضاً في سورة النساء .

سورة يوسف: جاءت القصص المتعلقة بالنساء، وذكر الامتحان والابتلاء بفتنة النساء وكيدهن وإنما الكيد لا يكون إلا من الضعيف.^(٢)

سورة إبراهيم: تعرضها كحالة مستضعفة من قبل بني إسرائيل.

سورة النحل:

١- تعرض المرأة فيها كونها حالة مستضعفة في عصر الجاهلية، واعتبار وجودها عاراً على أهلها^(٣)، وقد جاءت هذه الآية في سورة النحل وهي سورة النعم؛ لبيان أن المرأة نعمة من نعم الله وليست نقمة كما كان ومازال بعض الناس يعتبرونها. "فالأنثى نفس إنسانية إهانتها إهانة للعنصر الإنساني الكريم وأدها قتل للنفس البشرية".^(٤)

٢- تقرير بأن هذه العلاقة الزوجية ليست علاقة شهوانية فقط، وإنما هي لإنشاء الذرية ولإيجاد التماسل.

سورة النور:

١- ترسي قواعد الابتعاد عن الفاحشة والزنا، وتأتي بأحكام عديدة وآداب عامة لحفظ العرض والعورات لحماية الأسرة وصيانة المجتمع، بحرمة قذف المحصنات وحرمة قذف الزوجات وحكم اللعان.^(٥)

(١) ينظر الآيات (١٩٨-١٩٠) من سورة الأعراف

(٢) ينظر الآية (٢٨) من سورة يوسف

(٣) ينظر الآية (٥٨-٥٩) من سورة النحل

(٤) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٧٨

(٥) ينظر الآيات (٩-٢) من سورة النور

٢- اختيار الزوجة الصالحة، وتربية الأطفال على الآداب الإسلامية، والترغيب في الزواج الذي هو فطرة ربانية، وتدعو إلى الاستغفار في من فقد أسباب الزواج، وتحذر من الفاحشة (١) وقد عرضت سورة النساء لهذه المواضيع أيضاً.

سورة النمل : تعرضت لقوة شخصية المرأة، والدليل على اهتمام القرآن بشخصيتها عندما ذكّر قصة ملكة سبأ وذكر حكمتها ورشدها وذكائها، وكيف كانت تشاور في شؤون حكمها، وهذا إن دل فإنه يدل على اعتناء القرآن بشخصية المرأة السياسية في أدق جوانبها، ودلالة على أن الإسلام كرم المرأة وأعطاهم حقها في ممارسة الأمور السياسية (٢)

سورة القصص : ١- تذكر المرأة في حالتها المستضعفة. (٣)

٢- إظهاراً لشخصية المرأة وجراتها في قول الحق، وحيائها عند الحديث عن قصة سيدنا موسى مع الفتاتين كما ذكرت المرأة في السورة. (٤)

٣- احترام مشاعر الأمومة فيها عندما ذكرت قصة أم موسى.

سورة الأحزاب:

١- تحدثت عن أسرة النبي ﷺ وزوجاته. (٥)

٢- تحدثت عن أحكام خاصة في زواج الرسول ﷺ وأحكام في الأسرة النبوية، والأحكام التشريعية. (٦)

(١) ينظر الآيات (٢٦، ٣١، ٣٢ و ٣٣) من سورة النور

(٢) ينظر الآيات (٢٩-٣٧) من سورة النمل

(٣) ينظر الآيات (٢٥-٢٦) من سورة القصص

(٤) ينظر الآيات (٢٥-٢٦) من سورة القصص

(٥) ينظر الآيات (٢٨-٣٥) من سورة الأحزاب

(٦) ينظر الآيات (٥٠-٥٩) من سورة الأحزاب

"حيث تتضمن هذه الآيات في أولها حكماً عاماً من أحكام القرآن التشريعية في تنظيم شؤون الأسرة ذلك حكم المطلقات قبل الدخول، ويأتي بعده أحكام خاصة لتنظيم حياة النبي الزوجية الخاصة مع زوجاته، وعلاقات نسائه كذلك ببقية الرجال، وتنتهي بحكم عام يشترك فيه نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين بأمرهن فيه بإرخاء جلابيهن عند الخروج، فلا يتعرض لهن ذوو السيرة السيئة بشيء" (١)

وهذا كله تكريم للمرأة وحفظ لها.

سورة غافر: تذكر على أنها حالة مستضعفة من بني إسرائيل.

سورة الفتح: تذكرها مرة أخرى كحالة مستضعفة (٢) "حيث تتحدث عن بعض المستضعفين من المسلمين في مكة لم يهاجروا ولم يعلنوا إسلامهم تقية في وسط المشركين، ولو دارت الحرب وهم لا يعرفون أشخاصهم لقاتلوهم". (٣)

سورة الحجرات: تذكر النساء ضمن آداب اجتماعية عامة للتعامل مع الناس، وتخصيص النساء بالذكر عند الحديث عن آداب الكلام وعدم السخرية.

سورة المجادلة: تتحدث عن أحكام الظهار "وتعرض للنساء وتستمع إلى رأي المرأة وتقرر مبدأ يسار إليه في التشريع العام الخالد، وبذلك كانت آيات الظهار التي بدأت بها السورة من آثار الفكر النسائي وصفحة إلهية خالدة تلمح فيها على مر الدهور صورة احترام الإسلام للمرأة، وأن الإسلام ليس كما يظن أعداؤه يراها مخلوق ينقاد بفكر الرجل، وإنما هي مخلوق له إبداء الرأي وللرأي قيمته ووزنه". (٤)

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٨٧٤

(٢) ينظر الآية (٢٥) من سورة الفتح

(٣) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٢٨

(٤) ينظر الآيات (٤-١) من سورة المجادلة وينظر عتر، أحكام القرآن في سورة النساء، ص ٦

سورة الممتحنة:

١- تتحدث في أحكام لامتحان المهاجرات في إيمانهن، وتقرر عدم بقاء المسلمة على عصمة الكافر.

٢- تتحدث عن أحكام في مبايعة النساء للرسول، وهذا يدل على دورها في الدعوة الإسلامية (١)

سورة الطلاق : تحدثت عن أحكام الطلاق والعدة والظلم وأحكام الرضاع.

سورة التحريم: أتت بأحكام أسرية ونماذج نسائية مؤمنة وكافرة. (٢)

سورة التكوير: أشارت إلى الحديث عن المرأة في الجاهلية بوأدها.

سورة البروج: دور المرأة وتحملها للشدائد والفتن في قصة أهل الأخدود.

سورة المسد: ذكرت المرأة لتبين أن الجزاء يشمل الرجل والمرأة على حد سواء أكان في الخير أم

في العقاب.

هذه إشارات سريعة لما أتت به السور بحديثها عن موضوع النساء بشكل عام، ونلاحظ أن كل سورة

تحدثت عن جزئية من جزئيات موضوع المرأة فبعض السور تناولت المرأة من حيث كونها أمًّا

وبعضها أشار إليها من حيث كونها حالة مستضعفة، وبعضها أشار إلى شخصيتها السياسية،

وبعضها أشار إلى دورها في الدعوة الإسلامية وقوتها وقوة إيمانها.

أما **سورة النساء** فقد عرضت لجميع جوانب النساء في جميع حالاتها وأحكامها. فقد تعرضت

للحديث عنها كزوجة وأم وأخت وابنة وجدّة وبتيمة وكشخصية لها حقها في مالها، وحريتها في

التصرف المالي، وكحالة مستضعفة، فقد شملت جميع حالات المرأة وجوانبها وقد اعتنت بالمرأة من

الناحية الإنسانية والدينية بإعطائها حق الإنسانية الكاملة. (٣) كما أعطتها أهلية التكليف وحددت

(١) ينظر الآيات (١٠-١١) من سورة الممتحنة

(٢) ينظر الآيات (١-٤) و (١٠-١١ ، ١٤) من سورة التحريم

(٣) ابتسام بنت بدر بن عوض الجابري، ١٤٢٨هـ، رعاية النساء في ضوء سورة النساء، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة

العربية وآدابها (ج١٩، عدد ٤٠)، ص ٤٢

مسؤوليتها وجزاءها بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٤) ، يقول ابن كثير في هذه الآية "شرح الله في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة في عباده، ذكرهم وأنثاهم بشرط الإيمان، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير وهو النقرة التي في نواة التمر". (١)

وقد ساوت بينهم وبين الرجال في القصاص والحدود في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْءُ يَأْتِيكَ أَفْجَحَشَةً مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ (النساء ١٥) ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ﴾ (النساء: ٩٢) .

كما اعتنت السورة بالنساء كزوجات، فجاء قوله تعالى ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ (النساء: ٤) حيث ذكرت الصداق والنفقة وحسن العشرة، وقيدت التعدد ونظمته وعالجت الشقاق والنشوز الواقع عليها، ونهت عن عضل المرأة ورعت الأرامل من النساء.

كما اعتنت فيها اجتماعياً بقوله تعالى ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (النساء: ٣٦) وقوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ (النساء ٢٣). وقد رعتها في التعليم والتأديب والتربية، ورعتها في العمل والميراث والتملك والتصرف المالي (٢) كما في قوله تعالى ﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْظَلِيمِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ وقد ورد ذكر النساء في سور أخرى، إلا أن ما تكرر وبُسط من أحكامهن لم يرد في غير هذه السورة. (٣)

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) ، التفسير العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج ٢، ص ٤٢١

(٢) ينظر آيات الميراث.

(٣) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٧٧.

وعدد المرات التي ذكرت فيها لفظة (النساء) في القرآن كاملاً ستون مرة بهذا اللفظ ومرتان بلفظ النسوة. (١)

وعدد المرات التي ذكرت فيها لفظة النساء في سورة النساء سبع عشرة مرة. (٢)

وقد ورد ذكر النساء فيها بألفاظ أخرى كامرأة، أم، أخت، ربيبة، أنثى، اثنتين زوج وهذا يدل دلالة واضحة على شمول هذه السورة على كثير من أحكام النساء مما لم يرد في غيرها. (٣) (النساء ٢).

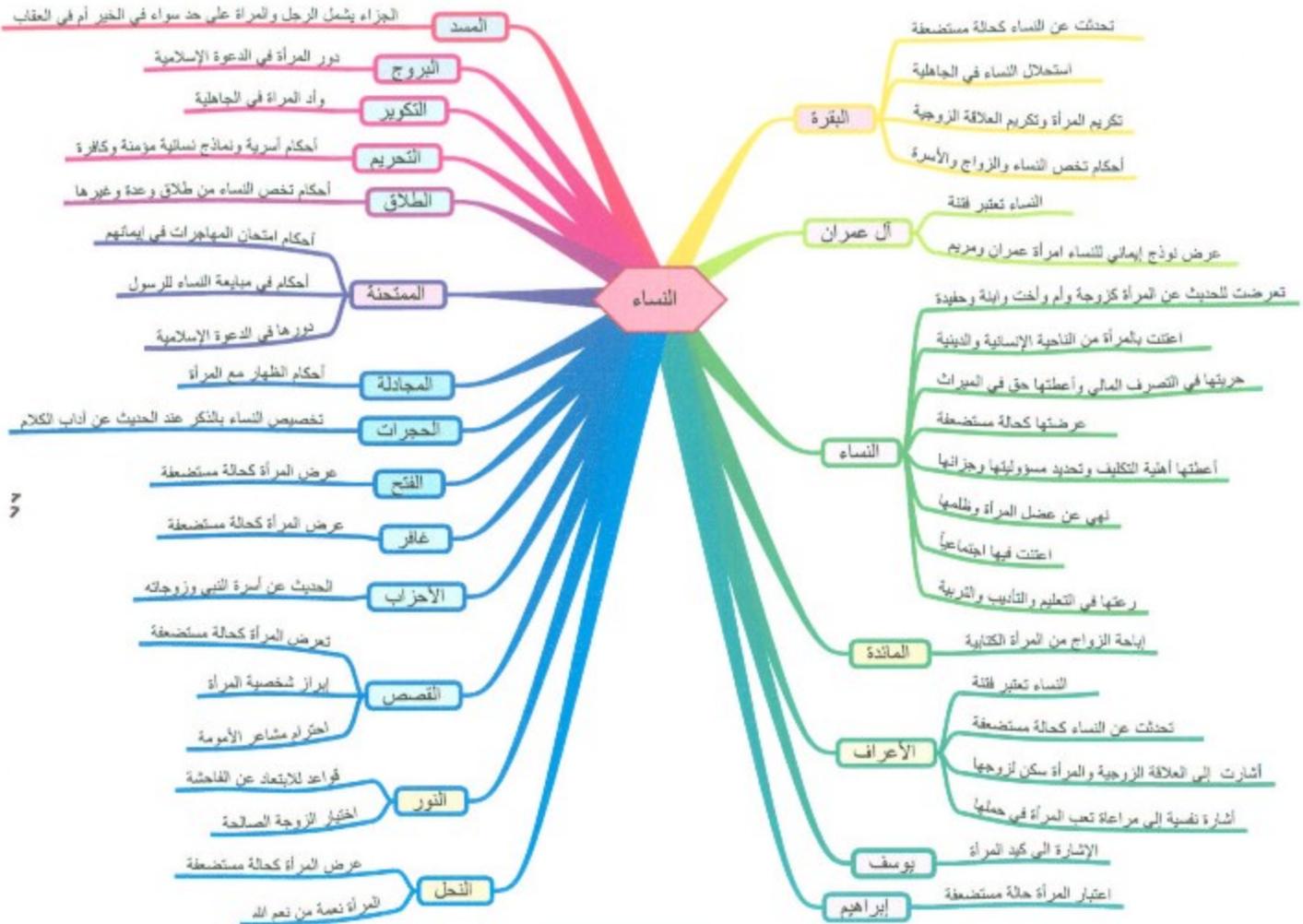
وفي هذا المطلب كله ردٌّ مُفحِّمٌ على كل افتراء ادّعى أن الإسلام هضم حق المرأة وظلمها، وأن سورة النساء جاءت تشمل الحديث عنهن وعن حقوقهن وأحكامهن و إنصافهن وإصلاحهن.

والخريطة الذهنية الآتية تلخص علاقة سورة النساء بغيرها مع معظم السور القرآنية التي تحدثت عن موضوع النساء.

(١) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، ص ٦٩٩

(٢) فيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ج ١، ص ١٦٩

(٣) ينظر علاقة سورة النساء بغيرها في موضوع النساء في الفصل الثاني من الرسالة، ص ٦٧



مخطوط رقم 4
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن النساء

المطلب الرابع: علاقة السورة بغيرها في موضوع الاستضعاف

الاستضعاف لغة مأخوذ من الفعل الثلاثي (ضَعَفَ) والضُّعْفُ ضد القوة والضَّعْفُ (بالفتح) في الرأي، والضُّعْفُ بالضم في البدن. (١)

وجاء القرآن الكريم يعالج في بعض آياته موضوع الاستضعاف الذي قد يعيشه الإنسان، بل يعيشه المجتمعات العربية الآن أمام من يملك القوة. وعندما تحدث عن المستضعفين فقد تحدث عن صنفين صنف استضعفوا عقلياً فهانوا أمام الجبابرة وأطاعوهم، وهؤلاء عزوا قليلاً في الدنيا ثم أدلهم الله، وصنف استضعفوا من جهة القوة فعذبهم الجبابرة وأذلهم ولم يطيعوهم، وهؤلاء وإن لحق بهم الذل مرة إلا أن العاقبة كانت لهم.

"فإن وصف المؤمنين بالمستضعفين يعني أن غيرهم يستضعفهم ويستحقروهم، وهذا فعلاً ليس صادراً عنهم بل عن غيرهم فيكون ذماً في حق هؤلاء لا في حق المؤمنين." (٢)

وقد قسمه بعضهم إلى نوعين آخرين:

الأول: استضعاف حقيقي:

"يكون المُسْتَضْعَفُ في هذه الحالة معذوراً في ضعفه، فهو في قرارة نفسه يرفض الذل والهوان والخنوع والتخلي عن الإيمان لإرضاء الفئة المستكبرة، لكنه لا يستطيع تغيير وضعه بسبب ضعف في الجسم أو قلة في العدد والعدة". (٣) ومن أمثلته:

(١) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٣، ص٤٧٤، وينظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة،

١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٥٨٢، مادة ضعف.

(٢) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٤، ص ١٦٠.

(٣) بدران، غسان عاطف علي (١٩٨٨م)، المستكبرون والمستضعفون "دراسة قرآنية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، ص ١١.

- مسلمين مكة في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ

يَخْطَفَكُمُ النَّاسُ فَيَأْوِنَكُمْ وَيَأْبِتُكُمْ بِصُرُوءِ رَبِّكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٦).

- أتباع فرعون في قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

- سيدنا شعيب في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا

رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود: ٩١).

الثاني: استضعاف نفسي.

"المستضعف في هذه الحالة يكون بمقدوره تغيير واقعه الذي يعيشه، لكنه لا يفعل ذلك لمرض في

قلبه وهوى في نفسه وليس بسبب قوة خارجية ضاغطة عليه." (١)

ومن مثاله قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧)

ومن أسباب الضعف: ضعف القوة المادية والعددية، والفسوق عن دين الله، والخوف على الحياة

والرزق. وستبين الباحثة الآيات التي وردت في الضعف وموضوع الاستضعاف في القرآن ليظهر

ما امتازت به سورة النساء عن غيرها من السور بخصوص هذا الموضوع.

سورة البقرة:

١- ورد مصطلح (الضعف) فيها بمعنى الصغار " (٢) وتأتي بمعنى القاصر والفقير.

(١) بدران، غسان، المستكبرون والمستضعفون، رسالة ماجستير، ص ١١.

(٢) ابن عاشور، التحرير، ج ٢، ص ١٤٧.

٢- ورد مصطلح الضعيف في آية الدين بمعنى إن كان هذا المدين سفيهاً لا يحسن تدبير أموره أو ضعيفاً أي صغيراً أو ضعيف العقل، إما لعي أو جهل أو آفة في لسانه، أو لأي سبب من الأسباب المختلفة الجسدية أو العقلية. (١)

سورة آل عمران: ١- تحدثت عن ضعف النفوس والقوى من الكرب والبلاء. (٢)

٢- الضعف الجسدي وقلة القدرة عن العمل والضعف النفسي بالاستسلام والفشل.

سورة الأعراف: ١- تحدثت عن الصنف الذي استضعفوا استضعافاً حقيقاً ومنهم الأنبياء. (٣)

٢- تحدثت عن سبب من أسباب الاستكبار، وهو السلطان في الأرض وخوفهم

منه. (٤)

٣- تأكيد من الله عز وجل أن العقاب ستكون لهؤلاء الذين استضعفوا في الأرض

ولو بعد حين، بل وسيورثهم الله مشارق الأرض ومغاريها بما صبروا، وهذا

من سنن الله في الكون. (٥)

سورة هود: تتحدث عن مواضع الضعف، وهو الضعف في المقاومة وضعف عن المدافعة

سورة الأنفال: ١- تتحدث عن ضعف في عدم القدرة على الأعمال الشاقة، وعن الضعف

الجسدي، وضعف في الرهبة من لقاء العدو وتحدثت عن الضعف المادي

والمعنوي.

٢- "بيان حقيقة في تقدير قوة المؤمنين في مواجهة عدوهم في ميزان الله وهو

الحق، وأنها تعريف للمؤمنين بهذه الحقيقة لتطمئن قلوبهم وتثبت أقدامهم" (٦).

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٣٥

(٢) ينظر الآية ١٤٦ من سورة آل عمران

(٣) ينظر الآية (٧٥-٧٦) من سورة الأعراف

(٤) ينظر الآية (١٣٧) من سورة الأعراف

(٥) ينظر الآية (١٥٠) من سورة الأعراف

(٦) سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٥٥٠

٣- تأكيد على أن هؤلاء الذين استضعفوا ليس بإرادتهم بل بقوة خارجة عن إرادتهم

إنما سيمكّن الله لهم في الأرض وسيؤيدهم بنصر وسيرزقهم من الطيبات.

سورة التوبة: تتحدث عن الضعف الجسدي والعجز البدني، والوهن في القوة البدنية من غير مرض^(١)

سورة إبراهيم : تحدثت عن ضعف الشخصية والضعف الروحي.^(٢)

حيث يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: "والضعفاء هم الضعفاء الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله، حين تنازلوا عن حرمتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه وجعلوا أنفسهم تبعاً للمستكبرين وللطغاة، ودانوا لغير الله من عبده واختاروها على الدينونة لله، والضعف ليس عذراً بل هو الجريمة فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيف وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله".^(٣)

ولا أحد يملك أن يجعل أولئك الضعفاء يدينون لغير الله فهم ضعفاء، لا لأنهم أقل قوة مادية من الطغاة ولا لأنهم أقل جاهاً أو مالاً أو منصباً. فهذه كلها أعراض خارجية، إنما هم ضعفاء لأن الضعف في أرواحهم وفي قلوبهم وفي نخوتهم واعتزازهم بأخص خصائص الإنسان^(٤).

ويقول: "إن المستضعفين كثرة والطواغيت قلة، فمن ذا الذي يخضع الكثرة للقلّة؟ وماذا الذي يخضعها؟ إنما يخضعها ضعف الروح وسقوط الهمة وقلة النخوة والتنازل الداخلي عن الكرامة التي وهبها الله للإنسان، فإن الظلمة لا يملكون أن يستذلوا الجماهير إلا برغبة هذه الجماهير فهي دائماً قادرة على الوقوف لهم لو أرادت".^(٥)

فأين الشعوب من هذا الكلام! أسأل الله العفو والعافية من الذل والاستضعاف والاستكانة؛ لأننا سنحاسب على هذا الذل، وسنحاسب على هذا الضعف الذي أوقعنا أنفسنا فيه وهمياً.

(١) ينظر الآية (٩١) من سورة التوبة

(٢) ينظر الآية (٢١) من سورة إبراهيم

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٠٩٦

(٤) المصدر نفسه، "بتصرف يسير"

(٥) المصدر نفسه

سورة الحج: تتحدث عن الضعف الذي هو ضد القوة، وضعفٌ في القدرة وعن ضعف لا من حيث

القوة ولكن من قبح المذهب^(١) مثل قولهم: "ما أفبح هذا المذهب أي ما أضعفه".^(٢)

سورة الروم: ١- تتحدث عن ضعف البنية الجسدية، وضعف المادة التي تُرى منها الإنسان.^(٣)

٢- تتحدث عن ضعف الكيان النفسي أمام النوازع والميول والشهوات.

سورة القصص: تذكر مظاهر الاستضعاف وخصائص المستضعفين من بني إسرائيل.^(٤)

سورة سبأ: تصف حوار المستكبرين وتبرؤهم من المستضعفين ومن إضلالهم.^(٥)

سورة غافر: تؤكد على ضعف شخصية المتبع^(٦) "فالضعفاء في النار مع الذين استكبروا فهم لا

رأي لهم ولا إرادة ولا اختيار، لقد منحهم الله كرامة الإنسانية وكرامة الاختيار والحرية، ولكنهم هم

تنازلوا عن هذا جميعاً وانساقوا وراء الكبراء دون أن يفكروا بما يقولونه لهم وما يقودونهم إليه".^(٧)

وضعف الشخصية هذه دلالة على ضعف الإيمان، فلو كان هناك الإيمان القوي والعقيدة القوية لما

تبعوهم وقادوهم إلى ما قادوهم إليه.

أما سورة النساء فجاءت تتحدث عن جميع الأصناف المستضعفة، ولم تكتف بالحديث عن

حواراتهم وأفعالهم أو حالهم، بل أضافت للقارئ سبل الخلاص من جميع أنواع الاستضعاف وقد

وردت فيها كلمة الضعف ومشتقاتها أكثر من مرة. وبرزت شخصية هذه اللفظة ومعناها بشكل كبير

فيها، فقد تكلمت عن الذرية الضعاف أي الصغار، وكيفية حفظ الآباء لهم إن كانوا يخشون عليهم،

وأمرتهم بالتقوى والقول السديد، حتى يحافظوا على ذريتهم الضعيفة الصغيرة حتى إلى ما بعد

(١) ينظر الآية (٧٣) من سورة الحج

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٣، ص٢٥٢

(٣) ينظر الآية (٥٤) من سورة الروم

(٤) ينظر الآيات (٥-٤) من سورة القصص

(٥) ينظر الآيات (٣١-٣٣) من سورة سبأ

(٦) ينظر الآية (٤٧) من سورة غافر

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٣٠٨٤

﴿ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾
 (النساء ٩)، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨) يتحدث عن
 ضعف الإنسان أمام شهواته ونزواته وضعفه النفسي.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء ٧٥) "تحدثت عن
 المستضعفين المعذبين، ودعت المسلمين للجهاد ولتخليصهم من هذا الاستضعاف الذي يعانون منه
 أشد المحن والفتن، ويثير هنا حمية المجاهدين ويثير عواطف الرحمة الإنسانية لديهم للدفاع عن
 حقوق المستضعفين الذين هُتكت أعراضهم وقتلت أطفالهم، ولا عذر يمنع من المقاتلة في سبيل الله
 لإقامة التوحيد مقام الشرك، وإحلال الخير محل الشر ووضع العدل والرحمة موضع الظلم
 والقسوة".^(١)

وأما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَفَتِنَا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٧٦) نتحدث عن ضعف كيد الشيطان. "لأنه يزين لأصحابه
 الباطل والظلم والشر وإهلاك الحرث والنسل، فيوهمهم بوسوسته أنها خير لهم، وفيها عزهم وشرفهم
 وهذا الكيد والخداع من سنن الله في تعارض الحق والباطل".^(٢)

وأما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ
 تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
 وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (النساء ٩٧ - ٩٨) تدعو السورة كل من وقع تحت فتنة الكفار

(١) رضا، المنار، ج ٥، ص ٧٤

(٢) رضا، المنار، ج ٥، ص ٢١٢

حتى أطاعوهم وظلم نفسه إلى الهجرة من بينهم فوراً، وإلا سينال العقوبة من الله، وقد عفت فقط عن المذلولين المقهورين العاجزين تماماً في الآية (٩٨) حيث توضح هذه الآيات أسباب الاستضعاف وقبول الذل الهوان، وذلك لحرصهم على أموالهم ومصالحهم وأنفسهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٢٧) تتحدث عن المستضعفين اجتماعياً وتأمراً المجتمع بالقسط وفعل الخير معهم. "فقد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك فلم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً، وإن كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك ونهى عنه".^(١)

وفي قوله (وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ) كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات وذلك قوله (الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ) فنهى الله عن ذلك، وبين لكل ذي سهم سهمه فقال: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ) (النساء: ١١)، صغيراً أو كبيراً.

"وقال سعيد بن جبير في قوله: (وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ) كما إذا كانت ذات جمال نكحتها واستأثرت بها".^(٢)

فهذا كله يدل على أمر المجتمع بالإنصاف في التعامل مع فئة المستضعفين سواء أكانوا صغاراً أم نساءً أم يتامى.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري، ح: ٥٢٨٩، ج: ٥، ص: ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ح: ١٠٥٤٣، ج: ٩، ص: ٢٥٥.

هذا واشتملت السورة أيضاً على العديد من الألفاظ التي تدل على نفسيات ضعاف الإيمان دون ذكر للفظه الضعف، وبيّنت ضعفهم الشخصي وضعفهم النفسي ككيد الشيطان الضعيف، وكالمبطئ في الأرض: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٧٢) ، يقول صاحب المنار "الذي يبطئ عن السير هو إبطاء الضعف في إيمانه وقد

شرح الله حال هذا القسم من الضعف توبيخاً لهم وإزعاجاً إلى تطهير نفوسهم وتركيتها".^(١)

وغيرها الكثير من الألفاظ التي احتوتها السورة والتي تدل على الضعف بجميع أنواعه، والذي شملته سورة النساء. حيث جاءت بالحديث عن المستضعفين نفسياً وجسدياً من النساء والأطفال والشيوخ وذكرت الضعف بمعنى ضد القوة، أو ضعفاً من حيث المنهج كضعف الشيطان أي ضعف من حيث المذهب، وضعف الشخصية في الحديث عن المنافقين وتخلّفهم عن الجهاد، وضعف المادة التي خلق منها الإنسان ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨)، والضعف الروحي (ضعف المنافقين في إيمانهم) والضعف عن الجهاد.

ومما يميز السورة أيضاً أنها السورة الوحيدة التي أمرت بطاعة ولاة الأمر في موضعين بالإضافة إلى طاعة الله ورسوله، وذلك لأنها سورة المستضعفين، والضعفاء في كل زمان ومكان يحتاجون لمن يلي أمورهم وهذه الولاية القصد منها تحقيق ما يضعف عنه الضعيف بمفرده.

فإذا تمرد هذا الضعيف على هذا الولي فسدت الأمور بالكلية، وسيقع ضرر عظيم على الضعيف نفسه ولهذا وردت هاتان الآيتان في هذه السورة على وجه الخصوص:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩) ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣) وأولو الأمر في الآية الأولى هم الملوك

(١) محمد رشيد رضا، المنار، ج ٥، ص ٢٠٧.

والسلاطين، وهم في الآية الثانية العلماء العاملون ^(١) وبهم تتصلح أحوال الضعفاء. ومن الممكن

اعتبار الآية : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

(النساء: ٣٤) من طاعة أولي الأمر أيضا.

وقد امتازت بأنها لم تصف وضع المستضعفين فقط، بل عالجت بعض الحالات التي يكون فيها

الإنسان ضعيفاً فيتقوى بأمور منها: صلاة الخوف، والخوف ضعف. والصلاة قوة وأمان. ومن ذلك

أيضا القصر للمسافر، وقاتل الخطأ الذي لم يقصد القتل بل كان ذلك ضعفاً في تصرفه وعولجت

هذه المشكلة بدفع الدية حفظاً للحقوق، فكان العلاج متعلقاً بماله وليس في شخصه وهذا من باب

معالجة شؤون الضعفاء من جهة، ومن باب العدل من جهة أخرى.

ووجب التنبيه على كثرة استخدام كلمة ضعفاء والمستضعفين والضعف، وكلمة (المستضعفين) لم

ترد إلا في سورة النساء أربع مرات. ^(٢)

فكانت سورة النساء بحق سورة المستضعفين التي شملت جميع أصنافهم وأنواعهم. ^(٣)

والخريطة الذهنية الآتية تلخص علاقة سورة النساء بغيرها مع معظم السور القرآنية التي تحدثت

عن الاستضعاف.

(١) ينظر الطبري، التفسير العظيم، ج ٨، ص ٤٩٩ .

(٢) من لطائف التناسب العددي في سورة النساء: أنها تبدأ بالجزء الرابع، وترتيبها في القرآن الرابعة، ونزل قبلها من السور المدنية أربع

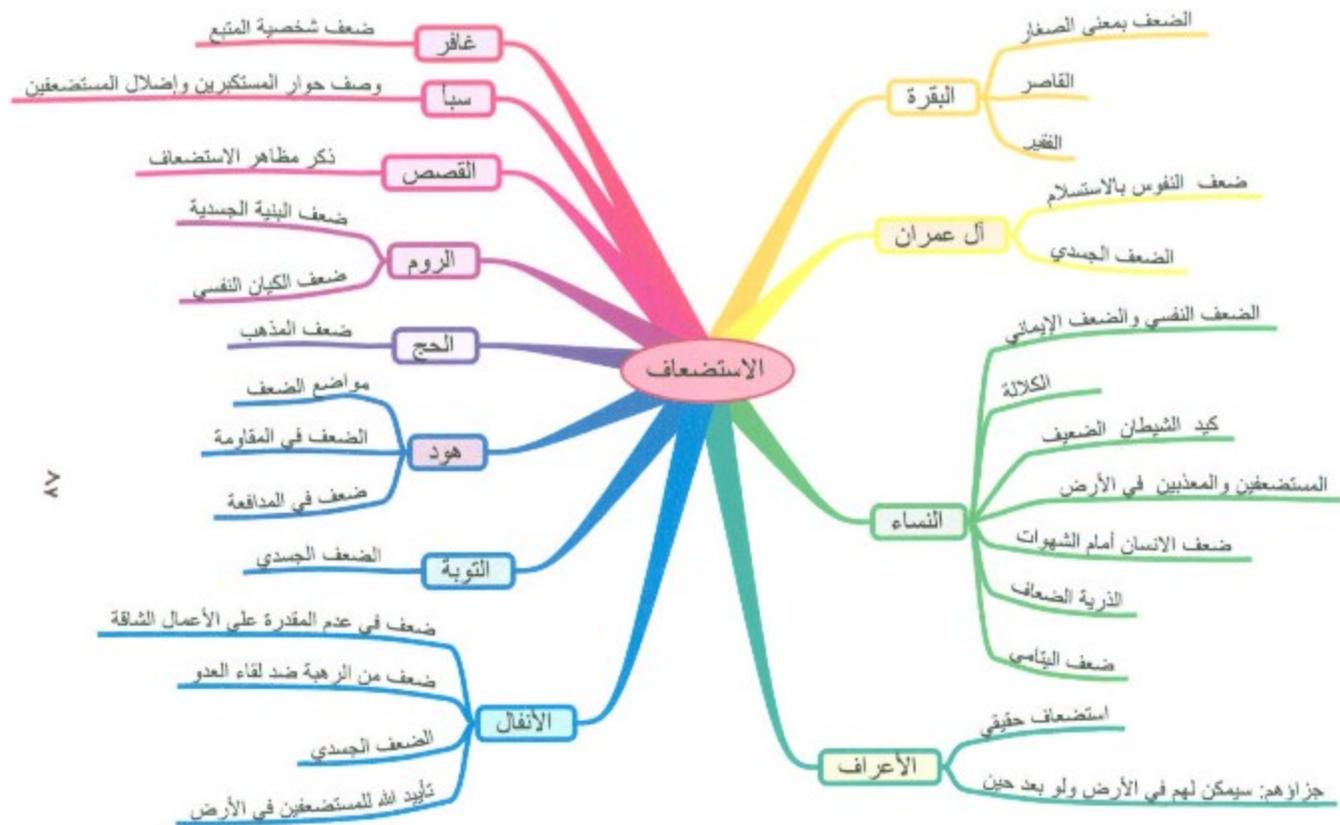
سور، وورد الحديث فيها عن الزواج بأربع نساء، كما ذكر مصطلح (وما ملكت أيمنكم) أربع مرات، وعدد آيات السورة (١٧٦) آية لو

قسمتها على العدد أربعة لكان الناتج (٤٤)، وهذا من التناسب العددي كما يسميه الدكتور سليمان الدقور، وهناك مشروع للدكتور

أحمد نوفل للكتابة في موضوع التناسب العددي يتحدث فيه عن رباعيات سورة النساء.

(٣) ينظر المبحث الثاني من الفصل الثالث بعنوان التناسب بين اسم السورة ومحورها حيث ذكرت معظم الألفاظ التي تدل على الضعف

في السورة بجميع أنواعه، ص ١١٠.



مخطط رقم 5
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن الاستضعاف

المطلب الخامس: علاقة السورة بغيرها في موضوع الجهاد ودور المنافقين فيه

لقد أخذ الجهاد مساحة كبيرة من القرآن الكريم؛ لأنه ذروة سنام الإسلام، وبه يحفظ الإسلام ولقد ذكرت موضوعاته في أكثر من اثنتين وعشرين سورة، ولن أستعرض هذه السور كلها هنا بل سأكتفي بطرح سبع سور منها توسعت في هذا الموضوع كما توسعت فيه سورة النساء وهذه السور هي: (البقرة وآل عمران والأنفال والتوبة الأحزاب ومحمد والفتح) .

سورة البقرة:

١- جاءت أولى التشريعات في موضوع القتال فيها.^(١) والتي شرعت من أجل حماية الدين الحق في حال أي خطر متوقع عليه وذكرت السورة أحكاما في الجهاد، وتعاليم قتالية كبيان الوقت الذي ينتهي فيه الجهاد، وأن المعاملة تكون بالمثل "وإنما جاء هذا القتال في سبيل الله لرد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين وشرع هنا القتال الدفاعي لا الهجومي مع عدم الاعتداء على غير المقاتلين".^(٢)

٢- فرض القتال لمن اعتدى على المسلمين من المشركين، وتذكر أن الجهاد يحتاج إلى بذل الأنفس والأموال.

٣- الحديث عن الجهاد بأنه سبيل لإحياء الأمم، فإن عناصر قيام الأمم القيادة والقتال والاتصال مع الله ﴿أَبْعَثْنَا لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٦) فجاءت سورة البقرة في بداية القرآن تتحدث عن هذه العناصر؛ لأنها سورة استخلاف الإنسان على الأرض ولن

(١) ينظر الآيات (١٩٠ و ٢١٦ و ١٣٤-٢٤٦) من سورة البقرة.

(٢) حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط ١٠ (١٤١٣هـ)، دار الجيل الجديد - بيروت، ج ١، ص ١١٧.

يقوم الإنسان بدوره بهذه الخلافة إلا إذا استطاع أن يحقق هذه الأمور، وبالتالي يكون قد حفظ الأسرة وحفظ المجتمع الذي تحدثت عنه بدورها سورة النساء.

سورة آل عمران : ١- الأمر بالجهاد والحث عليه. (١)

٢- تبيين أجر المجاهدين وجزاء المتخلفين. (٢)

٣- تبيين أسباب النصر و تبيين أسباب الهزيمة. (٣)

٤- تبيين حال المنافقين في القتال. (٤)

كما أن سورة آل عمران كانت تمثل النموذج العملي والواقعي الذي يتحدث عن الأسرة المسلمة القوية المتمثلة بآل عمران، وهذه الأسرة يجب حمايتها، والجهاد هو سبيل حمايتها من أخطار المجتمع وفساده ومما يدهمها الآن مما وقع عليها من هجومات، والذي يحقق النصر هو تماسك الأسرة الذي بدوره يعني تماسك المجتمع ووحدته.

سورة الأنفال:

١- تتحدث عن المواجهة مع كفار مكة والجزيرة العربية فكان موضوعها الأبرز موضوع

الجهاد وسنن النصر والأمر بالقتال. (٥)

٢- بينت أجر المجاهدين وجزاء المتخلفين. (٦)

٣- ذكرت بشكل كبير الحث على الثبات والصبر على الجهاد في كثير من آياتها.

٤- أبرزت السورة هدف المسلمين من الجهاد وهو في هذه السورة لدرء الفتنة.

(١) ينظر الآية (١٤٢) و (٢٠٠) من سورة آل عمران

(٢) ينظر الآية (١٥٧) من سورة آل عمران

(٣) ينظر الآية (١٣٩) و (١٤٩) من سورة آل عمران

(٤) ينظر الآية (١٦٧-١٦٨) من سورة آل عمران

(٥) ينظر الآية (٦٥) من سورة الأنفال

(٦) ينظر الآية (١٦) من سورة الأنفال

٥- بينت أهداف الكافرين من القتال وأفعالهم، فالمناصرة في غير سبيل الله ضعف وهزيمة.^(١)

٦- ذكرت السورة سنن النصر في العديد من آياتها، فإن الاعتماد على الله تعالى سبب في من

أسباب النصر، وأما الكفر بالله فمن عوامل الخذلان والهزيمة.

٧- ذكرت حال المنافقين في القتال.^(٢)

وفي موضوعات سورة الأنفال علاقة قوية أيضاً في هذا الموضوع لسورة النساء، وذلك بأن سورة

الأنفال التي تحدثت عن الجهاد والدفاع عن المستضعفين والدفاع عن حقوق أفراد المجتمع وأهمية

الولاء في بناء المجتمع والانتماء إليه، فالذي يحمي الأسرة هو الجهاد والدفاع والانتماء والولاء.

سورة التوبة:

١- حديث عن المواجهة الخارجية بالإضافة إلى الداخلية لأعداء الإسلام والمشركين والمنافقين

فقد أمرت وحثت على القتال في آيات كثيرة.^(٣)

٢- توضيح أجر المجاهدين كبقية السور الأخرى.^(٤)

٣- الحث على الثبات والصبر والتقوى عند الجهاد.^(٥)

٤- بينت آداب في الجهاد.^(٦)

٥- بينت أسباب النصر وأن النصر يكون بيد الله وحده.^(٧)

(١) ينظر الآية (٤٨) من سورة الأنفال

(٢) ينظر الآية (٤٩) من سورة الأنفال

(٣) ينظر الآيات (١٣ و ١٤ و ٢٩ و ٣٨) من سورة التوبة

(٤) ينظر الآيات (٢٠ و ٨٨ و ٨٩) من سورة التوبة

(٥) ينظر الآية (٤٠) من سورة التوبة

(٦) ينظر الآية (٦ و ٧) من سورة التوبة

(٧) ينظر الآيات (١٦-٢٦) من سورة التوبة

٦- بينت أسباب الهزيمة إذ أعجب المسلمون بكثرتهم وأصابهم الغرور، وهنا عبرة في أن النصر بيد الله وحده، ومن يتوكل عليه فهو كافيه، ومن يتوكل على نفسه وكله الله إليها. (١)

سورة الأحزاب: تتحدث عن الواقع العملي والتطبيقي لموضوع الجهاد، لتأخذ عدة صفحات منها مساحة في الحديث عن معركة الأحزاب ونصر الله تعالى عباده المؤمنين، وكشف لزيغ المنافقين، وتحذير للمتخاذلين عن القتال والفارين منه، المانعين للخير والمثبطين عن كل معروف لتتشابه موضوعات سورة الأحزاب في ذلك ببعض موضوعات سورة النساء في هذا الموضوع بالذات. حيث تكالب على الإسلام مجموعة من العداوات (يهود ومنافقون ومشركون) ولم يكن هذا الاعتداء اعتداء معنوياً فحسب، بل تعداه إلى ظلم مادي ومعنوي وحرب ومواجهة، وبذلك وجب على المجتمع المسلم أن يقوم بالهجوم لا بالدفاع فقط، فكثرة أعداء الإسلام دليل على تميزه، وتميز الهوية المسلمة، فتجب حماية المجتمع وحماية الأسر وحماية النساء اللواتي ذكرن بكثرة في هذه السورة وهذه من العلاقات المتشابهة بين هذه السورة وسورة النساء أيضاً.

سورة محمد:

١- تسمى بسورة القتال. (٢)

٢- تقرر مبدأ الحرية الدينية وحماية الدعوة الإسلامية وتكف أذى المشركين عن طريق الجهاد والقتال.

"فهو العنصر البارز في هذه السورة وهو موضوعها فالقتال في صورها وظلالها، والقتال في جرسها وإيقاعها، وهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا، وحقيقة الذين آمنوا بصيغة هجوم أدبي على الذين

(١) ينظر الآية (٢٥) من سورة التوبة

(٢) (الآلوسي، روح المعاني، ج١٣، ص١٩٣)

كفروا وتمجيد للذين آمنوا، مع إحياء بأن الله عدواً للأولين ولئاً للآخرين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه. فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في

السورة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ١).^(١)

٣- "وقد حددت السورة الأصناف التي يجب على المسلمين قتالها في أكثر من آية، ويمكن حصر الأصناف الواجب قتالها بثلاث طوائف رئيسية يندرج فيها سواها (الكافرون، المرتدون والمشاقون للرسول)".^(٢)

٤- كما أنها شملت جميع أنواع الجهاد، فجاءت تتحدث عن مجاهدة النفس بالزمامها بالتقوى، ومجاهدة الأعداء بالدعوة إلى الله وتحمل آذاهم، ومقاتلة الأعداء بالسيف والرمح، واستعرضت الجهاد المعنوي والمادي.^(٣)

إن امتازت سورة محمد بهذا الموضوع في الجهاد، وجاءت شاملة لأغلب موضوعاته فسميت بذلك سورة القتال.

ومن ثم حُقَّ لسورة الفتح أن تأتي بعدها؛ لأن الفتح نصر لاشك فيه. "وتتناسب السور فيما بينها في سورة آل حم المجادلة باللسان، ومن ثم القتل مجادلة باللسان، والفتح فتح، فهذا هو طريق أهل الحق والمحامين عنه والله ناصر من ينصره".^(٤)

فسورة الفتح وضحت أجر المجاهدين وجزاء المتخلفين ووضحت أهداف الكافرين من القتال وبينت أسباب النصر.

أما سورة النساء فقد تحدثت عن الأحكام التالية:

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٢٧٨

(٢) أبو شريعة، زياد أحمد (١٩٨٩)، سورة محمد دراسة وتحليل، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، ص٣٤

(٣) المرجع نفسه، ص١١٤

(٤) أبو موسى، محمد محمد، الزمر وعلاقتها بآل حم (دراسة في أسرار البيان)، ط١ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص٥٠٦

أولاً: الحذر في الجهاد وهذا الحذر ورد في موضعين من السورة، والحذر مناسب لموضوع السورة العام وهو الضعف، فإن الذي لا يحذر لا بد وأن يضعف أمام مالم يحذر منه. ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ (النساء: ٧١) وقوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ (النساء: ١٠٢)

ثانياً: بينت حال المنافقين في أضعف حالاتهم وهي الإبطاء عن القتال ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْغِطَنَّ فَإِنْ أَصَبَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٢) وخوفهم من الموت ﴿الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧) وذكرت حال المنافقين وقد حصرت صدورهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِيتٌ أَوْ جَاءَهُمْ حَصْرٌ صُدُّوا عَنْهُمُ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٠).

ثالثاً: أمرت بالجهاد وحثت عليه بصيغتين لم تردا في غير هذه السورة في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧) والصيغتان تناسبان الأضعف من المجاهدين فلم يقل لهم قاتلوا الذين يقاتلونكم، بل قاتلوا كيداً ضعيفاً وبيعوا الدنيا الضعيفة بالآخرة العظيمة.

رابعاً: بينت أجر المجاهد بصيغة تناسب موضوع الضعف، فجاء فيها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤) فقدمت القتل على الغلبة بينما، قدم

فَيَقْتُلُونَ عَلَى يُقْتَلُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ (التوبة: ١١١) والمقتول أضعف من الغالب بالطبع.

كما أنها ذكرت في حقهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٠٤). ولم يرد ذكر الألم في غير هذه السورة.

خامساً: بينت هدفاً جديداً للقتال يتناسب مع موضوع السورة، وهو القتال لأجل دفع الظلم عن المستضعفين مع إخلاص النية لله، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُفِّرُوا لَا نُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٧٥).

سادساً: بينت بعضاً من أسباب الهزيمة في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: ٨١) وقوله تعالى عن إذاعة الأخبار ونشرها دون تثبت: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٨٣)

سابعاً: أمرت الرسول بالجهاد ولو بنفسه، والانفراد أضعف من الجمع في قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (النساء: ٨٤).

ثامناً: بينت حال المستضعفين المسلمين (الولدان والنساء والرجال الكبار في السن، أو العاجزين وهم في قمة الضعف، فلا يجدون من عقولهم ولا يرشدهم أحد ويعينهم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٨).

تاسعاً: بينت صلاة الخوف أثناء القتال، والخوف ضعف في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْعَتِكُمْ فَيَبْغُونَ عَلَيْكُمْ مِثْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (النساء: ١٠٢).

عاشراً: الحث على العدل أثناء الجهاد، ومعاملة الناس برحمة حتى في القتال وهذا من أخلاق الحرب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ ءالسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كَفَرَ بِهِ فَمَنْ كَفَرَ بِكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ٩٤).

ووجب التنبيه في معرض الحديث عن الجهاد أن السورة ذكرت المنافقين ودورهم في التخاذل والتنشيط عن الجهاد، ورفضهم لتحكيم شرع الله مع إقرارهم بالإيمان في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠) فهي السورة الوحيدة التي امتازت بذكر هذين الجانبين مقابل سورة النور التي تحدثت عن جانب واحد وهو رفضهم لتحكيم شرع الله، وسورة التوبة التي تحدثت عن دورهم في التنشيط عن الجهاد، وسورة الأحزاب كذلك عند الحديث عن غزوة الخندق، وسورة المنافقون التي تحدثت عن صفاتهم.

والخريطة الذهنية الآتية تلخص علاقة سورة النساء بغيرها مع بعض السور القرآنية التي تحدثت عن الجهاد.

الجهاد

البقرة

- القتال يكون لرد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين
- عدم الاعتداء على غير المقاتلين
- فرض القتال لمن اعتدى على المسلمين
- الجهاد سبيل لإحياء الأمم

آل عمران

- الحث على الجهاد
- أجر المجاهدين وجزاء المتخلفين
- سبب النصر وأسباب الهزيمة
- حال المنافقين في القتال

الحذر في الجهاد

- بيان حال المنافقين في أضعف حالاتهم وهي الإبطاء عن القتال
- الأمر بالجهاد والحث عليه
- بيان أجر المجاهد
- بيان هدف القتال لأجل دفع الظلم عن المستضعفين
- بيان بعض أسباب الهزيمة
- أمر الرسول بالجهاد
- بيان حال المستضعفين من المسلمين
- بيان أحكام صلاة الخوف أثناء القتال
- الحث على العدل أثناء الجهاد حتى مع الأعداء

النساء

- بيان أجر المجاهدين
- أمر الرسول بالجهاد
- بيان حال المستضعفين من المسلمين
- بيان أحكام صلاة الخوف أثناء القتال
- الحث على العدل أثناء الجهاد حتى مع الأعداء

الفتح

- بيان أجر المجاهدين وجزاء المتخلفين
- بيان أهداف الكافرين من القتال
- بيان أسباب النصر

محمد

- تقرر مبدأ الحرية الدينية وحماية الدعوة الإسلامية عن طريق الجهاد
- تحديد الأصناف التي يجب قتالها
- الحديث عن الجهاد المادي والمعنوي

الأحزاب

- الحديث عن معركة الأحزاب

التوبة

- الحث على القتال
- بيان أجر المجاهدين
- الحث على الثبات والصدور والتقوى عند الجهاد
- بيان أسباب النصر وأسباب الهزيمة

الأنفال

- المواجهة مع كفار مكة والجزيرة العربية
- بيان سنن النصر
- الأمر بالقتال
- بيان أجر المجاهدين
- الحث على الثبات والصبر
- إبراز الهدف من الجهاد
- أهداف الكافرين من القتال
- ذكر حال المنافقين في القتال

مخطط رقم 6

علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن الجهاد

المطلب السادس: علاقة السورة بغيرها في موضوع أهل الكتاب

ورد ذكر أهل الكتاب بهذا اللفظ في ثماني سور غير سورة النساء وهي (البقرة وآل عمران والمائدة والعنكبوت والأحزاب والحديد والحشر والبيئنة).

وقد اشتملت هذه السور على الموضوعات التالية:

سورة البقرة :

١- تحاور اليهود، وتذكرُ النصارى، وجاء نقاشها مع اليهود الذي احتل ثلث السورة، حيث تحدثت عن نعم الله عليهم، وتفضيلهم على العالمين، وأوامر الله لهم ووصف أحبارهم بالتناقض، وفصلت في ذكر النعم عليهم، وكيف نجّاهم من فرعون، وبالمقابل ذكر تعنتهم ووقاحتهم مع الله ومع نبيهم بكثرة أسئلتهم وطلباتهم ومن ذلك قصة البقرة وقسوة قلوبهم. (١)

٢- كما ذكر نقضهم للميثاق، وعدم عملهم بالتوراة وتحريفهم لها، وافترائهم على الله بتكذيب كتابه، ومخالفتهم لما أمر الله به، وتكذيبهم للرسول، وبيان حالهم من بعثة النبي محمد ﷺ، وتحدثت عن نبذهم للعهود والمواثيق مع الله ومع الرسول في أكثر من موضع، دلالة على أنها صفة ملازمة لهم. (٢)

٣- وجاء فيها أيضا عداواتهم للمسلمين، وحسدهم لهم، وادعاؤهم بأن الجنة لن يدخلها إلا لليهود والنصارى، كما حذرت المؤمنين منهم وطرق التعامل معهم. (٣)

سورة آل عمران:

(١) ينظر الآيات (١٠٥، ١١١-١١٢، ١٠٩) من سورة البقرة

(٢) ينظر الآية (٢٧) من سورة البقرة

(٣) ينظر الآيات (١٠٥، ١٠٩) من سورة البقرة

١- تحاور النصارى، وتذكر اليهود حيث فصلت في النصارى على عكس سورة البقرة، وأكثر من محاجتهم في موضوعات عديدة، كموضوع إبراهيم واختلافهم بعد ما جاءهم من العلم، ورفضهم تحكيم كتاب الله، ومحاجتهم في موضوع عيسى عليه السلام، وكفر من كفر معهم، وإيمان من آمن منهم، وذكر معجزاته ومحاجة الله لهم بأن عيسى عبد من عباد الله ورسوله، ويوحداية الله، ودعوتهم إلى المباهلة، واشتراك صفاتهم في حبه الضلال للمسلمين، وكيفية أساليبهم المضللة وعدم أمانتهم وسوء أخلاقهم.

٢- بينت صفة اليهود وحقدهم وحسدكم وخيانتهم وصفة الغلو والطغيان والكفر لديهم، وصفة الجدل بالباطل وإنكار الحق، وصفة النفاق، وأنهم فرق مختلفة من الإيمان والكفر، كما حذرت المؤمنين منهم، و دعتهم إلى دين الحق والإيمان. (١)

سورة المائدة : ١- عادت مرة أخرى لتناقش اليهود، وتحدث عن نقضهم الميثاق سواء أكانوا من اليهود أم النصارى، وتحريفهم لكتابتهم ونسيانهم له بعض عقائدهم وزيفهم وخاصة النصارى في موضوع عيسى U.

٢- تحدثت عن موقفهم مع موسى، وتخليهم عنه وخاطبهم بالموعظة وإقامة الحجة عليهم، وادعائهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وحذرت من موالاتهم ومواساة النبي P لسوء معاملتهم والتبئيس من هدايتهم.

٣- بينت صفاتهم من الحقد والحسد والخيانة، وبينت صفة الغلو والطغيان والكفر كما بينت أنهم فرق مختلفة بين الإيمان والكفر، وبينت صفة الذلة والضعف والاختلاف ووضحت طرق التعامل معهم. (٢)

(١) ينظر الآيات (٦٥، ٦٤، ٩٦، ٦٨، ٧٤، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ١١٠، ١١٠، ٦٤، ٨٣) من آل عمران.

(٢) ينظر الآيات (٦٢، ٥٩، ١٣، ١٤-٦٨) من سورة المائدة.

سورة العنكبوت : نهت عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالقول الجميل، وبينت طريقة دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، وطريقة التعامل معهم. (١)

سورة الأحزاب: ١- تحدثت عن إخراج بني قريظة من ديارهم لأنهم ظاهروا الأحزاب على النبي (٢)
٢- وبينت صفة الذلة والضعف والاختلاف.

سورة الحديد: تنفي تخصيص أهل الكتاب بالرسالة والنبوة وإعلامهم أن الله تعالى قد أتى محمداً من الفضل والكرامة ما لم يؤتهم. (٣)

سورة الحشر: ١- الحديث عن جلاء بني النضير.

٢- وصف الأخوة الكاذبة بين المنافقين واليهود بادعائهم (ادعاء المنافقين) أنهم سينصرونهم في حين أخرجوا من ديارهم، وذكر أنهم يخافون الناس أكثر من خوفهم من الله.

سورة البينة: ١- جاءت تصف أهل الكتاب بالمجادلة بالباطل وإنكار الحق.

2- جاءت تبين حالهم قبل وبعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتناقض

حالهم وذكر الله أنهم أمروا بالإخلاص في العبادة لله، لكنهم كانوا شر البرية (٤).

أما سورة النساء فقد ذكرت جميع الأصناف من يهود ونصارى، وقد أتت بجميع هذه المحاور من ذكر لصفات الحسد والحقد والخيانة لدى أهل الكتاب، وصفة الغلو والجدال بالباطل، وصفة النفاق. حيث تكلمت عن اليهود وأعمالهم وتحريف الكلم عن مواضعه، وحسدكم وحقدكم للنبي وتهديدكم ووعيدكم وجزائهم على أعمالهم، وقبائحهم وتعنتهم مع النبي ρ وكفرهم بعيسى، ونقضهم لميثاقهم وظلمهم، وأخذهم الربا وسوء أعمالهم.

وأضافت على السور السابقة:

(١) ينظر الآية (٤٦) من سورة العنكبوت وينظر الطبري، التفسير العظيم، ج ٢٠، ص ٤٦.

(٢) ينظر الآية (٢٦) من سورة الأحزاب وينظر الطبري، التفسير العظيم، ج ٢٠، ص ٢٨٤.

(٣) ينظر الآية (٢٩) من سورة الحديد وينظر الطبري، التفسير العظيم، ج ٢٤، ص ٥٤١.

(٤) ينظر الآية (١) من سورة البينة.

أولاً: تحدثت عن طلبهم الذي يقتضي إنزال الكتاب من السماء، وهي بنص الآية من أصغر طلباتهم وأقلها تعنتاً وهذا يتناسب مع موضوع السورة أيضاً في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُتَّكِفُونَ﴾ (النساء: ١٥٣).

ثانياً: تحدثت عن ميثاق غليظ سيؤمن به كل كتابي قبل موته وإن لم ينفعه ذلك الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩).

ثالثاً: لم تصفهم السورة بالطغيان والكفر والمعصية والعدوان كما في السور الأخرى، بل وصفتهم بالظلم فقط (بظلمهم، فبظلم) في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء: ١٥٣) وقوله تعالى: ﴿فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَقَتْ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبَصَدِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٦٠). والكفر والشرك ظلم، ولكنها اختارت اللفظ الأخف لتصفهم به، وحين ذكر الكفر أتبعه بكلمة منهم التي تفيد التبويض فلم تقل وكثير منهم فاسقون كما مر سابقاً ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْبَهُمْ آمُوال النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٦١).

رابعاً: أكدت على دعوتهم للحق والهدى وترك الغلو في عيسى، والأسلوب الهين اللين الذي يتناسب وموضوع السورة في الوصل والتواصل بين أبناء المجتمع ليكون مجتمعاً متكافلاً متماسكاً في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: ١٧١).

والخريطة الذهنية الآتية تلخص علاقة سورة النساء بغيرها مع معظم السور القرآنية التي تحدثت عن أهل الكتاب.

أهل الكتاب

البقرة

- محاورة اليهود وذكر النصارى
- تعنت اليهود ووقاحتهم
- نقض اليهود للميثاق وعدم عملهم بالتوراة
- نذهم للمهود والمواثيق
- عداوتهم للمسلمين وحسد لهم

أل عمران

- محاورة النصارى وذكر اليهود
- رفضهم تحكيم كتاب الله
- محاجتهم في موضوع عيسى عليه السلام
- بيان صفة الحقد والحسد والخيانة والغلو والطغيان

النساء

- بيان صفات الحسد والحقد والخيانة والغلو والجدال بالباطل والنفاق
- بيان تحريف الكلم عن مواضعه
- تهديدهم ووعدهم على أعمالهم وقبائحهم
- التحذير من التمنى
- تعنتهم بطلبهم انزال كتاب من السماء
- بيان الميثاق الغليظ الذي سيز من به كل كتابي قبل موته
- وصفهم بالظلم
- تأكيد دعوتهم الى الحق وترك الغلو في عيسى عليه السلام

البينة

- وصف أهل الكتاب بالمجادلة بالباطل وانتكار الحق
- وصف أهل الكتاب بأنهم شر البرية

الحشر

- الحديث عن جلاء بني النضير
- وصف الأخوة الكاذبة بين المنافقين واليهود

الحديد

- نفي تخصيص أهل الكتاب بأنهم أهل الرسالة

الأحزاب

- إخراج بني قريظة من ديارهم
- بيان صفة الذلة والضعف والاختلاف

العنكبوت

- النهي عن مجادلة أهل الكتاب الا بالحسنى

المائدة

- مناقشة اليهود ونقضهم الميثاق
- تحريفهم لكتابهم ونسيانهم لهم
- موقفهم مع موسى عليه السلام وتخليبهم عنه
- بيان صفاتهم من الحقد والحسد والخيانة والغلو والذلة والضعف

مخطط رقم 7

علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن أهل الكتاب

المطلب السابع: علاقة السورة بغيرها في موضوع المال

موضوع المال من الموضوعات التي عالجها القرآن بإسهاب، وجاء هذا الموضوع في كثير من السور يحث على الإنفاق من المال والتحذير منه ومن ذلك ما جاء في السور التالية:

سورة البقرة:

١- اعتبار إنفاق المال وجها من وجوه البر عند إنفاقه في سبيل الخير.

٢- المال سبب من أسباب الملك.

٣- أهمية الإنفاق في سبيل الله، ولا قيمة للصدقة مع الرياء.

٤- نقص المال ابتلاء من ابتلاءات الله للإنسان.

٥- تعظيم حرمة أكل مال المسلم.

٦- تنبيه المؤمن إلى الابتعاد عن المكاسب الخبيثة كالربا.

٧- أهمية الإنفاق في سبيل الله لأن أجره مضاعف ولا يعلمه إلا الله.

٨- النفاق في سبيل الله يعود خيره على المجتمع كله وينفع الإنسان في ذريته.

٩- صدقة السر خير من صدقة العلانية، والله لا يخفى عليه شيء. (١)

سورة آل عمران: ١- الكفر سبب من أسباب عذاب الله للكفار ولن تغني الأموال عنهم شيئا.

٢- الابتلاء والامتحان في المال. (٢)

سورة الأنعام: التحذير من أكل مال اليتيم. (٣)

سورة الأنفال: بذل المال في سبيل الله نوع من أنواع الجهاد. (١)

(١) ينظر الآيات (١٧٧ و٢٤٧ و٢٦٤ و١٥٥ و١٨٨ و٢٧٩ و٢٦١ و٢٦٢ و٢٦٥ و٢٧٤) من سورة البقرة.

(٢) ينظر الآيات (٣٩ و١٨٦ و١٠ و١١٦) من سورة آل عمران.

(٣) ينظر الآية (١٥٢) من سورة الأنعام.

- سورة التوبة: ١- وجوب الإنفاق في سبيل الله وإخراج الزكاة.
- ٢- من صفات اليهود أكل أموال الناس بالباطل.
- ٣- وجوب الجهاد بالأموال في سبيل الله.
- ٤- تعذيب المنافقين بالمال في الدنيا.
- ٥- الصدقة عن الأموال تطهر المسلم وتزكيه.^(٢)
- سورة يونس: المال قد يكون سبباً من أسباب الضلال.^(٣)
- سورة الإسراء: ١- عدم أكل أموال اليتيم بالباطل.
- ٢- مشاركة الشيطان للكافر في المال.^(٤)
- سورة الكهف: ١- المال سبب من أسباب التفاخر بين الناس.
- ٢- تنبيه من فتنة المال والولد.^(٥)
- سورة النور: إعطاء الزوجات أموالهن.^(٦)
- سورة سبأ: المال سبب من أسباب التفاخر بين المترفين وإعراضهم عن الإيمان بسببه.^(٧)
- سورة الفتح: المال سبب من أسباب الانشغال عن الجهاد.^(٨)
- سورة الذاريات: من صفات المؤمن التصديق بأمواله للسائل والمحروم.^(٩)

(١) ينظر الآية (٤٨ و ٧٢) من سورة الأنفال.

(٢) ينظر الآية (٣٤ و ٦٩ و ٤١ و ٢٠ و ٤٤ و ٥٥ و ٨١ و ٨٨ و ١٠٣ و ١١١) من سورة التوبة

(٣) ينظر الآية (٨٨) من سورة يونس

(٤) ينظر الآية (٣٤ و ٦٤) من سورة الإسراء

(٥) ينظر الآية (٣٤ و ٤٦) من سورة الكهف

(٦) ينظر الآية (٣٣) من سورة النور

(٧) ينظر الآية (٣٥) من سورة سبأ

(٨) ينظر الآية (١١) من سورة الفتح

(٩) ينظر الآية (١٩) من سورة الذاريات

سورة الحشر: المال لله تعالى ولا يجوز أن يكون ملكاً متداولاً بين الأغنياء وخدمهم، لذا تم تقسيمه بين فئات المجتمع كافة. (١)

سورة الصف: المجاهدة بالأموال في سبيل الله من علامات الإيمان. (٢)

سورة المنافقون: تنبيه المؤمنين إلى عدم الانشغال عن ذكر الله بسبب الأموال لأنه خسران ميبين. (٣)

وغير هذه السور مما تحدث عن المال وحب الإنسان له، والتفاخر به، والحث على الإنفاق منه، واستخلاف الإنسان فيه، وإمداد الكافر به، وتحريم كنزه أو أكله بالباطل أو البخل به.

ومما سبق يُلاحظ أن الحديث عن المال في القرآن لم يُطرح فقط في سورة النساء، إلا أنه ذكر بكثرة فيها؛ لأن سورة النساء هي سورة المستضعفين وأهم أسباب الاستضعاف واستكبار المتكبرين هو وجود المال في أيديهم دون المستضعفين فينكدس في أيدي هذه الفئة، ويعيشون فيها بالفساد والطغيان والاستكبار، وبذلك تكثر الفئة المستضعفة في المجتمع. فجاءت سورة النساء تتحدث عن أهم نظام مالي في توزيع المال، حتى لا يترك في يد فئة واحدة من الناس، ونظام الميراث الشرعي الذي لم ولن يأت مثله على مر الدهور، وهذا من أهم ما امتازت به السورة وتحدثت عنه بشكل كبير، مما جعل الباحثة تدرج هذا الموضوع تحت هذا المبحث.

وسيتم تقسيم الموضوعات المالية إلى ثلاثة أقسام (اكتساب المال وحفظه، التصرف الشرعي بالمال، حسنات المال وآفاته). ففي جانب طرق اكتساب المال للرجل فقد حددت بعض الطرق لاكتساب المال المشروع التي هي (البيع عن تراض، الميراث، حضور قسمة الميراث للفئات المذكورة في السورة)، وحرّم على الرجل اكتساب المال بالطرق التالية: (أكل مال اليتيم، أكل أموال

(١) ينظر الآية (٨) من سورة الحشر.

(٢) ينظر الآية (١١) من سورة الصف.

(٣) ينظر الآية (٩) من سورة المنافقون.

الناس بالباطل، عضل النساء بأخذ المهر منها، وتحريم الربا عَرَضاً حين ذكرت الصفات التي لُعن بسببها بنو إسرائيل). أما المرأة فقد حدد بعض الطرق لاكتسابها المشروع بالمهر والميراث وحضور القسمة. ومال المرأة من الموضوعات التي امتازت سورة النساء بمعالجتها بصورة لم تتعرض لها سورة أخرى. وبالنسبة لحفظ المال فقد حددت بعض الوسائل منها: الوصاية على مال اليتيم، الحجر على من لا يستطيع إدارة المال ومساعدتهم في استثمارها كالسفهاء والأطفال، وهذان الأخيران مما اختصت به السورة، كما ذكرت السورة الدين ووجوب سداه قبل التورث، لحفظ مال الآخرين وحقوقهم وهذا أيضاً من خصائص السورة .

أما الجانب الثاني وهو التصرف الشرعي بالمال، فقد ذكرت السورة أحكام الميراث المفصلة له، وهذا مما اختصت به السورة . حيث امتازت آيات الفرائض فيها بما يأتي: (١)

أ - أعجزت في إيجازها حينما اشتملت آية الختام على علم الفرائض كله.

ب- جزالة نص الآيات مع أنها نص قانوني من نوع خاص جداً، أحكامه أرقام

حسابية: نصف، ربع، سدس، ثلث، ثم هي تصرف على ألفاظ جامدة: أب، أم، ولد،

بنت ...، ولا تجد اختلافاً بين هذه الآيات وما قبلها وما بعدها.

ج- تناغم الآيات الموسيقي الذي يحمل سمات النغم القرآني مع أن مضمون الآيات يشتمل

على أرقام وأسماء لا تلين للأسلوب الأدبي والتناغم الموسيقي.

د- تصنيف الأحكام الواردة في الآيات بحسب الأولويات وذلك لأن الورثة ثلاثة أقسام:

- قسم أقارب قريبون لا يسقط حقهم بحال وهم الأولاد والآباء.

- قسم غير أقارب لا يسقط حقهم وهم الأزواج.

- وقسم يقبل حقهم السقوط وهم الكلاله.

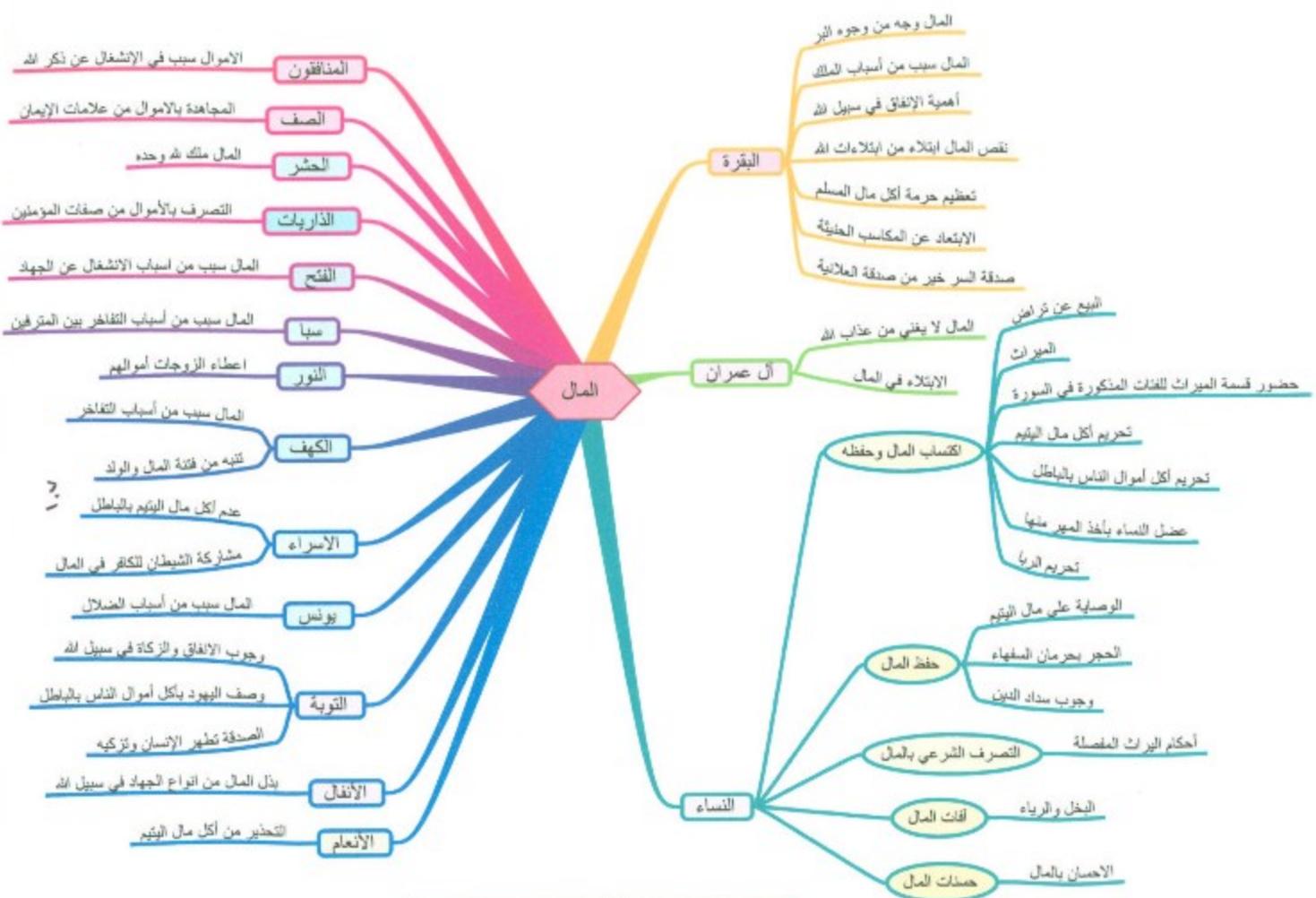
(١) عتر، أحكام سورة النساء، ص ١٥٤

فجاء أسلوب الآيات بآية خاصة في الإعجاز البياني كما أنها آية في الإعجاز التشريعي.
وأما الجانب الأخير وهو آفات المال وحسناته، فقد ذكرت السورة البخل والرياء. إلا أنها ذكرت من
جانب آخر أن المال هو واحد من الأسباب التي نال بها الرجال قوامتهم على النساء، وهذا مما
اختصت السورة به أيضاً.

وتحدثت عن وجوب أداء الأمانات لأصحابها والتي منها الأمانات المالية، وتحدثت عن الإحسان

بالمال في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ (النساء: ٢٤).

والخريطة الذهنية الآتية تلخص علاقة سورة النساء بغيرها مع معظم السور القرآنية التي تحدثت
عن المال.



مخطط رقم 8
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن المال

الفصل الثالث

التناسب بين محور السورة وموضوعاتها وآياتها

المبحث الأول: التناسب بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها

المطلب الأول: مقاصد السورة ومحورها

المطلب الثاني: التناسب بين اسم السورة ومحورها

المطلب الثالث: تناسب الموضوعات مع محور السورة

المبحث الثاني: التناسب بين الآيات وروابطها

المطلب الأول: تناسب الآيات المكتملة لبعضها

المطلب الثاني: تناسب الآيات المستقلة عن الآيات السابقة لها

المبحث الثالث: التناسب بين مقاطع الآية الواحدة

المطلب الأول: تناسب الموضوع في الآية الواحدة

المطلب الثاني: تناسب الفاصلة مع موضوع الآية

الفصل الثالث : التناسب بين محور السورة و موضوعاتها وآياتها.

المبحث الأول: التناسب بين اسم السورة ومحورها وموضوعاتها

المطلب الأول: مقاصد السورة ومحورها

إن أردت معرفة التناسب في السورة فلا بد لك أن تنظر لها نظرة شمولية متكاملة لمعرفة مقصودها حيث "تتوقف الإجابة في المناسبات على معرفة مقصود السورة المطلوب" ^(١). و"السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقتضي بأن يكون هذا النحو من الدرس (النظرة الشمولية للسورة) هو الخطوة الأولى فيها، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات بين الأجزاء إلا بعد أن يُحكّم النظر في السورة كلها، بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معاوناً على السير في تلك التفاصيل عن بيّنة". ^(٢)

وفي ذلك يقول محمد محمود حجازي: " من لم يفرق النظر في الآيات على أنها منفصلة تماماً عن غيرها، ولم ينظر نظرة إجمالية عامة في السورة وفي هدفها العام، لم يحصل إلا على فهم ظواهر الألفاظ بحسب الوضع اللغوي لا بحسب المقصود". ^(٣)

ويقول: "ولم تر إلاّ القليل نظر في السورة نظرة عامة يعرف بها الغرض المقصود منها لأول وهلة مع بيان أغراضها، وربط بعض آياتها ببعض حتى تظهر السورة في صورة متكاملة ومتناسقة تماماً". ^(٤)

(١) البقاعي، نظم الدرر، ج ١، ص ٥

(٢) دراز، النبأ العظيم، ص ١٥٨

(٣) حجازي، الوحدة الموضوعية، ص ٤٩

(٤) حجازي، الوحدة الموضوعية، ص ٢٣-٢٤

ويقول محمد رجب البيومي في تعليقه على طريقة ربط بعض المفسرين للآيات أيضا: "...لأن الربط الذي برع فيه المفسرون كأنه ربط جزئي، ينظر إلى الآية المجاورة دون أن يحدد هدفاً واحداً للسورة".^(١)

وانطلاقاً من أقوال هؤلاء العلماء ستقوم الباحثة بإيجاد المقاصد التي دارت حولها السورة؛ ليتبين المحور العام الذي تدور حوله هذه المقاصد، وبعد ذلك تستطيع أن تقوم بتقسيم السورة إلى مقاطع ليُبحث في تناسب موضوعاتها حتى لا يغيب عنا محورها حين يُبحث في التناسب بين آياتها وموضوعاتها.^(٢)

ومما يعين كل مفسر على إيجاد مقاصد السورة التي يبحث فيها أمور منها:

١- معرفة اسم السورة ودراسته، والذي يدل ويساعد على تحديد مقصودها فمن عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آياتها وقصصها وجميع أجزائها^(٣). وهذا وإن لم يكن مضطرباً، لكنه يصدق على معظم سور القرآن وستبرهن الباحثة عليه في المطلب الثاني.

٢- معرفة مكية السورة أو مدنيته، " فالسور المدنية جاءت في معاني التشريع وبناء المجتمع والدولة، وتنظيم شؤونها، وتنظيم علاقة المجتمع الإسلامي بغيره من المجتمعات، واقتضى

(١) البيومي، محمد رجب، البيان القرآني، ط١ (١٩٧١م)، دار النصر للطباعة، ص١٧٨

(٢) المقصد القرآني: يعد الهدف والغاية "الملحوظة في آيات الموضوع القرآني في لفظها ومعناها فهو المحصول منها وما ترمي إليه الآيات القرآنية شرح وتفصيل له أو تعليل أو إثبات له ليتحقق عند المخاطبين به وتقسيم إلى قسمين: عامة وهي التي من أجلها أنزل القرآن والخاصة هي التي تلاحظ في السورة القرآنية وهي مترتبة ومتفرعة على المقاصد العامة... ينظر: علان، علي عبد الله علي، منهج

مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء (١٩٩٩م)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص٥٩

(٣) البقاعي، مساعد النظر، ج١، ص١٤٩

ذلك تعريفاً باليهود والنصارى، ودحض عقائدهم وافتراءاتهم الباطلة، كما اقتضى ذلك بيان

أحكام الجهاد والسلم، كما عرّفت السور المدنية بالمنافقين وكشفت صفاتهم" . (١)

٣- ملاحظة تكرار بعض ألفاظ السورة بكثرة داخل السورة، كورود لفظ الجلالة أو لفظ الربوبية

بكثرة، أو أسماء الله التي تدل على رحمته أو عظمته أو قوته أو علمه وما شابه، وتكرر

لفظ الهداية أو التقوى أو الضعف أو العذاب وما أشبه أو غلبة الأفعال المضارعة على

الماضية والمفرد على الجمع وغير ذلك، ومما يؤكد ذلك مثلاً قول د. السامرائي عند بيان

الفرق بين (إنا رسول) في الشعراء (وإنا رسولا) في طه " ففي سورة الشعراء....القصة مبنية

على الوحدة لا على التثنية، في حين بنى الكلام في سورة طه على التثنية" ثم يبين ذلك. (٢)

٤- استيفاء السورة جميعها بالنظر المتكرر بتدبر.

٥- حصر الآيات التي تكون مقدمة السورة، فإنها تشمل على ما يهدي إلى محور السورة

ومقاصدها، وحصر الآيات التي تكون خاتمة السورة.

٦- تقسيم السورة إلى مقاطع وتحديد آيات كل مقطع وعنوانه ، ثم النظر إلى الروح التي تسري

بين موضوعاته وتحديد الرابط بينها. (٣)

ولابد هنا من ذكر المقاصد القرآنية العامة التي أتى بها القرآن لبيان أن سورة النساء اشتملت على

الكثير من المقاصد القرآنية إن لم تكن قد شملتها كلها وقد اختصرها الشيخ شلتوت بذكره أن

مقاصد القرآن تدور حول ثلاث نواح وهي العقيدة، الأخلاق والأحكام (٤) ، فإن عرفت المقاصد

العامة التي جاء لأجلها القرآن؛ يُشرع بذكر المقاصد التي دارت حولها سورة النساء وهي:

(١) علي علان ، منهج مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء (١٩٩٩)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ، ص ٥٥

(٢) السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط ٢٠٠٦، م٤، دار عمار ، ص ٩٧

(٣) علي علان، منهج مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء، ص ٦١

(٤) شلتوت، محمود، إلى القرآن الكريم، ط ١٩٦٢، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، ص ١-٢

المقصد الأول: القرآن كتاب هداية ودعوة وإيمان وتدبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩) وتمثلت في الآيات الآتية:

- آية (١٣-١٤) طاعة الله سبب في دخول الجنة، وتعدي حدود الله سبب في دخول النار.

- آية (٢٦-٢٨) التشريعات الإلهية فيها لطف وكرامة للإنسان، والهداية والتوبة من الله رحمة منه بعباده.

- آية (٦٦-٧٠) بيان يسر التشريع الإلهي وجزاء الملتزمين بالتكاليف الشرعية وحسن مصيرهم.

- آية (١٢٢-١٢٦) الإيمان بالله والعمل الصالح طريق الجنة، وثواب المؤمنين ودخول الجنة للذكور والإناث وأتباع إبراهيم الموحدين.

- آية (١٦٣-١٦٦) وظيفة الرسل التبشير والإنذار، والوحي بأمر الله ومن عنده.

- آية (١٧٣-١٧٥) جزاء المؤمنين ومعاقبة المشركين ودعوة للناس لاتباع محمد والعمل بالقرآن؛ لأنه البرهان والنور المبين والاعتصام بالله هو سبيل الهداية.

المقصد الثاني: بناء الشخصية المؤمنة وتركيتها لتكوين الأسرة والتي هي اللبنة الأولى والأساسية

في المجتمع، ويعبر عنها (بالأحوال المدنية) وفيها أحكام الأسرة من زواج ومهور ونسب ووصية

وإرث وغيرها، ومن هذه اللبنة "الأسرة" تنشأ الأسر، وبذلك يتكون المجتمع وتنظم العلاقة بين كافة

طبقاته من عدة نواحٍ منها:

أ- المعاملات المالية من بيوع وميراث وغيرها وتمثلت في الآيات الآتية:

- آية (٢-١٤) جاءت لحفظ المال والحقوق المتعلقة به، حيث جاءت آيات المواريث

وفيهما تحديد لمقادير الميراث الشرعي، واشتراك الرجل والمرأة بقدر متساو إذا كانا قد

خرجا من دائرة الإنفاق على الآخرين كالأب والأم والجد والجددة.

- آية (٢١) لا يحل أخذ مال مسلم من مسلم إلا عن طيب نفس منه.

- آية (٢٩-٣٠) تحريم أكل المال الحرام.

ب- عقوبات وأحكام جنایات وتعزير ودية وجرائم كالقتل والسرقة والفساد والزنا وغيرها

والمقصود فيها حفظ النفس والأعراض وتمثلت في الآيات الآتية:

- آية (١٥-١٦) عقوبة الزنا.

- آية (٩٢-٩٣) حرمة النفس المؤمنة، وأحكام القتل الخطأ والقتل المتعمد.

- آية (٩٤) بيان الحكم على ظاهر أعمال الناس، ولا مجال للتخمين والظن بالأخذ في

العقاب .

- آية (٩٧-١٠٠) أحكام الهجرة إلى الله ورسوله يكون فراراً من ديار الكفر.

المقصد الثالث : تنظيم العلاقة بين الإيمان والكفر، ويعبر عنه بـ(الأحكام الدولية) وتشمل الحرب

والسلم وما يتبعه من أسرى وغنائم ومعاهدات وغيرها، وما يتولد من ذلك من نفاق ومنافقين في

المجتمع.

وفي هذا المقصد حفظ المجتمع من النفاق وكيفية التعامل مع المنافقين وفيه حفظ للسلطة القضائية

وتمثلت في الآيات:

- (٦٠-٧٣) حفظ المجتمع من خطر النفاق.

- (٧٤-١٠٢) حفظ المستضعفين.

- (١٠٥-١١٣) حفظ السلطة القضائية.

المقصد الرابع : "الإصلاح الإنساني والاجتماعي والسياسي والوطني بتجمع الوحدات، وحدة الأمة، ووحدة الجنس البشري ووحدة الدين ووحدة التشريع بالمساواة في العدل ووحدة الأخوة الروحية ووحدة الجنسية السياسية الدولية". (١)

وقد تمثل هذا المقصد في أول آيات سورة النساء " ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١) ". (٢)

المقصد الخامس: بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالعبادات كالصلاة والتيمم وغيرها وتمثلت في الآيات:

- آية (٤٣) (الصلاة والتيمم).

- آية (١٠٣-١٠١) صلاة الخوف.

وبعد هذه الجولة مع مقاصد سورة النساء سيتضح محور السورة، وقد يكون للسورة محور واحد أو أكثر تدور حوله، كما يقول الشاطبي: "غير أن الكلام المنظور فيه تارة يكون واحداً بكل اعتبار بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طال أم قصرت وعليه أكثر سور المفصل، وتارة يكون متعدداً في الاعتبار بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة كسورة البقرة وآل عمران، ولكن الذي ينظر في السورة القرآنية متعددة الموضوعات يرى أن هناك محوراً تدور في فلكه موضوعات السورة وتتشد إليه". (٣)

وقد اختلف العلماء في تحديد محور السورة ، وهذا يدل على عظمة القرآن وإعجازه فهو أمر اجتهادي يبرز ثراء القرآن.

(١) محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤)، الوحي المحمدي ، ط ١ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥)، دار الكتب العلمية - بيروت ، ص ١٨٧

(٢) سيأتي الحديث لاحقاً عن شمولية هذه الآية وتكامل موضوعاتها وتناسبها ، ص ١٦٦

(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة ، ط ١ (١٩٩٤)، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة-لبنان ، ج ٣،

فالبقاعي يرى أن "من أعظم مقاصد السورة العدل في الضعفاء من الأيتام وغيرهم في الميراث وغيره". (١)

وسيد قطب يرى: "أن السورة تعمل بجد وجهد في محو ملامح المجتمع الجاهلي، الذي منه اختيرت المجموعة المسلمة، ونبذ رواسبه، وفي تكييف ملامح المجتمع المسلم وتطهيره من الرواسب الجاهلية فيه، وجلاء شخصيته الخاصة، وتعمل بجد وجهد في استجاشته للدفاع عن كينونته المميزة، وذلك بيان طبيعة المنهج الذي انبثقت منه هذه الكينونة المميزة، والتعريف بأعدائه الراصدين له من حوله من المشركين وأهل الكتاب، ولا سيما اليهود وأعدائه المتمنعين فيه من ضعاف الإيمان والمنافقين وكشف وسائلهم وحيلهم ومكائدهم، مع وضع الأنظمة والتشريعات التي تنظم هذا كله وتحدده وتصبه في قالب التنفيذ المضبوط". (٢)

وقد أشار الشيخ محمود شلتوت إلى مقصدها بقوله: "سورة النساء تعالج الاستقرار الداخلي والاستقرار الخارجي، فالاستقرار الداخلي أساسه صلاح الأسرة وصلاح المال في ظل تشريع قوي عادل، مبني على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانية. والاستقرار الخارجي: أساسه احتفاظ الأمة بشخصيتها، والاستعداد لمقاومة الشر الذي يطرأ عليها، والعدو الذي يطمع فيها". (٣)

ويشاركهم الدكتور محمد سيد طنطاوي الرأي فيقول: "سورة النساء تعتبر أطول سورة مدنية بعد سورة البقرة، وإنك لتقرأها بتدبر وتفهم، فتراها قد اشتملت على مقاصد عالية، وآداب سامية وتوجيهات حكيمة وتشريعات جلية . تراها تنظم المجتمع الإسلامي تنظيماً دقيقاً قوياً يؤدي اتباعه إلى سعادة المجتمع واستقراره داخلياً وخارجياً" ويبين أنها قصدت الحفاظ على الوطن والسلطان والعقيدة والإيمان. (٤)

(١) البقاعي، نظم الدرر، ج٥، ص٤١٤

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٥٥٥.

(٣) محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى ط١١، دار الشروق القاهرة - مصر (١٤٠٨-١٩٨٨)، ص١٦٩

(٤) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، ط١ (١٩٩٧)، دار نهضة مصر، القاهرة، ج٣، ص٩ .

وبعد طول نظر وتدبر في السورة الكريمة، تبين للباحثة ما ظهر لهؤلاء العلماء في أن محور السورة العام هو تنظيم المجتمع المسلم، ومقاومة ومعالجة الضعف ورعاية شؤون المستضعفين على أساس العدل والإنصاف والإصلاح.

فالسورة جاءت تثبت مبدأ العدل والتكافل الاجتماعي، بداية من النواة الصغيرة لينطلق فيما بعد إلى النواة الأوسع في المجتمع وأصنافه وطوائفه؛ لإنشاء المجتمع الجديد وإصلاحه.

وبناءً على ذلك يبين المطلب التالي تناسب اسم السورة مع هذا المحور الذي دارت حوله.

المطلب الثاني: التناسب بين اسم السورة ومحورها.

العنوان لأي محتوى يأتي ليمثل الإشارة إلى ما سيأتي بعده وكما يقولون: المكتوب يظهر من عنوانه، ولكل من اسمه نصيب، فإن العنوان يعتبر دلالة واضحة لما سيشير إليه في النص سواء أكان هذا العنوان يرمز إلى قصة أم إلى موضوع أم إلى عدة موضوعات، وأما في القرآن الكريم فإن عنوان السورة يأتي في أغلب الأحيان ليترجم ويفصح عن مقصود السورة، وفي هذا يقول البقاعي: "وقد ظهر لي أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه، ومقصود كل سورة هادٍ إلى تناسبها".^(١) وإن لم يكن هذا مضطرباً في جميع السور. "وأغلب السور تأتي ولا يعرف لها إلا اسم واحد كسورة البقرة وآل عمران، وقد تسمى السورة بأول كلمة فيها مثل كثير من السور كسورة العصر والقارعة، وقد تسمى بكلمة في الآية الأولى منها كالأنفال والواقعة، وقد تسمى بموضوع بارز فيها كالبقرة وآل عمران".^(٢)

(١) البقاعي، مصادد النظر، ج ١، ص ٢٠٩

(٢) نوفل، أحمد، تفسير سورة القصص دراسة تحليلية موضوعية، ط ١ (٢٠٠٥) مركز حراء القرآني جمعية المحافظة على القرآن،

وقد تسمى بالهدف من نزولها كسورة الإخلاص، وقد تسمى بحرف منقطع بدأت به ك (ق ، ص) وقد تسمى باسم نبي وإن لم تكن قصته هي الأبرز، أو اسمه الأول كسورة يونس فذكر موسى وفرعون كان أطول القصص في القرآن وأكثرها توزعاً على السور، ومع هذا فلا توجد سورة اسمها سورة موسى، بينما كانت الإشارة خاطفة لقوم يونس ومع هذا سميت السورة بسورة يونس وهذا النوع الأخير يحتاج إلى دقة استنباط.

وسورة النساء كانت من السور التي سميت باسم كلمة وموضوع رئيس تحدثت عنه الآيات فقد ذكرت فيها أحكام النساء وطوّلت على غير ما ذكرت في السور الأخرى ، يقول الشعراوي:

" وهنا تأتي سورة النساء والاسم المختار لها اسم مكرم للجنس الآخر من النوع الإنساني، ونلاحظ أن الحق لم ينزل سورة باسم الرجال وجاء بسورة وسماها النساء، وتتعلق بها أحكام كثيرة وهذه الأحكام هنا جاءت تتكلم عن الوعاء الحاضن للنفس البشرية؛ لأن مجال المرأة مع الإنسان ولا يوجد تكريم أكثر من الله يجعلها حاضنة لأكرم مخلوقات الله". (١)

ويذكر البقاعي في سبب تسميتها ومناسبة اسمها مع ما سبقها من السور فيقول: "ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في التواصل عادة الأرحام العاطف على مدارها النساء، ولأنه بالانتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد". (٢)

و ذكر كثير من المفسرين أن سورة النساء سميت بذلك لكثرة ما جاء فيها من أحكام النساء والقضايا التي ترتبط بهن بدرجة لم تكن موجودة في غيرها من السور، وذلك أنها تحدثت عن أمور هامة تتعلق بالمرأة والبيت والأسرة والدولة والمجتمع.

(١) الشعراوي ، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ج٤ ، ص١٩٨٣.

(٢) البقاعي ، مصاعد النظر، ج٢، ص٨٨-٨٩.

فهي الوعاء الحاضن، وهي التي تُخرج الذكور والإناث، وهي التي تربي وتتشئ الأجيال فكان لاسم هذه السورة علاقة كبيرة بمقاصدها التي دارت حول محور تنظيم المجتمع المسلم ومراعاة المستضعفين ومعاملتهم على أساس العدل.

ولأن الأنثى تعتبر عنصراً ضعيفاً بالنسبة إلى الذكر ولا أقصد هنا الضعف المعنوي، وإنما أقصد الضعف الفطري وجاءت تمثلها كلمة القوارير، كما قال ρ: "رفقاً بالقوارير" ^(١) أقصد النساء الرقيقات اللواتي خلقن من ضلع. فسوف يتبين علاقة الضعف هذا بكل موضوعات السورة دون استثناء، فكأن اسم النساء جاء نيابة عن الضعفاء الذين ستتحدث عنهم السورة. ويدلنا على ذلك ما قاله البقاعي "ومقصد كل سورة هاد إلى تناسبها". ^(٢)

وتوافق الباحثة على ما قاله البقاعي في أن أسماء السور لها علاقة بموضوعاتها ومقاصدها، ولكن ذلك لا يأتي في كل سور القرآن ^(٣)، فألحظُ أن العنوان وافق مقاصد السورة هنا واستوفاه واستوفى موضوعاتها ومحورها، ولذلك ستذكر الباحثة موضوعات السورة باختصار، وتدلل عليها بما أوحاه اسم السورة (النساء).

وقبل ذلك تتوه الباحثة إلى ما قاله د. إبراهيم خليفة معلقاً على قول العلماء بتسمية سورة النساء بهذا الاسم ممثلاً بقول القاسمي في تفسيره إذ يقول تحت عنوان (الطيفة): "إنما سميت سورة النساء؛ لأن ما نزل منها في أحكامهن أكثر مما نزل في غيرها". ^(٤)

(١) ذكر العلماء أن سبب تسمية النساء بالقوارير لضعف عزائمن أو تشبيها بقارورة الزجاج لضعفا وإسراع الانكسار إليها. والحديث يا

أنجشة رويدك سوقك بالقوارير" فإن القوارير هنا كناية عن النساء. ينظر شرح النووي على مسلم، باب: ما يجوز من الشعر ج ٩،

ص ٣٢٤

(٢) البقاعي، نظم الدرر، ج ١، ص ٢٠٩٤

(٣) فمثلا سورة البقرة هي سورة الاستخلاف للإنسان على الأرض (البقرة) اسم لا يدل على ذلك وإنما ترمز لأشياء أخرى.

(٤) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت ١٣٣٢ هـ)، محاسن التأويل، ط ١ (١٤١٨ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب

العلمية - بيروت، ج ٥، ص ٤

ويقول د. خليفة إن هناك سوراً أخرى كثيرة وردت فيها أحكام النساء كسورة البقرة والطلاق والأحزاب والنور، لكن سورة النساء لم تخصص بهذا الاسم؛ لأنها اشتملت على أحكام تخص النساء فحسب، فإن هذا يدل على سطحية التفكير، ولكن لو تأملها المتأمل لوجد فيها موضوعين سرياً فيها وهما من ألق الموضوعات في التعامل مع النساء وهما الإنصاف والإصلاح.

وقد ورد الحديث في سورة النساء عن حقوق النساء وحقوق الضعفاء، فسميت كذلك لأنها تحدثت عن جوانب كثيرة تهم النساء من أهمها الإنصاف وهي ما تحتاجه المرأة من زوجها ومن وليها إن كانت يتيمة، أو من والدها إن لم تكن يتيمة، وتحتاج إلى الإصلاح لأن حقوق النساء ليست فقط في أن تعطى حقها، وإنما أيضاً في أن تصلحها وتربيتها وتتعهدها بحسن التربية والرعاية لتكون امرأة صالحة في مجتمعها^(١) وترى الباحثة أن ما ذكره د.خليفة جاء مؤيداً لما ذهب إليه المفسرون ومفصلاً له، ولم يكن هناك داع لوصف تفكيرهم بالسطحية.

أما الموضوعات التي شملتها السورة وجاء العنوان يتناسب معها فهي:

١- وحدة الأصل الإنساني في النشأة والخلق.^(٢)

٢- الحديث عن الأسرة وأحكامها، حيث تتحدث عن اليتامى والزواج بأحكامه وضوابطه والعلاقة الزوجية، والموارث، وحكم الشذوذ عند الرجل والمرأة، وضوابط اجتماعية في

العلاقات المالية وربطها بالإيمان بالله واليوم والآخر، وبعض الأحكام حول الصلاة.^(٣)

٣- عرض لأنواع الطوائف التي يتكون منها المجتمع آنذاك وخصوصاً اليهود، والتأكيد عليهم وتصوير فسادهم وظلمهم وتحريف دينهم، وقد ندبنا الحق سبحانه للاعتبار بهم، وتوعد الله

لهم وموالاتهم للوثنيين.^(٤)

(١) خليفة، إبراهيم، التفسير التحليلي لسورة النساء، ط ١ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، ص ٢٠-٢٢

(٢) ينظر الآية (١) من سورة النساء

(٣) ينظر الآيات (٢-٤٣) من سورة النساء

(٤) ينظر الآيات (٤٤-٥٧) من سورة النساء

- ٤- التأكيد على الأمانة وأهميتها، والتأكيد على الرجوع الدائم لكتاب الله وسنة رسوله. (١)
- ٥- تصوير حال المنافقين وخطورته على الصف الإيماني، فهو لا يرضى بحكم ما أنزل الله ويكره القتال في سبيل الله والدفاع عن الحق، وقد تخلل وصفهم بضعف الإيمان (٢) ومن ثم وضحت الآيات قوانين للتعامل مع هؤلاء المنافقين بأنواعهم.
- ٦- ذكرت بعض الأحكام الخاصة بالقتال وتصوير حال الذين يختانون أنفسهم ومصيرهم. (٣)
- ٧- بينت خطورة الشرك وحكمه والتأكيد على أن الحساب بيده تعالى وحده واتباع ملة إبراهيم (٤)
- ٨- الحديث عن اليتامى والخلافات الزوجية، والتوجيه نحو العدل والإنصاف، والحديث عن الكفار والمنافقين والتعريف بهم وتحذير المؤمنين منهم. (٥)
- ٩- أهل الكتاب وموقفهم العدائي من الرسالة والرسول. (٦)
- ١٠- مواسة الحق سبحانه للنبي لما يلقاه من عدا، وخطاب الناس وندبهم للإيمان بما نزل من الحق. (٧)

١١- خطاب اليهود والنصارى بالعدول عن مواقفهم. (٨)

١٢- شرح ميراث الكلاله وإعادة خطاب الناس، وجزاء من يؤمن بما أنزل من الحق. (٩)

والرابط بين هذه الموضوعات جميعها هو رعاية شؤون الضعفاء، أو معالجة الضعف، سواء أكان هذا الضعف قهرياً أم ضعفاً فطرياً أم ضعفاً إيمانياً، فالسورة هي سورة الضعفاء بحق وعلى رأسهن

(١) ينظر الآيات (٥٨-٥٩) من سورة النساء

(٢) ينظر الآيات (٦٠-٨٧) من سورة النساء

(٣) ينظر الآيات (٩٢-١١٥) من سورة النساء

(٤) ينظر الآيات (١١٦-١٢٦) من سورة النساء

(٥) ينظر الآيات (١٢٧-١٥٢) من سورة النساء

(٦) ينظر الآيات (١٥٣-١٦٢) من سورة النساء

(٧) ينظر الآيات (١٦٣-١٧٠) من سورة النساء

(٨) ينظر الآيات (١٧١-١٧٤) من سورة النساء

(٩) ينظر الآيات (١٧٥-١٧٦) من سورة النساء

النساء، فهي إما جاءت للحديث عنهم، أو للدفاع عن حقوقهم، أو لتقوية ضعفهم، أو لحل المشكلة المترتبة عن هذا الضعف.

ولنتأمل معاً ومن خلال ما ذكر من موضوعات لهذه السورة كيف اشترك الضعف في جميع المذكورين في السورة:

- ضعف النفس الواحدة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١) اختيار هذه اللفظة يوحى بالضعف أولاً، فهي إن كانت مخلوقة فهي ليست خالقاً يستغنى عن غيره وثانياً خلقها منذ البداية واحدة يدل ذلك على مقدار حاجتها وضعفها.
- اليتامى: من فقد أبويه أو أمه وهو صغير فلا يخفى علينا ضعفه الذي فرض عليه.
- السفهاء: لا يخفى علينا ضعف السفهاء سواء أكان سفيهاً عقلياً أم لأنه صغير.
- الفقير: لا يخفى علينا أيضاً ضعف الفقير مادياً.
- المساكين: الفقراء الذي لا يجدون كفايتهم فأمر بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم.
- الذرية الضعاف.
- الورثة الفاقدين.
- الرجل الزاني أو المرأة الزانية: ضعف الإنسان أمام الغريزة الجنسية، وهذا إنما ينشأ عن ضعف الإيمان.
- التاجر الضعيف الذي يخشى على رزقه بسبب ضعف إيمانه فيأكل رزق غيره.
- التائب الذي كان ضعيفاً أمام شهواته فعصى الله بسبب ضعف إيمانه.
- المتمني: ضعيف الشخصية. ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ٣٢)

- السكران: ضعيف الإيمان الذي هرب من الواقع فذهب يشرب الخمر "حيث أن السكر حالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب وأصل السكر حبس الماء وذلك باعتبار ما يعرض من السد بين المرء وعقله". (١)
- المريض: الضعف القهري وقع على جسده بسبب مرضه.
- المسافر: ضعف قهري بسبب بعده عن وطنه أهله.
- المؤمن بالجبب والطاغوت: الذي لا يستطيع تحرير نفسه من العبودية لغير الله.
- المتنازعون والمتشاجرون الذين هم بحاجة لمن يفصل بينهم.
- المبطل الجبان القائل يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.
- المستضعفون من الرجال والنساء "الذين لا يستطيعون حيلة أي المقهورين من الرجال والنساء فليس مأواهم جهنم لأنهم لا يجدون سعة في الخروج عن أرض الشرك إلى أرض الإسلام ولا يعرفون طريقاً إلى المدينة فأولئك عسى الله أن يتجاوز عنهم وذلك للعجز الذي هم فيه". (٢)
- كيد الشيطان الضعيف.
- الذين يخشون الناس كخشية الله أو أشد، فأى ضعف لديهم.
- الضعفاء الذين حصرت صدورهم "والحصر هو التضييق والإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض وهو هنا المنع الباطن كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ (النساء: ٩٠)". (٣)

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة سكر

(٢) ينظر الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ١٤٧-١٤٨

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة حصر

- ما ملكت أيمانكم: وصية بالأرقاء لأن الرق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس "قالعبيد في ضعف الرق والحاجة وانقطاع سبيل الخلاص من سادتهم، فلذلك كانوا أحقاء في الوصاية". (١)
- قاتل الخطأ.
- أولو الضرر.
- الضارب في الأرض: هو الذي بعد في الأرض وهو بحاجة ماسة للصلة الدائمة بربه تعينه على ما هو فيه، وتكون أساساً لعودته وسلامته فيما هو مقدم عليه، وما هو موجود له في الطريق.
- المجاهد الخائف يريد صلاة الخوف.
- المستخفي من الناس.
- ابن السبيل "هو الغريب المجتاز بقوم غير ناوٍ الإقامة" (٢)
- المتاجون "حيث يقال ناجيته أي ساررته وأصله أن تخلو به في نجوى من الأرض وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه" (٣).
- المرأة خائفة من نشوز زوجها.
- المعلقة.
- المطلقة.
- المذبذب "من الذبذبة وهي حكاية صوت الحركة للشيء المعلق ثم استعير لكل اضطراب وحركة، قال تعالى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٥١

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٥١

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة نحو

سَيِّئًا ﴿النساء: ١٤٣﴾ أي مضطربين مائلين تارة إلى المؤمنين وتارة إلى الكافرين وهذه الكلمة

دلالة على الضعف أيضاً^(١).

• المظلوم.

• الكلاله من مات وليس له ولد ولا والد فجعله اسماً للميت، وكلا القولين صحيح؛ فإن

الكلالة مصدر يجمع الوارث والموروث، وتسميتها بذلك إما لأن النسب كلٌّ عن اللحق به

أو لأنه قد لحق به بالعرض من أحد طرفيه^(٢).

وانظر كيف ورد ذكر الضعف في السورة بمشتقاته ست مرات وهذا العدد ليس بالهين خصوصاً إذا

عرفنا أنه أكبر تعداد لتكرار هذه الكلمة في جميع سور القرآن.

فآيات كلها كانت توحى بضعف نفسي أو قهري فرضه عليهم المجتمع، أو ضعف جسدي، أو

ضعف إيماني وغير ذلك.

فهذه السورة بحق هي سورة الضعفاء المحتاجين والتي ألفت بظلالها وأوحت به كلمة (النساء) التي

جاءت عنواناً للسورة، ويكون بذلك قد نجح البقاعي في إثبات نظريته (أن عنوان السورة يترجم عن

مقصودها في هذه السورة) .

وبما أن النساء هن الوعاء الحاضن كما ذكرنا في البداية لجميع هذه الطوائف من الناس، فإن

تحقيق العدل مع النساء هو تحقيق للعدل مع فئات المجتمع كله، فهي التي تربي وتخرج جميع هذه

الأصناف.

وهذا يؤكد ما ذكر سابقاً عند الحديث عن محور السورة الذي هو تنظيم المجتمع المسلم ومراعاة فئة

المستضعفين ومعاملتها على أساس العدل.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة ذب

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة كلٌّ

المطلب الثالث: تناسب الموضوعات مع محور السورة

جاء سابقاً إن الموضوع الرئيسي في السورة والمحور الذي دارت حوله هو تنظيم المجتمع المسلم وأساس هذا التنظيم هو العدل بين أصناف المجتمع جميعها، سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم، وستقوم الباحثة بتقسيم السورة إلى مقاطع، وتظهر التناسب فيما بين هذه الموضوعات وبين المحور الرئيس للسورة، حيث إن السورة مرت على جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية و مادية وغيرها.

المقطع الأول: من الآية (١-١٠) وحدة النوع الإنساني ومقتضيات التقوى

افتتحت السورة بالنداء المباشر من الله إلى الناس جميعاً، وهذا يشعرك بأهمية السورة لجميع المجتمعات وجميع الأفراد، وأنهم جميعاً يحتاجون أحكامها، وأن البشر جميعاً متساوون في كونهم عباداً لله جل وعلا، وأعقب ذلك النداء الأمر بالتقوى، ثم تحدثت السورة عن مساواة ثانية هي المساواة في الأصل الإنساني الوحيد وهو آدم، ثم ذكرتنا بوحدة ثلاثة هي الوحدة في كيفية الخلق فكلنا مرتبط بالرحم، وما دام الخلق تساوا في الرب الخالق وفي الأب وفي المخرج، فإن هذا ينبغي أن يؤدي بنا إلى التراحم والتآلف وأداء الحقوق والأخذ بيد الضعيف، ويظهر في هذا المقطع التركيز على قيمة أداء الحقوق في العلاقات الإنسانية والرحمة باليتيم واليتيمة والنساء - نفوساً وأموالاً- وبالسفهاء والصغار حتى يكبروا ويرشدوا، وفي هذا تناسب كبير مع محور السورة الذي هو الحث على العدل والرحمة بالضعفاء كما ذكر سابقاً ضمن محاور السورة.

"فمن هذا الافتتاح القوي المؤثر، ومن هذه الحقائق الفطرية البسيطة ومن هذا الأصل الأساسي الكبير يأخذ في إقامة الأسس التي ينهض عليها نظام المجتمع وحياته، من التكافل في الأسرة والجماعة والرعاية لحقوق الضعاف فيها، والصيانة لحق المرأة وكرامتها، والمحافظة على أموال الجماعة في عمومها، وتوزيع الميراث على الورثة بنظام يكفل العدل للأفراد والصالح للمجتمع" (١) ومن هنا يشرع سبحانه في تفصيل مقتضيات التقوى؛ لإقامة أسس نظام المجتمع على أتم وجه. ففي هذا المقطع بما يحتويه من هذه الموضوعات تناسب كبير مع محور السورة، في تنظيم المجتمع وتأسيس القاعدة الأولى فيه على أساس التقوى والعدل والمساواة الإنسانية.

المقطع الثاني: من الآية (١١ - ١٤) التوزيع المالي للأسرة بحفظه والحقوق المتعلقة به.

تحدث هذا المقطع عن الموارث، وإيجاب حق المرأة بالميراث بعد أن كانت مهضومة الحقوق وعن ثواب الطائعين وعقوبة العاصين، وصلة هذا المقطع بما قبله أنه بعدما ذكر أموال النساء الضعيفات، ذكر أموال الرجال وطريقة حمايتها وتقسيمها بما يتضمن حماية المال ذاته وحماية المستحقين له.

فالفرائض التي بينها الله تعالى تنظم العلاقات الأسرية والاجتماعية والاقتصادية بتفتيت الثروات المتجمعة على رأس كل جيل وإعادة توزيعها من جديد، فلا يدع مجالاً لتتضخم الثروة وتكدسها في أيدي قليلة ثابتة، ويتم توزيعها على الأقرب فالأقرب. ونظام الميراث هذا علاج اقتصادي ومودة أسرية ورابطة اجتماعية (٢)، وبالتالي يُلاحظ تناسب هذا الموضوع أيضاً ضمن هذا المقطع من الآيات مع محور السورة في تنظيم المجتمع الإسلامي من الناحية المالية والاجتماعية.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢١٩-٣٢٣، بتصرف

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٩٧

المقطع الثالث: من الآية (١٥-٣٥) حفظ الأعراض وتكريم المرأة والقوامة المالية والتنظيمية للأسرة.

تحدث هذا المقطع عن عقوبة الزنا قبل النسخ وأنواع التوبة، وعن المحرمات من النساء، وعن شروط استحلال إحداهن، ورحمة الله بالناس وتحريم أكل المال بالباطل وقتل النفس وتمني ما عند الآخرين وعلاج المشكلات الزوجية.

إن مناسبة ورود الآيات التي تتحدث عن الزنا بعد تقسيم الميراث ذلك أن التوارث سببه النسب الصحيح إلى الميت بين من علاه من الآباء وجاوره من الأشقاء وتلاه من الأبناء. والزنا يقطع هذا النسب الصحيح، فيفضي إلى حرمان المولود من حقوق كانت ستثبت له لو كان نسبه صحيحاً وهذه نتيجة ضعفهم الإيماني الذي أدى بهم إلى فعل الحرام، وهذا له علاقة بمحور السورة التي تحدثت عن الضعفاء وتنظيم أمورهم ضمن المجتمع الإسلامي.

وعندما تحدث المقطع عن النساء وحقوقهن ومحارمهن، وزواج الحر بالأمة في الآيات (١٩-٢٥) وذكر حرمة أموال المسلمين وأنفسهم في الآيات (٢٩-٣٠) وثواب تجنب الكبر، ونهى عن الاعتماد على التمني وبيّن أحكامه في الأسرة. وقوامة الرجل وما ينبغي أن تكون عليه العلاقة الزوجية "الأحوال الشخصية"، وأثر الرضا والتراضي في حل المشكلات المجتمعية، كما في حل مشاكل التجارة بتراضي المتبايعين، والمشاكل العائلية بتراضي الحكيم والزوجين، "فقد تكرر في هذه الآيات أيضاً قاعدة التعامل العام في الأموال، بعد أن بيّن أحكام بعض المعاملات وهي معاملة اليتامى وإعطاء شيء من أموال اليتامى إلى أقاربهم إذا حضروا القسمة، ووجوب دفع مهر النساء والسبب واضح وهو أن المال قرين الروح، والاعتداء عليه يورث العداوة، بل قد يجر إلى الجرائم لذا أوجب تداوله بطريق التراضي لا بطريق الظلم والاعتداء".^(١)

(١) الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢ (١٤١٨هـ)، دار الفكر المعاصر - دمشق، ج٥، ص٣٠

وتخلل ذلك التذكير بنعمه ورحمته في الآيات (٢٦-٢٨)؛ وكان ذلك كله يتصل بمحور السورة (إقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه) فللرجل حق القوامة وللمرأة حق تكريمها، سواء أكان حصولها على حقوقها المادية أم على الحقوق المعنوية التي أوحته لنا الآية ﴿وَعَاشِرُهُنَّ بِأَلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩). ولابد من التنويه هنا على موضوع القوامة وذكره في سورة النساء بالذات "ذلك أن كلمة أقيموا وقياموا ومقاما ذكرت للصلاة والدين والاستعداد ليوم القيامة وللشهادة على النفس وعلى الآخرين والقيوم من أسماء الله الحسنى وتعني الحافظ لشؤون عباده وأرزاقهم وما يصلح لهم".^(١)

"فالقوامة مصطلح قرآني يشكل الوجه الآخر لخلافة لأرض وهو حفظ العدل في الكون، والوقوف في وجه الظلم، فالرجل قوام على المرأة عموماً بأن لا تظلم"^(٢) فيلحظ بذلك علاقة هذا الموضوع مع محور السورة وموضوعاتها.

وللمسلمين حق عصمة الدم والمال، وللرب حق التشريع والتبيين، وللإنسان الضعيف حق الرحمة به والرفق بضعفه، وهذا ما بينه رب العزة في آيات هذا المقطع.

"وقد تخلل المقطع آيات في علة الأحكام؛ لتطمئن النفوس وتعلم الفائدة من تلك الأحكام وتقبل عليها ببواعث ذاتية لأنها تحقق السعادة في الدنيا والآخرة"^(٣) كما في الآيات: (٢٨-٢٥).

المقطع الرابع: ويقسم إلى قسمين:

القسم الأول من الآية (٣٦-٤٣) العبودية لله وحده والتحرر عن الخضوع لسواه.^(٤)

والقسم الثاني من الآية (٤٥-٥٧) دور اليهود التخريبي في المجتمع الإسلامي.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة قوم

(٢) فينو، دعاء، دورة فقه العروس (رؤية إسلامية معاصرة)، مركز الريحان القرآني، البيادر، ٢٧/٤/٢٠٠٨

(٣) الزحيلي، التفسير المنير، ج ٥، ص ٢٦

(٤) ينظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن، ط ١ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، جامعة الشارقة، ج ٢، ص ١٠٩

هذا مقطع رئيس في السورة يبين علاقة العبد بخالقه، ويجمع بين جميع مقاطع السورة بإخلاص العبادة لله، وفيه بيان لعلاقة العبد بغيره؛ لأنها قائمة على الإحسان والتعاطف والرحمة، وفيها توعده لمن يشرك بالله بالعذاب الأليم.

وجاء الحديث عن اليهود في هذا المقطع؛ لتحذير المسلمين من أن يكونوا مثل اليهود لما وقع منهم من رفض لإقامة المجتمع القائم على توحيد الله، والذي يقوم على العدل والأمانة، ولكن أكبر صفة من صفات اليهود هي الغدر والخيانة.

ومما ينبغي ملاحظته هنا هو بداية المقطع الذي بدأ "بحرف عطف يربط بين هذا الأمر-التوحيد- وهذا النهي، وبين الأوامر السابقة الخاصة بتنظيم الأسرة، فيدل هذا الربط على الوحدة الكلية الشاملة المتكاملة في هذا الدين، فليس هو مجرد عقيدة جامدة تستكن في الضمير كفكرة ثقافية ولا مجرد شعائر تقام وعبادات، ولا مجرد تنظيم دينوي منقطع الصلة بالعقيدة بالشعائر التعبدية، إنما هو منهج يشمل هذا النشاط كله، ويربط بين جوانبه ويشدها جميعاً إلى الأصل الأصيل، وهو توحيد الله، والتلقي منه وحده في هذا النشاط كله دون سواه، توحيدها إلهاً معبوداً وتوحيده مصدرراً للتوجيه والتشريع لكل النشاط الإنساني، أيضاً لا ينفك هذا التوحيد عن ذاك في دين الله الصحيح على الإطلاق".^(١) وذكر سيد قطب في مناسبة افتتاح المقطع بهذه الآية لتناسبها مع المقطع قبلها والذي يتحدث عن الأسرة وتنظيمها وحمايتها جاءت هذه الآية وما بعدها تتناول علاقات إنسانية في المجتمع المسلم أوسع مدى من علاقات الأسرة ومتصلة بها كذلك. متصلة بها بالحديث عن الوالدين ومتصلة بها في توسعها بعد علاقة الوالدين لتشمل علاقات أخرى... ولأن في هذه الآية وما بعدها توجيهات على رعاية الأسرة القريبة والبعيدة فقد جاءت هذه الآية لتشكّل القاعدة الأساسية

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٦٥

التي تتبثق منها كل القيم والموازين وهي قاعدة التوحيد ويجب ربطها بكل حركة وكل انفعال في ضمير المسلم وفي حياته. (١)

ولا تخفى مناسبة ورود كلمة البخل بعد نهاية الآية (٣٦) والتي تأمر بعبادة الله ورعاية الحقوق إذ إن تضييع الحقوق إنما تأتي نتيجة الكبر والبخل، وهذا له علاقة أيضاً بمحور السورة الذي يدور حول العدل وإعطاء كل ذي حق حقه، فنجد المتكبر يقطع رحمه؛ لأنه مثقف مثلاً وأقاربه أميون أو يسيء لجيرانه لأنه من عائلة غنية وهم فقراء، أما البخيل فتجده يعق والديه ولا يزور أخواته الفقيرات خوفاً من إنفاق بعض الدراهم عليهن.

وكانت مناسبة ذكر الصلاة في الآية (٤٢) أن هؤلاء لم يحدث لهم ذلك، إلا لما قطعوا في الدنيا الصلة والحديث بينهم وبين الله في الدنيا، فالصلاة حديث العبد لربه ومن تأدب في هذا الحديث في الدنيا، طاب له الحديث مع ربه يوم الحساب.

أما مناسبة ذكر أهل الكتاب (اليهود) بعد ذكر التيمم، ذلك أن التيمم واحد من الأحكام التي تبين يسر الشريعة وسماحتها في مقابل الشدة التي كانت في شريعة اليهود بسبب تشددهم على أنفسهم كما أن التيمم والوضوء هو طهارة لأجسادنا والطهارة من مميزات ديننا العظيم، وهي ليست أمراً ثانوياً فيه بل الطهور شرط الإيمان ويقابل الطهارة النجاسة التي أعظمها الكفر والشرك ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨) واليهود هم أكثر من كفروا وأشركوا حتى باعوا بالغضب فكانوا مغضوباً عليهم وباعوا باللعة من الله.

واختتم المقطع ببيان العدل في تصنيف الناس يوم القيامة، فالذين كفروا ليس لهم ثواب عند الله فلهم جهنم، والذين آمنوا وعملوا صالحاً فتوابهم الجنة والظلال برحمة الله.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ٦٥٨، "بتصرف"

المقطع الخامس: ويقسم إلى قسمين:

القسم الأول: من الآية (٥٨-٧٠): الأساس الذي يقوم عليه الحكم في الإسلام وهو العدل والأمانة.

القسم الثاني: من الآية (٧١-٩٤): قتال أعداء الإسلام لتحرير المستضعفين ودور المنافقين في الجهاد.

بعد أن بيّن الله ثواب الذين آمنوا وعملوا صالحاً، بين بعضاً من تلك الأعمال الصالحة التي قاموا بها طاعة لأمر الله، حين أدوا الأمانات وحكموا بالعدل وأطاعوا الله ورسوله وأولي الأمر.

وعلى هذا فقد ذكر المقطع الأساس الذي يقوم عليه الحكم وهو العدل والأمانة وبذلك الحفاظ على حقوق المجتمع المسلم بتحكيم الشرع وبالجهاد ففيهما تتحقق حماية حقوق المجتمع المسلم، وقد أشار هذا المقطع إلى المنافقين؛ لأنهم يزعمون الإيمان ويرفضون التحاكم إلى الله ورسوله ولذلك يرفضون العدل والأمانة .

وقد بدأ التصعيد في هذا المقطع وظهرت أهمية القتال لحماية المستضعفين وتحريرهم، والذي جاء يتناسب مع محور السورة بحماية حقوق الضعفاء، فالجهاد في سبيل الله لا يكون دفاعاً عن الدين والنفوس فقط، بل يكون دفاعاً عن المستضعفين في البلاد الأخرى.

وقد جاءت بداية هذا المقطع بآية محورية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨) فبعد أن بين الله أحوال أهل الكتاب وصفاتهم وجرائمهم جاءت هذه الآية وما بعدها درساً مستفاداً مما ذكر، كما لو أنك قصصت قصة الراعي الكاذب ثم قلت: لا تكذب. فقوله "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ" في مقابل ما علمناه عنهم ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦) وقوله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) في مقابل ما فعلوه هم ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ٥٠)

وبعد أن بين لنا الدروس المستفادة من أفعال أهل الكتاب قص علينا أفعال المنافقين بدءاً من الآية (٦٠) وكانت الدروس المستفادة من أفعالهم مبنوثة بين المقاطع.

وتستطيع أيضاً أن تربط المقطع الحاضر بما سبقه من خلال العدوين فقد " ذكر المقطع السابق وعرف الجماعة المسلمة بطبيعة الأعداء في داخل المجتمع المسلم من اليهود، جاء هنا مبيناً طبيعة نوع آخر من الأعداء بالداخل وهم المنافقون، ومبيناً أن حقيقة الإيمان تكون في طاعة الله ورسوله ظاهراً وباطناً". (١)

وبعد أن بين الله أحوال المنافقين وأحوال الأعداء في الحرب، وأمر بقتال كل من لم يكف يده اختتم المقطع بذكر أحكام قتل المسلم خطأ، وجزاء القاتل عمداً؛ لأن الجهاد والقتال في سبيل الله لا ينبغي أن يكون طائشاً جائراً ظالماً، فالعدل يقتضي أن نقتل المذنب فقط، ولو كان المذنب بين بريئين لم يجر لنا قتل الأبرياء للقضاء عليه، بل ننتظر حتى نتمكن منه، ومتى وقع هذا الظلم خطأ لم يعف الله عن المخطئ بل أوجب عليه دية، ليسود العدل الجميع.

المقطع السادس: من الآية (٩٥-١٠٤): الحث على الجهاد وفضل المجاهدين "وعلاقة الهجرة بالتححر والقتال" (٢)

بدأ المقطع بالعدل في تصنيف الناس مجدداً ، فالعدل يقتضي عدم تساوي القاعد والمجاهد في الأجر، ثم تحدث هذا المقطع عن الهجرة إلى دار الإسلام حتى لا يكون لأحد من الطغاة المتجبرين سلطة عليه، وتناسبه مع المقطع السابق واضح؛ فقد بين أن المستضعف لا ينبغي أن ينتظر نصرته من المجاهدين فقط بل عليه الفرار بدينه إلى أي مكان ما كان قادراً، لا ينبغي لمسلم أن يقعد في الظلم والكفر وهو قادر أن يهاجر إلى بلاد العدل.

(١) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي، ج٢، ص١٤٢

(٢) ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، ج٢، ص١٩٦

"ولما ذكر الله تفضيل المجاهدين في سبيل الله على القاعدين من غير عذر، ذكر هنا حال قوم لم يهاجروا في سبيل الله، لاستضعاف الكفار لهم، مع أنهم ليسوا ضعفاء في الحق والواقع فلا عذر لهم في ترك واجب الهجرة من مكة إلى المدينة حينما كان واجباً في صدر الإسلام؛ بسبب شدة أذى الكفار للمسلمين وإجلالهم إلى الهجرة إلى الحبشة ثم الهجرة إلى المدينة مع النبي، فهاجر بعض المسلمين وقعد بعضهم في مكة حباً لوطنه، وكان بعضهم مستضعفاً عجز عن الهجرة لمرض أو كبر أو جهل بالطريق وبعضهم هاجر ومات في الطريق".^(١)

وذكر الصلاة ضمن هذا المقطع لا يخفى تناسبه مع هذا المشهد الذي يصور حالة الجهاد وحالة الخوف، مما يدل على أهمية الصلاة والتواصل الدائم مع الله والتي تعينه على ما هو واقع فيه على أرض المعركة فمهما كانت حالتك فلا تقطع الصلة مع ربك؛ لأنها هي الأساس. وفي هذا تناسب موضوع المقطع مع محور من محاور السورة والذي هو توحيد الله الذي دعت إليه آل عمران ومن بعدها النساء كما يقول البقاعي في مقصد هذه السورة.

وذكر صلاة الخوف، يناسب الرحمة بالمستضعفين بدلالتهم إلى ما يقوي ضعفهم فدلهم الله على الصلاة والذكر، ولذلك أنهى الله المقطع بقوله (ولا تهنوا) أي وقد عرفتم سر القوة. وعلاقة المقطع بما سبقه أنه إن هاجر المسلم لأجل تحرير نفسه من سلطة الظلم والكفر، ثم جاهد لأجل تحرير غيره من المسلمين وغير المسلمين من سلطة الكفر، واستمد قوته من ربه على ذلك فإن إقامة العدل هي نتيجة حتمية في المجتمع الصغير والكبير.

المقطع السابع: من الآية (١٠٥-١٣٥): الأمر بالقسط و حفظ السلطة القضائية

تحدث هذا المقطع عن الأمر بالعدل والقسط، وذكر زلات اللسان وخطر الشرك وبين جزاء العمل الصالح، وتحدث عن حفظ نفس الإنسان من الشيطان، وعن حقوق الزوجة والتفريق بين الإيمان

(١) الزحيلي، التفسير المنير، ج ٥، ص ٢٢٨

والنفاق، وتوحيد الله والعودة إلى الأمر بالقسط كما بدأ به. حيث بدأ المقطع ببيان الدستور العادل الذي يجب أن يتحاكم له الناس، وما دام الكتاب هو الحاكم بين الناس، فيجب على القاضي أن يبتعد عن المجادلة والمخاصمة والخيانة، بل يحكم بالكتاب فيما ظهر له من حال الناس، وأما بواطنهم الخادعة التي أخفت الحقائق أو قلبتها أو رمت غيرها بالتهم حتى كادت تضل القضاة أو أضلتهم، فإنها ستعرض في محكمة العدل الأخروية، حيث لا يخفى عن الله شيء، ولن ينفعم كل ما تتاجوا به وأسروه هناك فلا ينفع إلا قول الخير وفعل الخير.

وبين أحوال الناس في تلك المحكمة، فبين الحكم على المشاqq والمشرk، وبين تداعيات جريمة الشرك والرأس المدبر لها، والحيل التي قام بها ونتيجة المحكمة.

كما بين الحكم على المؤمن، وعلى المتمني ووضح قاعدة الحكم النهائية (من يعمل سوءا يجز به، ومن يعمل من الصالحات .. يدخلون الجنة) ومن لا يحاسب لأنه لم يجرم فقد أسلم وأحسن، وأن القضاء سيطبق على الجميع بالعدل؛ لأن القاضي يحكم في أملاكه التي أحاط بأخبارها.

والآيات (١١٤-١١٥) "موضوعها متصل بما قبلها وهو أمر الذين يختانون أنفسهم ويستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهم طعمة بن أبيرق ومساعدوه الذين تأمروا في السر لإيقاع البريء بالسرقة، فبين الله تعالى أن مخالفة الرسول واتباع غير سبيل جماعة المؤمنين جرم عظيم يستوجب دخول النار، والآيات وإن نزلت في سارق الدرع أو غيره فهي عامة في كل من خالف طريق المسلمين". (١)

وقد ذكر البقاعي في تناسب الآية (١٢٦) بما قبلها وما بعدها كلاماً مفاده ما يأتي:

(١) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط١ (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية - القاهرة، ج ٥، ص ٨٣٥

ولما كان سبحانه وتعالى قد رتب هذا الكتاب على أنه يذكر أحكاماً من الأصول والفروع، ثم يفصلها بوعد ووعيد وترغيب وترهيب، وينظمها بدلائل كبريائه وجلاله وعظيم بره وكماله، ثم يعود إلى بيان الأحكام على أبداع نظام لأن إلقاء المراد في ذلك القالب أقرب إلى القبول، والنظم كذلك أجدر بالتأثير في القلوب، لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا تتقاد له النفوس إلا إذا كان مقروناً ببشارة ونذارة، بين بعض النزاعات الحاصلة على الأرض والحكم فيها، وخص الأمثلة بالنساء والولدان واليتامى؛ لأن أعظم مقاصد هذه السورة العدل مع الضعفاء، فقد ذكر نزاعات المرأة مع زوجها وبين الحال صلحاً كان أو تفريقاً. ووصى المؤمنين بالتقوى وأن يطلبوا ثواب الآخرة، وأن يقيموا العدل في صراعاتهم الداخلية، حين يتعارض الحق مع المحبة والهوى، فالله خبير بكل أفعالنا. (١)

المقطع السابع: من الآية (١٣٦-١٧٦) أحوال الناس وجزاؤهم

بدأ المقطع بالدعوة للإيمان الشامل العادل الذي لا يظلم فيه الرب فيشرك معه غيره، ولا يظلم فيه رسول فتتكر رسالته، ولا تظلم في النفس فتعمل لآخرتها التي آمنت بها ومن لم يؤمن هكذا فهو ضال بلا شك لأنه ولا بد ظالم، كافراً كان أم منافقاً، فقد بين الله مظالمهم التي وقعوا بها، وأنهم كانوا يستطيعون الخروج من كل ذلك الظلم الذي جرى عليهم العذاب والإثم بالشكر بالإيمان الصحيح.

ثم بين الله للمسلم أن يعدل حتى مع ظالمه، فلا يجهر بالظلم إلا عند من يأخذ له مظلمته وأمرنا بالإحسان في السر والعلن، وأن نعفو حتى يحكم قاضي السماء. فالله عدل لا يرضى الظلم الذي منه التفريق بين الأنبياء.

(١) البقاعي، نظم الدرر، ج ٥، ص ٦٩٩، "بتصرف"

وانتقل الحديث عن اليهود لأنهم أول من فرق بين الأنبياء، وبين جرائمهم الكثيرة في حق الله، وفي حق رسله، وحلم الله عليهم مراراً ثم استحقاقهم لأشد عذاب. ولأن الله لا يظلم أحداً فقد استثنى القلة القليلة التي آمنت منهم .

وعاد للتأكيد على مبدأ العدل بين الأنبياء، لأن الوحي الذي نزل على محمد هو نفسه الذي نزل على الأنبياء السابقين من حيث العقيدة والمبدأ الذي يهدي إلى طريق الحق، ويقضي بالعدل فمصدره واحد ورسالته واحدة، فإن القرآن هو البرهان وهو الدليل، وهو النور المبين ومن تبع هذا النور فسيدخل في رحمة الله ويهديه إلى الصراط الحق، إلى الصراط المستقيم، إلى طريق النور وطريق العدل وطريق الرحمة وطريق الحرية التي يتحرر فيها الإنسان من كل شيء لغير الله وهكذا يتضح تناسب موضوعات هذا المقطع مع محاور السورة.

وبقي التنبيه على تناسب المقطع الأول في السورة بالمقطع الأخير فيها، فقد جاء كثير من العلماء يدرسون هذه الظاهرة القرآنية ويسمونها تناسب المطلع بالختام لكونهما أول وآخر ما يقرع السمع فهما الأعمق أثراً في النفس. ومن هؤلاء العلماء السيوطي حيث أفرد كتاباً سماه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) وهو بحث في العلاقات بين مطالع السور وخواتيمها، ويذكر في تناسب آية الكلاله الواردة في آخر السورة مع بداية السورة: "افتتحت بذكر بدء الخلق والولادة وختمت بأحكام الوفاة وفتحت بآيات المواريث والكلالة وختمت بمثل ذلك" (١) . ويذكر الرازي " اعلم أنه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال، وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلاً للأول ووسط السورة مشتملاً على المناظرة مع الفرق المخالفين للدين" (٢) ومناسبة ذكر الكلاله في ختام

(١) السيوطي، عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١)، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، ط (١٤٢٦)، مكتبة دار

المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ص ٤٨

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٧٥

السورة، أن الكلاله هو الميت الذي ليس له ابن أو حفيد، وليس له أب أو جد أحياء، فهو منقطع النسب ولهذا قطعه الله وحده، وذكره في آخر السورة مناسبة لحاله.

وقد بدأ أول مقطع في السورة بذكر حال الناس الذين خلقوا من نفس واحدة لعبادة وتقوى رب واحد، وهنا في هذا المقطع الأخير يذكر أحوال الناس وخروجهم عن منهج الحق سبحانه وخروجهم عن توحيده والذي يؤدي بدوره إلى الغلو وعبادة غير الله.

والآية الأولى تتاسب الآية الخاتمة من أوجه الكلاله نفس واحدة انقطعت عن نسبت إليه وانقطع عنها من ينسب إليها، كما أن النفس الإنسانية بوصفها كيان فردي وكيان اجتماعي فلا يقوى المنهج إلا بإيجاد حاجز منيع من الداخل ومن الخارج فكان هناك تناغماً بين الآيات لا يمكن فصله.

كما أن الآية الأولى اختتمت بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

وهذه الآية اختتمت بقوله ﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٧٦).

فكأنه قال هو لا يراقبكم مراقبة المتفرج فقط، بل هو يبين لكم ما يهديكم ويصلح دنياكم وأخراكم والله بكل شيء عليم.

وإذا أردت أن تبين وجه الصلة بين الافتتاح والختام فلتأمل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النساء: ١).

وقوله تعالى: ﴿ سَتَقُونَكُمْ فِي الْكَلْبَةِ إِنَّ أَمْرًا لَكُنَّ لَهُ، وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ

لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ

تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٧٦).

ويبين الجدول الآتي الأوجه المشار إليها في الآيتين أعلاه:

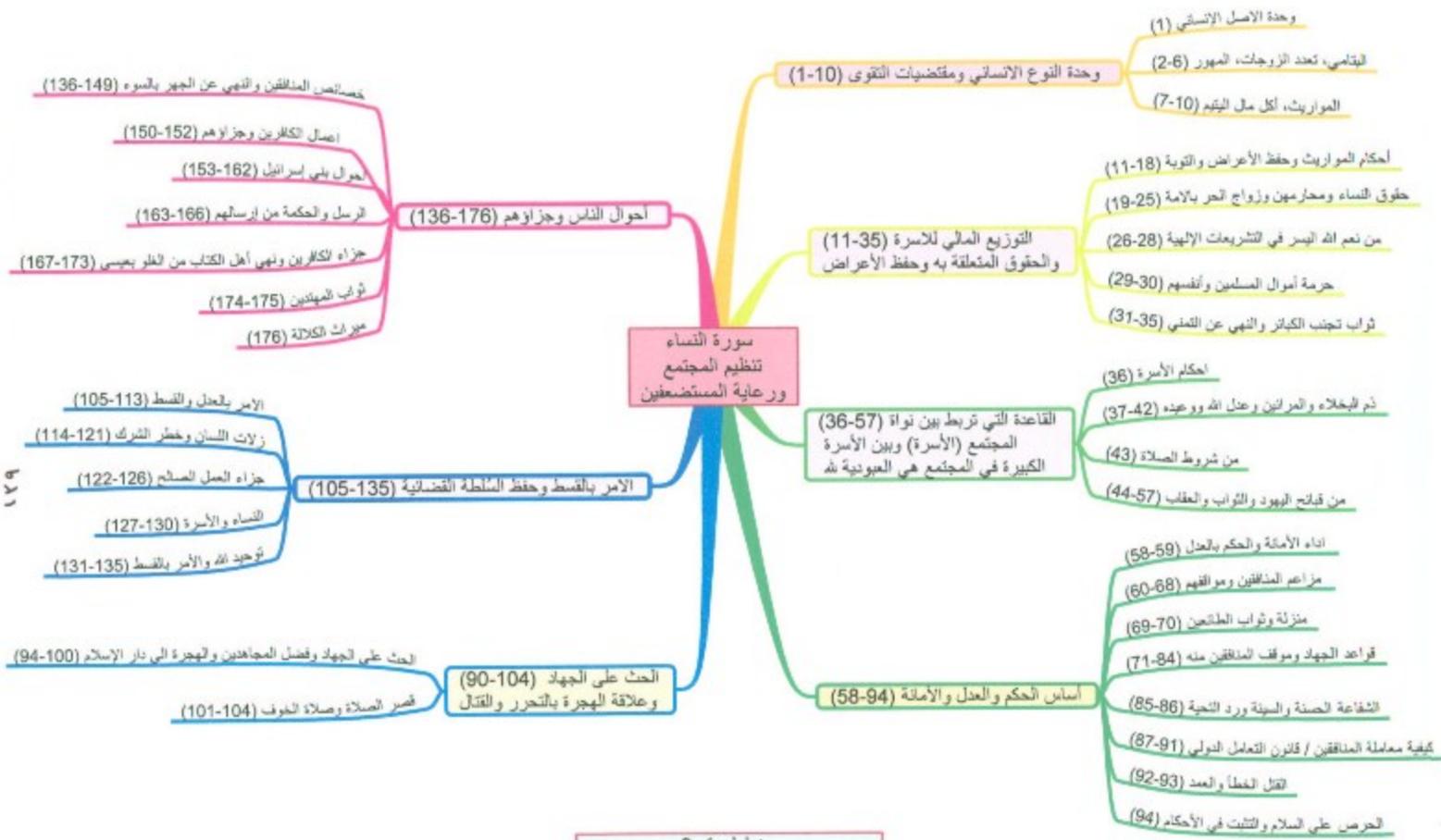
جدول رقم (٢): التناسب بين الافتتاح والختام في سورة النساء

الافتتاح	الختام	الرابط
يا أيها الناس	يستفتونك	(أي الناس)
اتقوا ربكم	الله يفتيكم	فالرب يبين للناس ما يتقون وجمع بين الألوهية والربوبية
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	الكلالة	كأن الكلالة نفس واحدة فأصوله وفروعه غير موجودة والنفس الأولى كانت كذلك.
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ	وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَنْثَىٰ فَلَهَا النُّصْبَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ	والأخوات من الأرحام ولا يعطيهن حقهن إلا من اتقى الله واتقى الأرحام
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا	يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	فالإيمان بالرقابة مدعاة التقوى ، والإيمان بعلم الله مدعاة لقبول هديه والنجاة من الضلال

وبذلك تكون قد بينت الباحثة الوحدة الموضوعية في السورة وتناسب موضوعاتها مع المحور الرئيس فيها بالرغم من تشابك الموضوعات فيما بينها مما يدل على الوحدة الموضوعية داخل هذه السورة، فإنها نموذج رائع لحسن الارتباط في آياتها والتناسق في موضوعاتها على الرغم من طول آياتها. "فإن السورة الواحدة وحدة كاملة لها هدف واحد وتستنتج أغراضاً مختلفة غالباً. وجاء كل موضوع ذكر في السورة مناسب كل المناسبة للسورة، بل لا بد منه وإذا كرر الموضوع الواحد فهو في كل سورة يناسبها شكلاً وموضوعاً". (١)

إن لكل سورة هدف عام ومقاصد كثيرة تدور كلها حول محور واحد، وهذا المحور تتفرع عنه معانٍ عديدة لتؤكدته وتحققه.

(١) ينظر حجازي ، الوحدة الموضوعية، ص ٥٦ وما بعدها



مخطط رقم 9
موضوعات سورة النساء

المبحث الثاني: التناسب بين الآيات وروابطها

ليس المقصود في هذا المبحث استقصاء جميع المناسبات في جميع الآيات في السورة، إنما تعداد أوجه التناسب فيها، مع التمثيل عليها بأبرز الأمثلة ليقاس عليها.

فعند الحديث عن تناسب آيات سورة ما، فهو عبارة عن نتيجة تدبر قام بها دارس ما، ولكن هذه النتيجة تختلف باختلاف الطريقة التي اتبعها هذا الدارس، ولكن المؤكد أن هناك أموراً مشتركة بين كل هذه الطرق.

" فالأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنتظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنتظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنتظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا الأمر الكلي المهيم على حكم الرابط بين جميع أجزاء القرآن وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة." (١)

هذا ما ذكره شيخ البقاعي محمد البجائي، وهذه الطريقة هي التي سار عليها البقاعي في تفسيره وهذا ما حاولت الباحثة تطبيقه في المبحث الأول الذي أظهر مقاصد السورة وتربطها مع المحور الذي أساسه العدل والتواصل وإنشاء المجتمع الإسلامي بناء على ذلك.

ويعرض هذا المبحث نماذج من آيات سورة النساء، لبيان التناسب الذي يجمع الآيات بحسب الروابط التي ذكرها العلماء، فمن الآيات ما يكون الارتباط فيها ظاهراً، ومنها ما يحتاج إلى تدبر ونظر حتى يعرف وجه النظم فيها.

(١) البقاعي، نظم الدرر، ج ١، ص ١١

وتنقسم الآيات القرآنية من حيث ارتباطها إلى قسمين: (١)

القسم الأول: آيات مكملة لما قبلها لتعلق الكلام بعضه ببعض الآخر وعدم تمامه بالآية الأولى. وهذا النوع جمعت الباحثة له تسع حالات: (المتابعة، التعليق، النتيجة أو التتميم، التأكيد، التفسير، التعليل، التمثيل، الجواب على سؤال، المقابلة).

القسم الثاني: آيات مستقلة عن الآيات السابقة لها، ولا يظهر تناسبها إلا بعد جهد. وهذا الاستقلال يكون في الموضوع فقط، فلا ينتفي معه وجود المناسبة والترابط، فالقرآن له ميزة فريدة في جمع المواضيع المختلفة، إذ إنه يتميز ببراعة الاستهلال وحسن التخلص بحيث لا تشعر ببعد الموضوعين عن بعضهما، فنهاية الموضوع الأول هي استهلال بارع للموضوع الثاني. وهذا النوع جمعت الباحثة له حالات منها (المعطوف المشكل، التلخيص العام، الرجوع، الاعتراض، ... أنواع أخرى).

وجميع الآيات (المستقلة والمكملة) تنقسم قسمين: "معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف أو غير معطوفة" (٢)

وسيتم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: يتحدث عن تناسب الآيات المكملة لبعضها.

المطلب الثاني: يتحدث عن تناسب الآيات المستقلة عن بعضها.

المطلب الأول: تناسب الآيات المكملة لبعضها:

سأذكر بعض الأمثلة من الآيات على هذا النوع والروابط التي تربط بينها:

أولاً: المتابعة وهي نوعان:

(١) استعنت في هذا التقسيم بالبرهان في علوم القرآن للزركشي والإتقان للسيوطي مع بعض الإضافات والتعديلات

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٣٣ والسيوطي، الإتقان، ج٢، ص٩٧٧.

١- الآيات التي موضوعها واحد، وهدفها واحد، والخطاب بها واحد. وذلك كثير كقوله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ إِخْوَاهُ فَلَهُمْ أَثْلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَبِيهِ الشُّدُسُ مِمَّا بَعْدَ وَصِيَّتِي يُوصِي بِهَا أَوْ دِيْنٌ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا فَارِضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ بَنُونَ وَإِن كَانَتْ لَكُمُ الْوَالِدَاتُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نِصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نِصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

التي قبلها فهي تتابع الحديث عن الأحكام التفصيلية للميراث.

٢- المتابعة بالتسلسل، فالموضوع يجر آخر مكملاً له، كما في الآية رقم (٧): ﴿لِلرِّجَالِ نِصِيبٌ

مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نِصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نِصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ (النساء: ٧) حيث بينت الآية أحكام المواريث بعد بيان أحكام أموال اليتامى المنقلة إليهم بالإرث. وكذلك قوله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ (النساء: ٢٢) فبعد أن بيّن كيفية معاشرّة الأزواج، شرع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وهذا التناسب كله ظاهر (١).

ثانياً: التعليق: وذلك أن ينتهي الموضوع فيختمه الله بتعليق مناسب له، ولا بد منه. وذلك

كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ (النساء: ١٣) جاءت هذه الآيات بعد آيات مطولة من آيات المواريث وتوزيعها بين الأفراد، ووصفتها بأن هذه المواريث هي تلك الحدود الجليلة النفع، العظيمة الجدوى، المذكورة من أول هذه السورة هي حدود الملك

(١) ينظر الألويسي، روح المعاني، ج ٢، ص ٤٥٤

الأعظم "حدود الله" فمن راعى تلك الحدود فهو في طاعة الله ومن يعصيه فهو خالد في النار. (١)

فهذا تناسب ظاهر واضح لا يحتاج إلى عميق تفكر وتدبر. وكثير من الآيات في القرآن جاءت من هذا النوع والنوع السابق له.

ثالثاً: النتيجة: حيث تكون الآية الثانية نتيجة لما سبقها، سواء أكانت جزءاً ناتجاً عن عمل، أم وصفاً ناتجاً عن فعل وغيره، كما في:

١- تناسب الآية: ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء: ٣٧) سبقتها الآية: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ

الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا

فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦) فجاءت هذه الآية تتم صفة هؤلاء المختالين الفخورين بصفة

البخل لأن الكبر والغرور سيؤدي حتماً إلى البخل.

وفي هذا يقول البقاعي: "لما كان الاختيال والفخر على الفرح بالأغراض الفانية

والركون إليها والاعتماد عليها، فكانا حاملين على البخل خوفاً من زوالها، قال واصفاً

لهم بجملة من الأخلاق الرديئة الجليلة ذلك منشؤها (الذين يبخلون) بل حتى يصرفهم

هذا البخل على الشح في الكلام بجحد النعمة وإنكار فضل الله (ويكتمون ما آتاهم

الله)" (٢)

(١) البقاعي، نظم الدرر، ج ٥، ص ٣٣٤ "بتصرف"

(٢) البقاعي، نظم الدرر، ج ٥، ص ٢٧٨.

رابعاً: التأكيد: أن ترتبط الآية الثانية بالأولى على سبيل تأكيد معناها، وتأيد محتواها، كأن تأتي الآية لتصف الرب بوصف، ثم تحشد الدلائل التي تؤكد.

من الأمثلة عليه:

- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧) حيث جاءت هذه الآية مناسبة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِنَحِيَّتِهِ فَحَيُّوهُ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٨٦) يقول أبو حيان: "مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وهي أنه تعالى لما ذكر أن الله كان على كل شيء حسيباً، تلاه بالإعلام بوحديته تعالى والحشر والبعث من القبور للحساب". (١)

إذن فالآية جاءت تؤكد الوعيد والمبالغة به بأن التوحيد والعدل متلازمان وكأنه يقول: "من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا سلامه وأكرموه وعاملوه بناء على الظاهر، فإنما البواطن إنما يعلمها الله الذي لا إله إلا هو وإنما تتكشف بواطن الخلق للخلق يوم القيامة". (٢)

خامساً: التفسير: وقد ذكره الزركشي من أنواع الروابط في القرآن وهو أن تكون الآية الثانية موضحة ومفسرة وكاشفة لما أبهم وأخفي في الآية الأولى وله فائدة منها: "تفخيم وتعظيم ما أبهم وأخفي وقد يكون لتمكين المعنى في النفس". (٣)

وأكثر التفسير يكون لبيان ما أجمل ومن هذا القبيل:

- المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلْيَنُكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا تَدْبُرُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنًا

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ٦

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٠، ص ١٦٧

(٣) السيوطي، الإتقان، ج ٢، ص ٩٧٨

- المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ سُنُنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦١) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٢٦ - ٢٧) جاءت هذه الآيات تعليلاً لما جاء قبلها من الأحكام التي شرعت للإنسان؛ لكي لا يضل كما ضل من قبله وفيه أن هذه الشريعة هي إحدى الشرائع وأيسرها.

- المثال الثاني: قوله تعالى ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا وَرَثَ اللَّهُ مِنْ شَفَعَةٍ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴾ (النساء: ٨٥) استئناف فيه معنى التذليل والتعليل لقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آَلَاكُمْ عَلَيْهِمْ فَتَبَيَّنُوا وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ٩٤) "وهو بشارة للرسول بأن جهاد المجاهدين بدعوته يناله منه نصيب عظيم من الأجر. فإن تحريضه إياهم وساطة بهم من في خيرات عظيمة فجاءت هذه الآية بهذا الحكم العام على عادة القرآن في انتهاز فرص الإرشاد يُعلم من عمومها أن التحريض على القتال في سبيل الله من الشفاعة الحسنة، وأن سعي المثبتين للناس من قبيل الشفاعة السيئة". (١)

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥، ص١٤٣

- المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى

بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢٠ - ٢١)

حيث جاءت الآية (٢١) معطلة لما قبلها، وتستتكر أن يأخذ الزوج مال زوجته بعد أن يطلقها.

سابعاً: التمثيل: وهو أن تذكر الآية أمراً ثم تمثل له بفرد أو حادثة أو آية وذلك كقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ طَائِعِينَ إِحْسَابًا وَمِنْهُمْ مَّنْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ أَشَدَّ خَشْيَةً وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَالَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧) فقد جاءت بعد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَاقْتُلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦)

فكانوا مثلاً على أولياء الشيطان الضعفاء .

ثامناً: الإجابة على سؤال ظاهر: فتكون الآية طرحت سؤالاً أو إشكالاً ثم أجابت عنه في الآية

التي تليها وذلك كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٣) فهذه الآية تلت قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتُم مَّصِيبَةً يٰمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (النساء: ٦٢) فهذه

الآية طرحت سؤالاً ، وهو كيف تفعل مع هؤلاء الكاذبين، وكان الجواب في الآية التي تليها

فأمرته بالإعراض عنهم .

تاسعاً: **المقابلة**: تكون الآية الأولى ذكرت حالة معينة، ثم تذكر الآية الأخرى الحالة التي

تقابل هذه الحالة كالإيمان والكفر والجنة والنار والسعادة والشقاء وغير ذلك. ومن الأمثلة عليه:

- المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا

وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (النساء: ١٤) فهي تقابل قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴾ (النساء: ١٣)

- المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٢) التي جاءت مقابلة

لقوله تعالى: ﴿ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أُمْمِيْنَهُمْ وَلَا أَمْرَنَهُمْ فَلْيَبْتَكُنْ ءَاذَانَ الْوَعْلَمِ وَلَا تُصِرْ لَهُمْ فُلْيَعْرِتْ

خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ (النساء: ١١٩)

- المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٤) فهي تقابل ما سبقها من قوله: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ

وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَ بِهِ وَلَا يَحِدْ لَهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (النساء:

١٢٣) "وأكثر ما يأتي هذا النوع معطوفاً على ما سبقه، ويسمى المزج اللفظي فلا بد أن تكون

بينهما - أي المعطوف والمعطوف عليه - جهة جامعة وقد تكون العلاقة بينهما المقابلة وهذا

كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب ، والرغبة بعد الرهبة وعادة القرآن إذا ذكر أحكاماً ذكر

بعدها وعداً ووعداً؛ ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه
ليعلم عظم الأمر والناهي ^(١).

ومثل هذه الآيات كثيرة في القرآن الكريم، ويسهل معرفة التناسب فيما بينها، ولا حاجة لبذل
جهد كبير لإيجاد المناسبة والترابط في الروابط التسع السابقة.

المطلب الثاني: تناسب الآيات المستقلة عن الآيات السابقة لها.

وتأتي هذه الروابط على أنواع منها:

أولاً: **المعطوفة المشكّلة**: فهي آية مبدوءة بحرف عطف ولكنك لا تجد المعطوف عليه في الآيات
أو الآية السابقة ويستشكل عطفها على ما قبلها ومن الأمثلة على هذا النوع:

- المثال الأول قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَّةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ
فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى تَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥) في وجه
تناسبها مع ما قبلها عدة أمور:

١. يقول ابن عاشور في نظم هذه الآية لما قبلها: "موقع هذه الآية في هذه السورة معضل،

وافتحها بواو العطف أعضل؛ لاقتضائه اتصالها بكلام قبلها. فهذه الآية نزلت في سورة

النساء عقب أحكام المواريث، وحراسة أموال اليتامى، وجعلنا الواو عاطفة هذا الحكم على

ما تقدم من الآيات في أول السورة بما يتعلق بمعاشرة النساء كقوله: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَتِهِنَّ

نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (النساء: ٤) وجزمنا بأن هذه السورة نزلت قبل

أول سورة النور، وأن هذه العقوبة كانت مبدأ شرع العقوبة على الزنا فتكون هاته الآية

(١) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٤٠

منسوخة بآية سورة النور لا محالة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ هُنَّ سَبِيلًا﴾

(النساء: ١٥) (١)

٢. وحكى ابن الفرس: "الواو عاطفة حكم تشريع عقب تشريع لمناسبة: هي الرجوع إلى أحكام

النساء فإن الله لما ذكر أحكاماً من النكاح إلى قوله: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) وما

النكاح إلا اجتماع الرجل والمرأة على معاشرة عمادها التأنس والسكون إلى الأنثى، ناسب

أن يعطف إلى ذكر أحكام اجتماع الرجل بالمرأة على غير الوجه المذكور فيه شرعاً وهو

الزنا المعبر عنه بالفاحشة" (٢)

٣. لما ذكر في الآيات المتقدمة الأمر بالإحسان إلى النساء ومعاشرتهن بالمعروف وما يتصل

بهذا الباب، ضم إلى ذلك التعليل عليهن فيما يأتيه من الفاحشة، فإن ذلك في الحقيقة

إحسان إليهن ونظر لهن في أمر آخرتهن. (٣)

٤. أن لا يجعل أمر الله الرجال بالإحسان إليهن سبباً لترك إقامة الحدود عليهن، فيصير ذلك

سبباً لوقوعهن في أنواع المفسد والمهالك. (٤)

٥. في هذه الآية بيان أن الله تعالى كما يستوفي لخلقه فكذلك يستوفي عليهم، فإنه ليس في

أحكامه محاباة ولا بينه وبين أحد قرابة، وأن مدار هذا الشرع الإنصاف والاحترار في كل

باب عن طرفي الإفراط والتفريط فقال: ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحْشَةُ﴾ (النساء: ١٥).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٦٩

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٦٩

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٢٦٩

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٥٢٧

٦. لما ذكر حدوده وأشار بتلك إلى جميع ما وقع من أول السورة إلى موضع الإشارة فكان في مبدأ السورة التحصن بالتزويج وإباحة ما أباح من نكاح أربع لمن أباح ذلك ، استطرد بعد ذلك إلى حكم من خالف ما أمر الله به من النكاح من الزواني. (١)

٧. ويذكر سيد قطب في وجه تناسب هذه الآية لما قبلها: بعد أن مضى الشوط الأول من السورة يعالج تنظيم حياة المجتمع بإقامة الضمانات لليتامى وأنفسهم في محيط الأسرة ويعالج نظام التوارث في المحيط العائلي، بدأ الشوط الثاني يمضي في تنظيم حياة المجتمع المسلم، واستنقاذه من رواسب الجاهلية بتطهير هذا المجتمع من الفاحشة وعزل العناصر الملوثة التي تفارقها من الرجال والنساء، مع فتح باب التوبة حتى يبقى هذا المجتمع الإسلامي مجتمعاً نظيفاً عفيفاً. (٢)

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦) جاءت بعد آية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقُوا لِحَدِّهِمْ فَلَمَّا كَسَتْ حَفِظَتْ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ نَسُوتُوهُمْ فَعَطَّوهُمْ وَتَاهُجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنِ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٣٤ - ٣٥) في وجه تناسب هاتين الآيتين يقول العلماء:

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٤٥٥

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٥٩٨ "بتصرف"

١. "اعلم أنه لما أرشد تعالى كل واحد من الزوجين على المعاملة الحسنة مع الآخر، وإلى

إزالة الخصومة والخشونة، أرشد في هذه الآية إلى سائر الأخلاق الحسنة وذكر منها

عشرة أنواع" (١).

٢. أنه تعالى لما ذكر أن الرجال قوامون على النساء بتفضيل الله إياهم عليهن وبإنفاق

أموالهم، ودل بمفهوم اللقب أنه لا يكون قواماً على غيرهن، أوضح أنه مع كونه قواماً

على النساء هو أيضاً مأمور بالإحسان إلى الوالدين، وإلى من عطفه على الوالدين،

فجاءت حثاً على الإحسان واستطراداً لمكارم الأخلاق. (٢)

٣. "ولما كثرت في هذه السورة الوصايا من أولها إلى هنا بنتيجة التقوى: العدل والفضل،

والترغيب في نواله والترهيب من نكاله، إلى أن ختم ذلك بإرشاد الزوجين إلى المعاملة

بالحسنى، وختم الآية بما هو في الذروة من حسن الختام من صفتي العلم والخبر، وكان

ذلك في معنى ما ختم به الآية الآخرة بالتقوى من الوصف بالرقيب، اقتضى ذلك تكرير

التذكير بالتقوى التي افتتحت السورة بالأمر بها، فكان التقدير حتماً: فائقوه؛ عطف عليه،

أو على نحو قوله تعالى: (اسألوا الله من فضله) أو على قوله تعالى: (اتقوا ربكم)

الخلق المقصود من الخلق المبتوثين على تلك الصفة، وهو العبادة الخالصة التي هي

الإحسان في معاملة الخالق وأتبعها الإحسان في معاملة الخلائق فقال: (واعبدوا الله) أي

أطيعوه. (٣)

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٠، ص ٧٥

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٦٣١

(٣) البيهقي، نظم الدرر، ج ٥، ص ٢٧٥

ويقول صاحب المنار تعليقاً على قول البقاعي: "وأقول: إنه أبعد في العطف وأحسن في الترتيب والوصف. فكل ما تقدم من الأحكام كان خاصاً بنظام القرابة والمصاهرة، وحال البيوت التي تتكون منها الأمة، ثم إنه تعالى بعد بيان تلك الأحكام الخصوصية أراد أن ينبهنا على بعض الحقوق العمومية، وهي العناية بكل من يستحق العناية وحسن المعاملة من الناس فبدأ ذلك بالأمر بعبادته تعالى، وعبادته ملاك حفظ الأحكام والعمل بها .." (١)

٤. أما ابن عاشور فيقول إنه عطف تشريع يختص بالمعاملة مع ذوي القربى والضعفاء، وقدم توحيد الله تجديداً لمعناه في النفوس. والمناسبة هي ما أريد جمعه في هذه السورة من أحكام أوامر القرابة في النسب والدين والمخالطة. (٢)

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠٠﴾ (النساء: ١٠٠ - ١٠١) عندما ينظر القارئ في هاتين الآيتين، لا بد وأن يتساءل عن مناسبة ذكر صلاة

الخوف مع موضوع الهجرة وقد بين المفسرون ذلك بعدة أقوال منها:

١. يقول البقاعي: "لما أوجب السفر للجهاد والهجرة، وكان مطلق السفر مظنة المشقة فكيف بسفرهما مع ما ينضم إلى المشقة فيهما من خوف الأعداء؛ ذكر تخفيف الصلاة بالقصر بقوله سبحانه (وإذا ضربتم). (٣)"

(١) محمد رشيد رضا، المنار، ج ٥، ص ٦٧

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٤٨، بتصريف

(٣) البقاعي، نظم الدرر، ج ٥، ص ٣٧٧

٢. ويذكر محمد رشيد رضا: "السياق في أحكام الجهاد في سبيل الله، وجاء فيه حكم الهجرة والصلاة فرض لازم في كل حال، لا يسقط في وقت القتال ولا في أثناء الهجرة ولا غير الهجرة من أيام السفر، ولكن قد تتعذر أو تتعسر في السفر وحال الحرب إقامتها فرادى وجماعة كما أمر الله أن تقام في صورتها ومعناها، فناسب في هذا المقام أن يبين الله تعالى ما يريد أن يرخص لعباده من القصر في الصلاة في هاتين الحالتين".^(١)

٣. وذكر ابن عاشور في مناسبة هذه الآية لما قبلها: "أنها انتقال إلى تشريع آخر بمناسبة ذكر السفر للخروج من سلطة الكفر، على عادة القرآن في تفنين أغراضه والتماس مناسباتها والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها".^(٢)

وترجح الباحثة قول الإمام محمد رشيد رضا في مناسبة هذه الآية لما قبلها لمناسبتها للسياق. وانظروا كيف تكثر الآراء في تحديد المناسبة لمثل هذا النوع (المعطوف المُشكِل)، وذلك يظهر لك إعجازاً منقطع النظير، فأنت تجد للآيات "المكملة" التي ظاهر صلتها واضح تناسباً واحداً، بينما تجد للآية التي أشكل عليك مناسبتها عدداً من الأسباب التي قد تبلغ خمسة عشرة سبباً في بعض المواطن لتدلك على أن الآية في موقعها الذي لا يمكن لغيرها أن يحل محله أبداً، فسبحان منزل الكتاب العظيم.

ثانياً: التلخيص العام: وهو أن تأتي عدة موضوعات مختلفة، ثم تأتي لك آية بعدها تلخص لك المراد من جميع ما ذكر، وكأنها تدلك على مناسبة ذكر كل المواضيع السابقة.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا

(١) محمد رشيد رضا، المنار، ج٥، ص٢٧٩

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥، ص١٨٢

أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ نَعُرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿النساء: ١٣٤﴾
 - (١٣٥) تناسبت الآية (١٣٥) مع ما قبلها فقد تقدم في السورة أمر الناس بالقسط، كما قال عز وجل
 في الآية رقم (٣): ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ﴾ وأمرهم بالإشهاد عند دفع أموال اليتامى إليهم
 وأمرهم بعد ذلك ببذل النفس والمال في سبيل الله، وأجرى قصة طعمة بن أبيرق واجتماع قومه على
 الذب عنه بالكذب والشهادة على اليهودي بالباطل. ثم إنه تعالى أمر في هذه الآيات بالمصالحة مع
 الزوجة، ومعلوم أن ذلك أمر من الله لعباده بأن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل أحد
 وعلى أنفسهم فكانت هذه الآية كالمؤكد لكل ما جرى ذكره في هذه السورة من أنواع التكاليف^(١) أو
 الملخص .

ثالثاً: الرجوع: وهو أن تذكر عبارة ما في موضوع أو اسم من أسماء الله تعالى، ثم يتابع الموضوع
 بآيات متعلقة به ثم تأتي آية ترجع وتفصل تلك العبارة أو الاسم أو الكلمة وما شابه. وذلك كقوله
 تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ^ط
 وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ (النساء: ١١) جاءت هذه الآية
 لتفصل ما أجمل في قوله تعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
 وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧) ولم تأت هذه الآية (١١) بعدها مباشرة إنما
 جاء بينهما فاصل.

رابعاً: الاعتراض (الجملة المعترضة): "هو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى
 بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين لئلا يفتقد".^(٢)

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٤١

(٢) الزركشي، البرهان، ج ٣، ص ٥٦

"والجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب، وهذا كله مقرر في علم النحو، ولكن أرباب البيان وعلماء البلاغة يتناولون هذه الموضوع من زاوية أخرى، من الزاوية التي تعينهم فيبحثون عن الأغراض البلاغية التي تأتي من أجلها الجملة المعترضة".^(١)

وهذه الأغراض والنكت كثيرة ومنها: التقرير والتعظيم والتنزيه وزيادة التأكيد^(٢) ومن الأمثلة على الجمل الاعتراضية:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿إِن يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١) في هذه الآية اعتراض ناسب ذكره بعد ذكر ذنبين كبيرين وهما أكل المال بالباطل وقتل النفس: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝١٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ (النساء: ٢٩ - ٣٠) وذلك عادة القرآن في التفنن من أسلوب إلى أسلوب وفي انتهاز الفرص في إلقاء التشريع عقب المواضع.^(٣)

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۝١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿ (النساء ٦٢ - ٦٣) في اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان؛ الأول: أن قوله: (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) كلام وقع في البين وما قبل هذه الآية متصل بما بعدها هكذا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُْمْتَفِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ

(١) عباس، فضل، البلاغة فنونها وأفنانها، ص ٥٠٠

(٢) ينظر الزركشي، البرهان ج ٣، ص ٥٧ و فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص ٥٠١

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٢٦

صُدُودًا ﴿النساء: ٦١﴾ ثم جاءوك يظفون بالله كذباً على أنهم ما أرادوا بذلك الصد إلا الإحسان والتوفيق وعلى هذا التقدير يكون النظم متصلاً، وتلك الآية وقعت في البين كالكلام الأجنبي وهذا يسمى اعتراضاً ، وهذا الكلام الأجنبي شرطه أن يكون له من بعض الوجوه تعلق بذلك المقصود لأن أول الآية وآخرها في شرح قبائح المنافقين وفضائحهم وأنواع كيدهم ومكرهم؛ فإن الآية أخبرت بأنه تعالى حكى عنهم في أول الآية أنهم يتحاكمون إلى الطاغوت مع أنهم أمروا بالكفر به ويصدون عن الرسول مع أنهم أمروا بطاعته، فذكر بعد هذا ما يدل على شدة الأحوال عليهم بسبب هذه الأعمال السيئة في الدنيا والآخرة فقال: (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) أي فكيف حال تلك الشدة وحال تلك المصيبة. فهذا تقرير القول وهو قول الحسن البصري واختيار الواحدي من المتأخرين. (١)

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ٦٤) هذه الآية جاءت معترضة في خلال الخبر عن قصة المنافق الذي تحاكم إلى الطاغوت وهذا فساد في المنهج فجاء يرغب في طاعة الرسول مرة أخرى؛ لأن طاعته من طاعة الله وطاعة الله والتحاكم إليه هو المنهج القويم. (٢)

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (١٣) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٠، ص ١٢٢، والواحدي، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط ١

(٢) تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ج ١، ص ٢٧١، ج ١، ص ٢٧١ وتفسير البغوي، ج ١، ص ٦٥٦

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٠٩

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنَّ يَسْأَلُ يُدْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾
(النساء: ١٣١ - ١٣٣)

جملة (الله ما في السموات) معترضة بين الجمل التي قبلها. المتضمنة التحريض على التقوى والإحسان والإصلاح بالأعمال من قوله: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨) وقوله: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٢٩)

"فهذه الجملة تضمنت تذييلات لتلك الجمل السابقة، وهي مع ذلك تمهيد لما سيذكر بعدها من قوله تعالى في الآية رقم (١٣١): ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ لأنها دليل وجوب التقوى. والمناسبة بين هذه الجملة والتي سبقتها وهي جملة: ﴿يُغْنِي اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ (النساء: ١٣٠) إن الذي له ما في السموات وما في الأرض قادر أن يغني كل أحد من سعته، وهذا تمجيد لله وتذكير بأنه رب العالمين وكناية عن عظيم سلطانه واستحقاقه للتقوى." (١)

أما الرازي فقد ذكر أن هذه الآية جاءت تفسيراً لما قبلها قائلاً: "فإنه لما ذكر أنه يغني كلاً من سعته وأنه واسع؛ أشار إلى ما هو كالتفسير لكونه واسعاً. فقال والله ما في السموات وما في الأرض يعني أنه من كان كذلك، فإنه لا بد أن يكون واسع القدرة والعلم والجود والفضل والرحمة، وأنه تعالى لما أمر بالعدل والإحسان إلى اليتامى والمساكين، بين أنه ما أمر بهذه الأشياء لاحتياجه إلى أعمال العباد، بل إنما أمر بها رعاية لما هو الأحسن لهم في دنياهم وأخراهم" (٢) وفي هذا الوجه الذي فسره الرازي يُلاحظ كيف فسّر وجه النظم بحسب سياق الآيات ومقصد السورة وهذا دليل على اهتمام الرازي بعلم المناسبة. وترى الباحثة في هذين الرأيين وجه الصواب.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٢١٩

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٣٨

خامساً : أنواع أخرى ومنها أن تكون الآية مستقلة غير معطوفة على ما قبلها، ولا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط وهذا مزج معنوي تنزل الآية الثانية من الآية الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب". (١)

وأما أسبابه - على سبيل الذكر لا الحصر - المضادة والاستطراد والتخلص: (٢)

أ - أما المضادة: " فهي جامع وهمي وحكمته التشويق والثبوت على أفضل المتضادين، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء" (٣).

ويُمثل عليها بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٧٦) وسبقها الآية: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ٧٥) يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بين وجوب الجهاد، بين أنه لا عبرة بصورة الجهاد بل العبرة بالقصد والداعي؛ فالمؤمنون يقاتلون لغرض نصره دين الله وإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل الطاغوت؛ لأنه تعالى لما ذكر هذه القسمة وهي أن القتال ما أن يكون في سبيل الله أو في سبيل الطاغوت وجب أن يكون ما سوى الله طاغوتاً، ثم إنه تعالى أمر المقاتلين في سبيل الله بأن يقاتلوا أولياء الشيطان وبين أن كيد الشيطان كان ضعيفاً لأن الله ينصر أولياءه" (٤).

(١) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٤٦

(٢) الزركشي، البرهان، ج ١ (ص ٤٣، ٤٩) و ج ٣، ص ٣٠٠

(٣) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٤٩

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٠، ص ١٤٢

ب- الاستطراد: من أنواع الروابط للآيات غير المعطوفة على ما قبلها أيضاً وهو "أن يأخذ

المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر جعل الأول سبباً له". (١)

وَيُمَثِّلُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩) جاءت قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتْ

التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ

يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٨) اعلم أنه تعالى بعد وصف

التوبة عاد إلى أحكام النساء، واعلم أن أهل الجاهلية كانوا يؤذون النساء بأنواع كثيرة من

الإيذاء، ويظلمونهن بضروب من الظلم؛ فنهاهم الله تعالى عنها في هذه الآيات. (٢)

وفي هذه الآية سبب نزول في أن الرجل كان إذا مات له قريب من أخ أو أب حميم عن

امرأة ألقى ثوبه عليها، وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل لا يحل لكم أن تراثوا. (٣)

وجاء في التحرير مناسبة هذه الآية لما قبلها: "استئناف تشريع في أحكام النساء التي كان

سياق السورة لبيانها، وهي التي لم تزل أيها مبينة لأحكامها تأسيساً واستطراداً وبدءاً وعوداً.

وهذا حكم تابع لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من جعل زوج الميت مورثة عنه. وافتتح

بقوله "يا أيها الذين آمنوا" للتتويه بما خوطبوا به" (٤). إذن فقد جاء الكلام أول السورة في

النساء والبيوت، ثم يأتي ذكر التوبة استطراداً فيكون وجه الاتصال ظاهراً. ولا تحسبن أن في

(١) القاسم، محمد يوسف، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ط١ (١٩٧٩م) طبعت على نفقة الأزهر، ص ٣١٩

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٠، ص ١١

(٣) ينظر الحديث في: الصحيح المسند من أسباب النزول، أبي عبد الرحمن مقل بن هادي الوادعي، ط٤، ١٤٠٨ (هـ- ١٩٨٧ م)

مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص ٦٦

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٨٢

هذا الانتقال انتقال مفاجئ، بل هو انتقال من جانب من جوانب هذا الدين إلى بيان جانب آخر من ذات الدين فالدين بعقيدته وشعيرته وشريعته وتوجيهاته كله سواء وهو تعليم من الله لعباده بحقيقة وشمولية هذا الدين.^(١)

ج- التخلص: هو من روابط التناسب أيضاً وحقيقته "أن يأخذ المتكلم في معنى من المعاني وبينما هو فيه إذ أخذ في معنى غيره، وجعل الأول سبباً إليه فيكون بعضه آخذ برقاب بعض من غير أن يقطع المتكلم كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً".^(٢)

وقيل: "هو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود، على وجه سهل يختلسه اختلاصاً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام".^(٣)

"ومن شرطه أن يكون انتقاله من فن إلى فن بديع، وحسن رصافة ووجازة لفظ، ورشاقة معنى ليكون الذي انتقل إليه أقرب إلى القلب، وأعلق بالنفس من المعنى الذي انتقل عنه".^(٤)

والفرق بين التخلص والاستطراد، أنك في التخلص تترك الموضوع الذي أنت فيه وتبدأ بموضوع جديد تماماً. أما الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطرقت إليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه، كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضاً.^(٥)

ومن الأمثلة عليه قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ

وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَعَةِ

(١) قطب، محمد، دراسات قرآنية، (١٤٠٠-١٩٨٠)، دار الشروق، ص ٤٣٦ "بتصرف"
(٢) ابن النقيب، محمد بن الحسن، الفوائد المشوق في علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، ص ١٤٠
(٣) السيوطي، الإتيقان، ج ٣، ص ٣٧٣ بتصرف
(٤) ابن النقيب، الفوائد المشوق، ص ١٤٠-١٤١
(٥) السيوطي، الإتيقان، ج ٢، ص ٩٨١

وَأَمَّهتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّيْبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ
تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن
تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ (النساء: ٢٣) وتناسبها
لما قبلها ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً
وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٢٢) في هذه الآية" تخلص إلى ذكر المحرمات بمناسبة ذكر
تحريم نكاح ما نكح الآباء. وغير أسلوب النهي فيه لأن (لا تفعل) نهى عن المضارع الدال
على زمن الحال فيؤذن بالتلبس بالمنهي، أو إمكان التلبس به، بخلاف حرمت فيدل على أن
تحريمه أمر مقرر ولذلك قال ابن عباس (كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم الإسلام إلا
امرأة الأب والجمع بين الأختين) فمن أجل هذا أيضاً نجد حكم الجمع بين الأختين عبر فيه
بلفظ الفعل المضارع فقول "وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ".^(١)

وبهذه الأمثلة تكون قد بينت الباحثة أهم الروابط للبحث في تناسب الآيات وتربطها، وتكون
قد بينت للقارئ كيفية استخراج الروابط بين الآيات التي قد يستشكل عليه فهمها واستخراج
المناسبة فيما بينها. وفيما يأتي مخطط موجز لما جاء فيها.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٩٣

تقسيم الآيات من حيث ارتباطها

آيات مسكلة

- المضادة
- تخلص
- استطراد
- رجوع
- اعتراض
- تلخيص
- معطوف مُشكّل

آيات مكّمة

- الجواب على سؤال
- المقابلة
- التمثيل
- التعليل
- التفسير
- التأكيد
- النتيجة
- التعليق
- المتابعة

١٦٧

المبحث الثالث: التناسب بين مقاطع الآية الواحدة

نتيه العقول في وصف منهج القرآن في نظم آياته، ووصف جملة وكلماته، وإن من بديع نظمه ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه خارج عن المعهود من نظام جميع الكلام، ومختلف عن المؤلف في ترتيب الخطاب.^(١)

ويبرز في ترتيب هذه الألفاظ والأجزاء من الآية الواحدة، وتناسق الجمل والمقاطع بعضها مع بعض في أقصى صور التلاؤم والاتحام. فالتناسب بين أجزاء الآية الواحدة يأخذ أشكالاً عديدة منها^(٢):

أولاً: تناسب الموضوع في الآية ويقسم إلى قسمين:

أ- التناسب في تكامل الموضوع الواحد.

ب- التناسب في الموضوعات المتعددة.

ثانياً: تناسب الفاصلة القرآنية في الآية ويقسم إلى قسمين:

أ- التناسب موضوع الآية مع فاصلتها المنتهية باسم من أسماء الله الحسنى.

ب- تناسب موضوع الآية مع الفاصلة في آخرها.

(١) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب ت(٥٣٠٤هـ)، إعجاز القرآن، ص٥٩، "بتصرف"

(٢) أشار على الباحثة بهذا التقسيم المشرف على الرسالة د. سليمان النقور

المطلب الأول: تناسب الموضوع في الآية الواحدة:

أ - التناسب في تكامل الموضوع الواحد

الآية الأولى في سورة النساء تعد مثلاً على تكامل الموضوع حيث يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُؤًا

رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النساء: ١).

حيث يلحظ فيها كثرة مقاطعها، وهذا ما امتازت به سورة النساء في غالب آياتها وبذلك فإن هذه

الآية وحدها تحوي أكثر من موضوع، ومع ذلك جاءت كلها متناسقة متكاملة فيما بينها. فهي تقرر

عدة مبادئ في آية واحدة وهذه المبادئ هي:

أولاً: إقرار مبدأ الربوبية والألوهية.

ثانياً: وحدة النشأة.

ثالثاً: وحدة الأسرة.

رابعاً: وحدة المجتمع.

خامساً: وحدة البشرية.

وفي هذا يقول سيد قطب: "هذه الآية ترد الناس إلى رب واحد وخالق واحد، كما تردهم إلى أصل

واحد وأسرة واحدة، وتجعل وحدة الإنسانية هي (النفس)، ووحدة المجتمع هي الأسرة وتستجيش في

النفس تقوى الرب ورعاية الرحم؛ لتقيم على هذا الأصل العظيم كل تكاليف التكافل والتراحم في

الأسرة الواحدة ثم في الإنسانية الواحدة، وترد إليه سائر التنظيمات والتشريعات التي تتضمنها

السورة". (١)

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٧٣

فهي تقرر مبدأ الربوبية والألوهية عندما تأمر بالتقوى بصيغتين: (اتقوا ربكم الذي خلقكم) و (اتقوا الله الذي تساءلون به) فقد ناسب كل لفظ مقامه وسياقه، فالتعبير الأول بلفظ الرب يشير إلى عناية الله بعباده، وتسخير كل شيء للإنسان.

والتعبير الثاني جاء بلفظ (الله) إشارة إلى قوة الله وعظمته وسلطانه، وذلك ليربي المهابة في النفس لما سيأتي من تشريعات بعد هذه الآية.

وقد يظن ظان أن في هذين المقطعين تكراراً ولكنه ليس كذلك. "قالأمر الأول بالتقوى معقب بالتنكير بنعمة الإخراج من العدم إلى الوجود، والأمر الثاني معقب بالتنكير بنعم متتابعة ودائمة في مدة الحياة، وهي نعمة قضاء الناس حوائجهم بعضهم بسبب سؤاله إياهم بالله، ففيه تعظيم الله عز وجل وهو بهذه المنزلة جدير بأن يُتقى". (١)

وفي ذلك أحسن التكامل في الموضوعات فهو هنا وبهذين المقطعين يقرر مبدأ الربوبية والألوهية فالمقام الأول مقام إنعام بالخلق والإيجاد والمقام الثاني مقام عبودية . (٢)

وهذا القول الذي ربط فيه النفس ووحدة النوع مع وحدة الاعتقاد ومبدأ الربوبية والألوهية وبراعة استهلال هذه الآية مع موضوعات السورة الآتية فيما بعد هذه الآية، لتؤدي إلى تكامل آخر بين موضوعات هذه الآية وهي وحدة النشأة.

وفي هذا يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى أمرنا بالتقوى، وذكر عقبيه أنه تعالى خلقنا من نفس واحدة وهذا مشعر بأن الأمر بالتقوى معلل بأنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، ولا بد من بيان المناسبة بين هذا الحكم وبين ذلك الوصف، فنقول لقولنا إنه تعالى خلقنا من نفس واحدة مشتمل على قيدين

(١) ابن عرفة ، محمد بن محمد الورغمي (ت ٨٠٣)، تفسير ابن عرفة ، ط ١ (٢٠٠٨)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان ، ج ٢ ، ص ٣

(٢) ينظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج ٤ ، ص ٢١٤

أحدهما أنه تعالى خلقنا، والثاني على كيفية ذلك التخليق، وهو أنه تعالى إنما خلقنا من نفس واحدة ولكل واحد من هذين القيدتين أثر في وجوب التقوى". (١)

كما أن النداء الذي بدأت به السورة فيه دعوة الناس جميعاً إلى مشاعر الأخوة والترابط والتآخي (٢) فإن قوله تعالى (اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) يدلنا على وحدة النوع الإنساني، وقد ذكرت أغلب التفاسير وأجمع المفسرون على أن النفس الواحدة هي سيدنا آدم. ولكن جاء من يقول من المفسرين إن النفس الواحدة لا يقصد بها آدم. مدلاً بالآية نفسها من المقطع الثاني (وخلق منها زوجها) حيث إن الضمير الذي يشير إلى النفس الواحدة لا يقصدها باعتبارها كائناً بشرياً هو آدم وإنما يشير إليها باعتبارها مادة مهياة لخلق البشر، ومن هذه المادة كان خلق آدم ومنها أيضاً خلق زوجها التي يكتمل بها وجوده. (٣)

وليس هنا محل نقاش خلق سيدنا آدم وحواء، وما قاله أهل التفسير عن كيفية خلق حواء من ضلع آدم. فقد توسع بعض المفسرين في هذا الموضوع لدرجة أضعوا فيها حلاوة هذه الآية وأخرجوها عن سياقها، وهو الأساس الذي تقوم عليه الحياة وهو نظام الزوجية. فالزوج هو كل ماله مقابل من جنسه، وكل شيء بالكون قائم على نظام الزوجية ويشير ذلك:

١- إلى الشعور بالضعف والنقص وأن لا شيء يقوم بذاته فكل الأشياء تحتاج إلى بعضها

والإنسان لا يستطيع العيش وحده .

٢- لا شيء من المخلوقات يقوم بذاته إلا الله عز وجل الواحد الفرد الصمد.

٣- استغناؤه عز وجل وعدم حاجته إلى المخلوقات.

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب، ج ٩ ، ص٤٧٦ وقد ذكر الرازي وجه اتصال ربكم بقوله خلقكم من نفس واحدة وفصلها أتم التفصيل

(٢) كما ذكر سابقاً عن قيمة النداء في سورة النساء في الفصل الثاني، ص٢٢

(٣) ينظر : الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن، ج٢، ص ٦٨٢

وبذلك يكون قد تكامل موضوع هذا المقطع من الآية مع وحدة الاعتقاد (انقوا الله واتقوا ربكم) ووحدة هذا النوع ليشير لنا إلى المحبة ما بين الزوجين، وما بين الأفراد لينتقل بالحديث عن وحدة الأسرة التي يجب أن تبنى على الحب. " فقد تضمنت هذه الآية وأبانت بنحو رائع وحدة الأصل والمنشأ الإنساني بكون الناس جميعاً من نفس واحدة ووضعت رقيباً على العلاقة الاجتماعية العامة، بالأمر بتقوى الله في النفس والغير وفي السر والعلن". (١)

أما في قوله تعالى: (وخلق منها زوجها) "جاء المبدأ الثالث هنا للحديث عن وحدة الأسرة لأن إيراد الزوجية يمهد لما بعده من التناسل". (٢)

(وخلق منها زوجها) هو "استئناف مسوق لتقرير وحدة مبدأ وبيان كيفية خلقهم منه، وتفصيل ما أجمل أولاً، وصفة لنفس مفيدة لذلك، وإما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر وإعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الأول، كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١) لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت فإن الأول بطريق التفرع من الأصل، والثاني بطرق الإنشاء من المادة". (٣)

وفي التذكير بالأصل الإنساني الواحد دلالة على وجوب التزام الحدود الإنسانية، وأن الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره، والأخوة تقتضي المسالمة والتعاون ونبذ الخصومة والتقاطع. (٤)

ثم يأتي الحديث عن مبدأ وحدة المجتمع في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء ١) ليتكامل موضوع هذا المقطع مع ما قبله وما بعده والذي أشارت إليه كلمة الزوجية التي مهدت إلى التناسل والبث والنشر.

(١) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ١٣٩

(٢) أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج ٢، ص ١٣٨

(٣) أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج ٢، ص ١٣٨

(٤) الزحيلي، المنير، ج ٤، ص ٢٢٣

حيث جاء هذا المقطع يكمل معنى ما سبق من وحدة النوع والنشأة والأسرة إلى وحدة المجتمع ووحدة البشرية، والتي تمثلت في التماسك والنشر والتفريق الذي أشارت إليه كلمة "بث" وأصل البث: التفريق وإثارة الشيء كبث الريح التراب^(١) والتي تعطي معنى الكثرة والتوالد والتزايد؛ ففيها معنى (الخلق والنشر). حيث يقول ابن كثير في معنى بث منهما: "أي وذراً منهما أي من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساءً، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وألوانهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والحشر".^(٢)

ومن ثم تأتي قمة التكامل في الموضوع عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء ١) من أجل الحفاظ على الوحدة الإنسانية بين جميع البشر عندما يأمر الله تعالى ويوصي عباده أن يتعاونوا ويتضامنوا ويتراحموا، فهم متجاورون في العيش، شركاء في الانتفاع بثمرات وخيرات هذا العالم كله.

ويكون التعاون بالقيام بالواجبات واحترام حقوق الآخرين، وهذا المعنى هو المعبر عنه في الاصطلاح القرآني بالتقوى وهي امتثال الأوامر و اجتناب المنهيات في كل ماله صلة بالله وحده لا شريك له، أو بالنفس البشرية، أو بحقوق العباد الآخرين. ويؤكد الله تعالى الأمر بتقوى الله لتحسين هذه العلاقات الإنسانية سواء أكانت كافرة أم مؤمنة، فكلهم بشر وأصلهم واحد ويجب الإحسان إليهم حتى لو لم يكونوا من دائرة الأقارب، فكيف إذن لو كان هؤلاء البشر هم من رحمتنا وأقاربنا! فأكد بالتقوى مرة أخرى لتقوية بنية الأسرة وصلة الرحم والمحبة والتواصل فيما بينهم^(٣). والتذكير بوحدة

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة بث

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٨١

(٣) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط، ط ١ (١٤٢٢)، دار الفكر - دمشق ج ١، ص ٢٧٨

الأصل أيضاً يثير العطف والرحمة والشفقة، ويهيج على أداء الحقوق، والتذكير برقابة الله يبعث على الرحمة بالضعيف واليتيم. (١)

كما أن القراءات المختلفة في كلمة (الأرحام) جاءت تدل على هذه المعاني، والقراءات تؤثر في تناسب أجزاء الآية وتؤثر في معناها.

حيث قرأ حمزة: والأرحام بالجر عطفاً على الضمير المتصل الواقع في محل جر بالباء في قوله (تساءلون به) أي اتقوا الله الذي تساءلون به وتساءلون بالأرحام، وكانوا يقولون أسألك بالله والرحم، أما قراءة النصب معناها: اتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها عطفاً للأرحام في إعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره. (٢) "وقد اعترض على قراءة حمزة، ولكنها صحيحة من حيث اللغة ومن حيث المعنى، من الوجهة النحوية والوجهة البلاغية، فقراءة النصب تحت على صلة الأرحام وتحذر من قطعها، إذ أكثر اللغويين على أن التقدير: واتقوا الأرحام، وليس معنى انفائها إلا صلتها وعدم قطعها والإحسان إليها، وأما قراءة الجر ففيها رفع من شأن الرحم وتذكير لهم بصنيعتهم إذ كانوا في عظام أمورهم يتساءلون بالأرحام". (٣)

وهذه القراءات المتواترة فيها تنبيه على قيمة الرحم سواء بالقراءة الأولى أم بالثانية، فكل قراءة أظهرت لنا معنى خاصاً وقيمة خاصة للرحم.

(١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ٩٨٧

(٢) وقد اعترض على قراءة حمزة من حيث الصنعة والمعنى؛ حيث انتقد الطبري والزمخشري وابن عطية وممن سار على نهجهم هذه القراءة؛ لأنها مخالفة للنحو عند البصريين. فلا يجوز عطف الظاهر المضمرة المجرور إلا بإعادة الجار، وأما من حيث المعنى فقد اعترض عليها لأنها جاءت تحمل معنى القسم والحلف بغير الله حرام، وعند الطبري هذه القراءة غير فصيحة وتابعة ابن جني وأبو العباس بن المبرد، ولكن للعلماء رد على هذه الأقوال بإثبات صحة سند القراءة، وحينئذ لا يعتمد على حكم نحو أو فشو لغة كما يقول ابن الجزري في القراءات العشر. وأما من جهة المعنى فإن القراءة لا تحمل في طياتها معنى القسم أو اليمين وإنما جاءت على سبيل الاستعطف. وللتوسع ينظر: الطبري، جامع البيان، ج ٧، ص ٥٢٠، ومحمد رشيد رضا، المنار، ج ٢، ص ٣٣٢، والرازي، مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٤٨٠، والألوسي، روح المعاني، ج ٢، ص ٣٩٥، والكنز في القراءات العشر، ج ١، ص ٨١، وأوضح المسالك، ج ٣، ص ٣٩٢، وشرح ابن عقيل، ج ٣، ص ٢٤٠

(٣) فضل عباس، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨)، ص ٣١٢

وبهذا يظهر الإعجاز في تناسب الموضوعات داخل أجزاء الآية الواحدة، وفيه إبراز لبيان التناسب في موضوع الآية وتكامل الموضوع فيها، فسبحان منزل الكتاب.

و يبقى المقطع الأخير من الآية وهي الفاصلة القرآنية ^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء ١). فالرقيب هو: "المطلع الشهيد الذي يعد عليك أنفاسك ويرى حواسك، وهو متول خطراتك ومنشئ حركاتك وسكناتك ومن علم أنه رقيب عليه فبالحري أن يستحي منه". ^(٢)

والرقيب بناء لاسم الفاعل من رقب يرقب إذا أحدَّ النظر بالبصر أو البصيرة إلى أمر ما ليتحققه على ما هو عليه ويقترن بذلك حفظ ومشاهدة، والفعل (كان) ليس لتحديد الماضي، بل المعنى كان وهو يكون أي للاستمرارية، والرقابة فيها معنى رصد الألفاظ والحركات أي إن الله مراقب لسكناتكم وامتثالكم وتطبيقكم للأحكام الواجبة عليه وفي هذا التذييل تلويح بالعقوبة، وهي إن فهمت ضمن الأمر بالتقوى في الأولى والثانية فهي ها هنا أظهر وهي تذييل تعليلي لما تقدم. ^(٣)

فمن يعلم أن الله رقيب عليه فإنه سيلزم التقوى ويتقي الله في أرحامه وعلاقاته كلها. فناسبت الفاصلة الموضوع أتم التناسب.

وأخيراً لو ربطت هذه الموضوعات بمحور السورة وعلاقتها في هذه السورة بشكل موجز فإن هذه الآية تمثل نموذجاً في تكامل الموضوع على النحو التالي:

أولاً: (اتقوا) بدأ بالتقوى لأن رحمة الضعفاء لا يفعلها إلا متق، ومن يبالي بالضعفاء ولولا التقوى لأكل القوي الضعيف!

ثانياً: (الذي خلقكم) الخلق مناسب للبدء بالناس ومناسب لموضوع الضعفاء الذين هم من خلق الله.

(١) سيفرد مبحث خاص لتناسب الفواصل القرآنية مع محور السورة في الفصل الأخير من الرسالة، ص ٢١٧

(٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥)، لطائف الإشارات، ط ٣، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٥ "بتصرف"

ثالثاً: اختيار لفظ (النفس الواحدة) يوحي بالضعف أولاً؛ لأنها إن كانت مخلوقة فهي ليست خالقاً

يستغني عن غيره، وخلقها منذ البداية واحدة يدل على مقدار حاجتها وضعفها.

رابعاً: ترتيب التناسل (نفس، نفسين، أنفس) (نفس واحدة، زوجها، بث منها رجالاً كثيراً ونساء) ليعلم

السامع أن المخلوق القوي لم يصبح قوياً إلا بالضعفاء، وهذا يدعو القوي إلى التواضع.

خامساً: الترتيب السابق (نفس، نفسين، أنفس) يرشدك إلى صلة الكثير بالقليل، فبين البشر جميعاً

صلوات رحمة ولهذا قال والأرحام.

سادساً: ختم الآية بالرقابة، فالتقوى لا تقوم إلا بالسر والعلن وتقوى السر داعيها الرقابة.

سابعاً: لأن الخالق خلق النفس بداية لغاية، والبث الكثير له نهاية، وما بين البداية والنهاية رقابة

وشهادة.

و نلاحظ في هذه الآية كيف تكاملت موضوعاتها من إقرار لمبدأ الربوبية ووحدة النشأة ووحدة النوع

والجنس والمجتمع والأسرة لتتكامل معاً لتحقيق مبدأ المساواة والعدل، وتظهر براعة الاستهلال في

هذه الآية التي جاءت مقدمة تلخص فيها كل محور السورة الذي ذكر سابقاً والذي يتحدث عن

وحدة الأسرة والمجتمع وغيره للوصول إلى العدل .

فأي إعجاز هذا وأي كلام في تناسق هذه الألفاظ والعبارات والقراءات التي جمعتها هذه الآية

الواحدة؟! إنه بحق النور المبين والبرهان الحق الذي جاء به رب العالمين .

ب - التناسب في آيات متعددة الموضوعات :

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ فَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلَمُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعْلَمُوا ﴾ (النساء: ٣) يُلاحظ في هذه الآية موضوعان

مختلفان تماماً إن نظرنا لهما في الوهلة الأولى، وهما موضوعاً: العدل مع اليتامى، وموضوع

النكاح وتعدد الزوجات، فما علاقة كل موضوع بالآخر؟!

القصد من اليتامى السابقين في الآية الثانية (وأتوا اليتامى أموالهم) هو العموم، والقصد بهم هنا الإناث فقط، ولكي لا يطمع في الأنثى لضعفها "الأنوثة واليتم" قطع أسباب الطمع بها بالاكتفاء بغيرها، ولكي لا يفضي طريق حماية اليتيمة من الظلم إلى ظلم آخر قال (فواحدة) لحماية الإناث من الظلم الواقع عليهن في الحالتين بمعنى: لا تظلم اليتيمة وتزوج غيرها أربعاً إن شئت، ولا تظلم أربعة واكتف بواحدة إن ضعفت.

هذا هو فهم الباحثة للآية بعد الاطلاع على كثير من التفاسير والأقوال التي لخصها ابن الجوزي بما يأتي: (١)

١- إن القوم كانوا يتزوجون عدداً كثيراً من النساء في الجاهلية، ولا يتخرجون من ترك العدل بينهن، وكانوا يتخرجون في شأن اليتامى. فقيل لهم بهذه الآية: احذروا من ترك العدل بين النساء كما تحذرون من تركه في اليتامى. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي ومقاتل.

٢- أولياء اليتامى كانوا يتزوجون النساء بأموال اليتامى، فلما كثر النساء مالوا على أموال اليتامى فقصرروا على الأربع حفظاً لأموال اليتامى، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس وعكرمة.

٣- معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صدقات اليتامى إذا نكحتموهن، فانكحوا سواهن من الغرائب اللواتي أحل الله لكم. وهذا المعنى مروى عن عائشة.

٤- وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في نكاحهن وحذرتن سوء الصحبة لهن وقلة الرغبة فيهن، فانكحوا غيرهن. وهذا المعنى مروى عن عائشة أيضاً والحسن.

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط (١٤٢٢)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج ١، ص ٣٦٨

٥- كانوا يتخرجون من ولاية اليتامى، فأمروا بالتحرج من الزنا أيضاً، وندبوا إلى نكاح الحلال وهذا المعنى مروى عن مجاهد.

٦- أنهم تخرجوا من نكاح اليتامى كما تخرجوا من أموالهم، فرخص الله لهم بهذه الآية وقصرهم على عدد يمكن العدل فيه فكأنه قال: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن فانكحوهن، ولا تزيدوا على أربع لتعدلوا فإن خفتم أن لا تعدلوا فيهن فواحدة. وهذا المعنى مروى عن الحسن.

وهذه الآية تعرف العلاقة بين أجزائها بالرجوع إلى سبب النزول، حيث تتكشف المناسبة وتبين ملاءمة أجزاء الآية فقد قال عروة بين الزبير: سألت عائشة عن قول الله تعالى: "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى" فقالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها ويعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنها عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن على سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. فالمراد من الآية وإن خفتم أن تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء لذا قال بعد: فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم.^(١) وهناك رواية أخرى عن عائشة قالت: نزل قوله (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى): "في اليتيمة تكون عند الرجل وهي ذات مال ينكحها لمالها وهي لا تعجبه ثم يضربها ويسيء صحبتها فوعظ في ذلك.^(٢)

وعلى هذا التأويل يقول الطبري إن جواب قوله (وإن خفتم) هو (فانكحوا).^(٣)

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير (٦٥)، باب قوله "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى"، ح: ٤٥٧٤ والحديث موقوف عن عائشة ج ٦، ص ٤٢

(٢) أخرجه مسلم كتاب التفسير (٥٤)، ح: ٣٠١٨، ج ٤، ص ٢٣١٥

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٥٧٧

مما تبين من رواية السيدة عائشة والأقوال التي ذكرت في تأويل هذه الآية وبما رجحه الإمام الطبري عندما قال: "وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية قول من قال: تأويلها وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى، فكذلك خافوا في النساء فلا تتكحوا منهن إلا ما تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة إلى الأربع فإن خفتم الجور في واحدة أيضاً فلا تتكحوها ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم، فانه أحرى أن لا تجوروا عليهن". (١)

إذن فالآية تتحدث عن عدم الظلم، وتتحدث عن العدل والقسط، ولكن لماذا ذكر القسط مع اليتيمة بينما ذكر العدل مع غيرها.

ذلك يدل على أن لكل كلمة ظلالها التي توحى به إذ إن القسط: هو نصيب بالعدل كالنصف والنصفة قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ (يونس: ٤) ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٩) والقسط هو أن يأخذ قسط غيره وذلك جور. والإقساط أن يعطى قسط غيره وذلك إنصاف ولذلك قيل قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن: ١٥). (٢)

أما العدل فهو لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة والعدل والعدل يتقاربان، لكن العدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، وقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: ٣) : إشارة العدل الذي هو القسم والنفقة. (٣)

فذكر القسط مع اليتيمة للعدل المعنوي والمادي، ومع غيرهن ذكر العدل فهو من ناحية معنوية.

(١) الطبري، جامع البيان، ج٣، ص٥٧٧

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة قسط

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة عدل

فكان في حق اليتيمة أكبر فالقسط يشمل العدل، وبالتالي حتى يلهب نفس المؤمن ويزيد ورعه وحرصه والتزامه جاء بـ(إن) الشرطية مع لفظ الخوف بمجرد الإحساس بإمكانية الظلم حتى لو لم تكن متأكداً من وقوعه والتي أشارت إليه (إن) بعكس (إذا) التي تأتي إن كانت متأكدة الوقوع .

" فلما تحدث عن التعدد استعمل المعادلة، العدل من عدلي الدابة، تكون عادلاً تساوي بينهما، ولما يتحدث عن اليتيمة استعمل إزالة الظلم (القسط)".^(١)

فكلمة القسط و كل هذا المقطع أوحى لنا بالاهتمام باليتيمة، وشدة إثم من يأكل مالها، أو يتزوجها ليجور عليها والتي أوحته فاصلة الآية ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ لَا تَعُولُونَ﴾ (النساء: ٣).

"فالعول يقال فيما يهلك، والعول فيما يتقل، ومنه العيال والمال إذا كثر عياله وهذا ما قال به الشافعي". وأرجح هنا ما يتناسب مع سياق الآية أي بمعنى لا تجوروا أو تميلوا وتقربوا من الظلم.

وقد تعددت موضوعات هذه الآية ما بين القسط بين اليتامى، والنكاح بغير اليتامى وتعدد الزوجات والعدل بينهن وجاء تبعاً لهذا الموضوع موضوع ملك اليمين. وبقي الحديث عن موضوع التعدد الذي حدده الإسلام فهو لم يأمر به وإنما رخص فيه وقيده. وقد رخص فيه لمواجهة واقعيات الحياة البشرية وضرورات الفطرة الإنسانية، هذه الضرورات وغيرها سواء عرفنا حكمته أم لم نعرفها فعلياً أن نستسلم لأحكام الإسلام.^(٢)

فمن أبرز الحكم التي جاء من أجلها التعدد: العوامل الطبيعية والعمرانية، والتي تتمثل بقوانين تخضع لها الفصيلة الإنسانية فيما يتعلق بالنسبة بين الذكور والإناث، وترجع المبررات الاجتماعية إلى ضرورات خاصة فيما يطرأ على الحياة الزوجية كالعقم أو المرض.^(٣)

(١) السامرائي ، برنامج لمسات بيانية، الناشر: موقع إسلاميات، <http://www.islamiyyat.com/lamsat.htm>

(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٨٢

(٣) ينظر: وافي، علي عبدالواحد، بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام، مؤسسه المطبوعات الحديثة، ١٩٦٠، ص ٢٤-٣٩

"وتحدثت الآية أيضاً عن ملك اليمين الذي جعله النص القرآني آخر المطاف للرجل. فذكره بعد أن ذكر نظام تعدد الزوجات، ثم نظام الزوجة الواحدة دالاً على أن هذا النظام ليس هو الأصل في المجتمع الإسلامي، وإنما الأصل فيه هو الزواج لا التسري بالنساء".^(١)

فالزواج من ملك اليمين هو من الطرق التي شرعها الإسلام لتحرير الرقيق، وهو ما يسمى بالتسري فهو يدفع صاحبها إلى تحريرها، وهي إذا ولدت تصبح أم ولد تمنع بيعها وتحرر بوفاة صاحبها، وقد شرعه الإسلام علاجاً للفساد الاجتماعي في مجتمع العدو عقب الحرب المشروعة بين المسلمين وأعدائهم. "ولم يعد لهذا الموضوع مصدر الآن؛ لأن المسلمين في حالة خنوع، واجترأ عليهم الكفار"^(٢).

فلنتأمل حسن التناسب بين أجزاء هذه الآية التي جاءت ثلاثم موضوع سورة النساء ومحورها الذي يقوم على العدل بين أفراد المجتمع؛ لنتقلنا إلى موضوع العدل بين النساء وما يتخلله من موضوع القسط مع اليتامى مادياً ومعنوياً ولنتقل بنا إلى العدل داخل بناء الأسرة، ومع أهم أفرادها العدل مع الزوجات، مع ما تضمنه هذا النظام في التعدد حماية المجتمع من المفسد والفاحشة، وحل مشكلات عامة تطرأ على المجتمع كالأمراض والحروب، فمهما تعددت موضوعات الآية إلا أنها تبقى مترابطة متناسقة فيما بينها.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩) تعددت الموضوعات في هذه الآية كما تعددت الأفهام فيها. فهي تتحدث عن أكل مال اليتامى والضعفاء عموماً كما تداخلت مع موضوع الخوف على الأبناء من المستقبل، وقد تضمنت في داخلها موعظة وحكمة وعرضت بالتهديد .

(١) ينظر: عبيدات، رافع محمد فندي، موقف الإسلام من تعدد الزوجات، ١٤٢١-٢٠٠١، دار الكتاب، ص ٥٦-٥٣

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج ٤، ص ٢٠٠٧

وقد ذكر المفسرين الأقوال التي ذكرت في تفسير هذه الآية ولخصها ابن العربي بأربعة أقوال:
أولاً: نهي لمن حضر عند الموت عن الترغيب له بالوصية، حتى لا يخرج إلى الإسراف المضر
بالورثة.

ثانياً: نهي لمن حضرته الوفاة عن الإعطاء في الوصية للمساكين والضعفاء.

ثالثاً: نهي لمن حضر عند من حضره الوفاة عن ترغيبه في الزيادة على الثلث.

رابعاً: أن الآية راجعة إلى ما سبق من ذكر اليتامى وأموالهم وأولياهم، فذكروا بالنظر في مصلحتهم
والعمل بما كان يرضيهم أن يعمل مع ذريتهم الضعفاء وورثتهم.

ويقول: "والصحيح أن الآية عامة في كل ضرر يعود عليهم بأي وجه كان على ذرية المتكلم فلا
يقول إلا ما يريد أن يقال فيه وله".^(١)

قول مختصر ومفيد وله وجاهته: فالآية تنبه من عدم التبذير في الوصية خشية حرمان الورثة،
والقول الآخر الذي ينبه أصحاب الأموال إلى وجوب الوصية للأقارب والفقراء والأيتام والمساكين.
وفي هذين القولين مخرج عند ابن عطية عندما قال: "قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان لا
يطرد واحد منهما في كل الناس، بل الناس صنفان؛ يصلح لأحدهما القول الواحد، وللآخر القول
الثاني. وذلك أن الرجل إذا ترك ورثة مستقلين بأنفسهم أغنياء حسن أن يندب إلى الوصية، وإذا
ترك ورثة ضعفاء ومقلين حسن أن يندب إلى الترك لهم، والاحتياط و المراعى إنما هو الضعيف
فيحب أن يمال معه".^(٢)

وعلى هذا فلا تناقض وإنما تعدد الفهم وكله لمصلحة الضعيف، وهو ما جاءت تدور حوله سورة
المستضعفين سورة النساء، هذا الموضوع الأول الذي جاء فيها.

(١) ابن العربي، محمد بن عبدالله المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٣٤٥)، أحكام القرآن، ط ٣ (١٤٢٤ - ٢٠٠٣) دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان، ج ١، ص ٤٢٩

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ١٤

أما الموضوع الثاني الذي يفهم منها أن "الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في حفظ أموالهم فيخافوا الله على أيتامهم، كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً ويقدرُوا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة".^(١)

وقد تداخل هذا الموضوع وتكامل وتناسب مع ما أثار من شجن لعاطفة الأبوة وإثارة الشفقة؛ لينبه على أن المعتدى عليهم خلق ضعاف ، ومن ثم هدد بسوء الحال في الدنيا لمن اعتدى على حقوق هؤلاء الضعاف دون أن يحدد ما هو هذا السوء. فقد حذف مفعول الخشية لأن الخوف الذي ستخافه عليهم كثير ومتعدد.^(٢)

ولأنه كما تدين تدان فإنك إن ظلمت الضعيف فإن هذا سيعود على أولادك من بعدك ويأتي من يظلمهم من بعدك، ولكنك إن رعيت حق الله وانتقيته صان الله حَقَّك وحق بنيك، فقد قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢) ومتى قلت قولاً سديداً زرعت حبك في قلوب الناس، فتدافعوا لرعاية بنيك من بعدك؛ لأجل حبهم لك. فجعل الله لك بهذه الوصية حبلين؛ حبل من الله وحبل من الناس فاتق الله ما استطعت، وهذا هو الموضوع الثالث في هذه الآية وهو التأمين على حياة أبنائك من بعدك إنما يكون بتقوى الله والقول السديد، حتى يكفيك أمر ذريتك من بعدك.

والموضوع الرابع الذي أشارت إليه الآية أيضاً هو العدل بين الأبناء ولكنه أتى فيها بصورة غير مباشرة فعن ابن عباس قال النبي p: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"^(٣). وقد حمل الباحثة على استشفاف ذلك المعنى في هذا الموضوع قولُ القشيري في تفسيره: "بين الله في هذه الآية أن الذي ينبغي للمسلم أن يدخره لعياله التقوى والصلاح، لا المال لأنه لم يقل فليجمعوا المال وليكثرُوا لهم

(١) ابن جزى، التسهيل، ج ١، ص ١٧٧

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٥٢

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه باب (٣): البر بالوالد والإحسان إلى البنات، ح: ٣٦٧١، والحديث ضعفه الألباني، ج ٢، ص ١٢١١

العقار، بل قال: فليتقوا الله فإنه يتولى الصالحين" (١). ففي هذا التفسير تعريض بكيفية التعامل مع الذرية الضعيفة ومع الأبناء بالرحمة والعدل بينهم، وتربيتهم التربية الإسلامية القائمة على التقوى. "ومن القيم الخلقية في الأدب الإسلامي، أدب العدالة بين الأطفال فلا يضارون بصور الظلم وأنواعه من الأسرة أو من المجتمع مما يترك أثراً بناءً في تهذيب نفسه، وفي رقة مشاعره وعمارته وجدانه فينشأ على المحبة والمودة والتعاطف والتعاون، ولقد أنقذ العبد الصالح حق اليتيمين من مجتمعها الظالم الشحيح ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ (الكهف: ٨٢) هذا ما يجب على المجتمع من رفع الظلم عن المسلم وعن الطفل الضعيف، وإرساء العدالة الاجتماعية بينهم، وأما موقف الأسرة من ذلك فقال تعالى: ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩) وذلك في تصوير قرآني معجز" (٢).

و تحدثت الآية عن موضوع أكل مال الحرام، فأكثر من توكل أموالهم إما الورثة وإما اليتامى. وإن من أهم أسباب حرمان الوارثين حقوقهم لمن لا يتقي الله الحرص على الأولاد ومستقبلهم، فقد يأكل الرجل مال أولاد أخيه اليتامى لأجل أولاده، و قد يحرم الرجل بناته لأجل أولاده، وقد يستبد الأخ بميراث أخواته لأجل مستقبل أولاده، وبذلك لامست الآية شغاف قلوب الآباء المرهفة الحساسة تجاه ذريتهم الصغار وذكرتهم بقول رسول الله: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (٣). وقررت في سياقها حقوقاً للأبناء والذرية واليتامى والورثة والمساكين احتفاظاً بالروابط العائلية والمواد القلبية، تمشياً مع قاعدة التكافل العام الذي جاءت سورة النساء تقره، بل يدور محورها

(١) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، ط ٣، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة

المصرية العامة للكتاب - مصر، ج ١، ص ٣١٦

(٢) علي علي صبح، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية، ج ١، ص ١٩٠

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (٢) الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ح: ١٣

حوله، وهو إنشاء المجتمع المسلم المتضامن المتكافل الذي يرحم فيه قويه ضعيفه ويعطف فيه كبيره على صغيره، فإن الله تعالى ولي لكل هؤلاء المؤمنين والضعفاء والناس جميعاً. ^(١) ويبرز هنا إعجاز آخر في تناسب أجزاء الآية الواحدة مع تعدد موضوعاتها.

المطلب الثاني: تناسب الفاصلة مع موضوع الآية:

تعد الفاصلة القرآنية جزءاً من أجزاء الآية وهناك تناسب دقيق، ورباط وثيق، يجمع بين الآيات وما اختتمت به أغراض خاصة ومقاصد عظيمة في تمكين معنى الآية وإتمام موضوعها. وقيمتها في هذا المطلب هو ما يهمننا "فإن الفاصلة القرآنية لم تأت لغرض لفظي فحسب وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض، وإنما جاءت في كتاب الله لغرض معنوي يحتمه السياق وتقتضيه الحكمة" ^(٢)

والفاصلة هي سمة بارزة ترد في خواتم الآيات القرآنية لتزيد معاني الآيات بياناً وإيضاحاً، فإن ختام الآية في القرآن دائم التناسب مع مبدئها وموضوعها.

"وهي تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه؛ ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه نحو قوله تعالى ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١). ^(٣) ومعنى الفاصلة الذي يخدم موضوع البحث هنا هو المقطع الأخير في الآية ، وستذكر الباحثة مثالين من الفواصل وتناسبها مع الآية وهما:

أ- تناسب موضوع الآية مع فاصلتها المنتهية باسم من أسماء الله الحسنى

(١) ينظر: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٩٢ "يتصرف"

(٢) فضل عباس، إعجاز القرآن، ص ٢١٥

(٣) السيوطي، الإتقان، ج ٣، ص ٢٥٠

حيث سيمثل بمثال على آية ذكر فيها اسم الله مرة واحدة في القرآن الكريم. (١)

وأرادت الباحثة هنا أن تثبت تناسب الفاصلة مع موضوع الآية وستأخذ مثلاً على ذلك قوله تعالى:

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

مُقِينًا ﴾ (النساء: ٨٥) اختتمت الآية بقوله تعالى (وكان الله على كل شيء مقبلاً).

فما علاقة هذا الاسم والذي ورد في هذه السورة فقط مع موضوع الشفاعة، وما علاقته بموضوع

السورة!؟

تكلم المفسرون عن معنى اسم الله المقبلة في هذه الآية دون أن يذكروا علاقة موضوعها مع هذا

الاسم، وكان أكثر المفسرين من يعرف المقبلة بالمقتدر أو الرزاق دون تعليل لوضع هذا الاسم دون

غيره، لذا أحببت أن أبرز تناسب هذه الفاصلة مع موضوع هذه الآية.

ذكر الراغب في مفرداته معنى "القوت" : ما يمسك الرّمق ، وجمعه : أقوات. قال تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ

فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ فصلت: ١٠ وَقَاتَهُ يَقُوتُهُ قُوتًا: أطعمه قوته ، وَأَقَاتَهُ يُقِيْتُهُ: جعل له ما يَقُوتُهُ، وفي الحديث:

(إنّ أكبر الكبائر أن يضيع الرجل من يقوت) ، ويروى: (من يقبت). قال تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ مُّقِينًا ﴾ (النساء: ٨٥) قيل: مقتدرا. وقيل: حافظا. وقيل: شاهدا، وحقيقته: قائماً عليه يحفظه ويقبته.

ويقال: ما له قوتٌ ليلة، وقبّت ليلة، وقبّته ليلة، نحو الطعم والطعمة. (٢)

يذكر الرازي في تفسير الآية أنه تعالى قادر على إيصال النصيب والكفل من الجزاء إلى الشافع

مثل ما يوصله إلى المشفوع فيه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا ينقص بسبب ما يصل إلى

(١) وليس الغرض من هذا المطلب هنا دراسة كل آية مع فاصلتها وإنما سيأتي لاحقاً مبحث في تناسب الفواصل بشكل عام في الفصل

الثالث يتحدث في عموميات و خطوط عريضة للموضوع حيث إن هناك فواصل تعرف بأدنى تأمل وهناك ما يحتاج إلى نظر وطول

تأمل كما يقول الزركشي ج ١، ص ١٠٦

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة قوت

الشافع شيء من جزاء المشفوع. أو أنه تعالى حافظ الأشياء شاهد عليها، لا يخفى عليه شيء من

أحوالنا، فهو عالم. فإن الشافع يشفع في حق أو باطل حفيظ عليه فيجازي كلا بما علم منه. (١)

أما ابن عاشور فيقول في معنى هذه الآية إنها: "استئناف فيه معنى التذليل والتعليل لقوله ﴿فَقَنْتِلْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُلْفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ

تَنْكِيلًا﴾ (النساء: ٨٤) وهو بشارة للرسول بأن جهاد المجاهدين بدعوته ينال منه نصيباً عظيماً من

الأجر؛ فإن تحريضه إياهم وساطة لهم في خيرات عظيمة، فجاءت هذه الآية بهذا الحكم العام على

عادة القرآن في انتهاز فرص الإرشاد، ويعلم من عمومها أن التحريض على القتال في سبيل الله

من الشفاعة الحسنة وأن سعي المثبتين للناس من قبيل الشفاعة السيئة، فجاءت هذه الآية إيذاناً

للفريقين بحالتهم والمقصود مع ذلك الترغيب في التوسط في الخير والترهيب من ضده. (٢)

والشفاعة والوساطة في إيصال خير أو دفع شر سواء أكانت بطلب من المنتفع أم لا.

ويذكر الغزالي: "أن المقيت: معناه خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان وهي الأطعمة، وإلى القلوب

وهي المعرفة، فيكون بمعنى الرزاق إلا أنه أخص منه، إذ الرزق يتناول القوت وغير القوت.

والقوت ما يكتفي به في قوام البدن، إما يكون معناه المستولي على الشيء القادر عليه والاستيلاء

يتم بالقدرة والعلم وعليه يدل قوله عز وجل: (وكان الله على كل شيء مقيتاً) أي مطلعاً قادراً فيكون

معناه راجعاً إلى قدرة وعلم، أما العلم فقد سبق وأما القدرة فستأتي ويكون بهذا المعنى وصفه

بالمقيت أتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده؛ لأنه دال على اجتماع المعنيين وبذلك يخرج

هذا الاسم عن الترادف. (٣)

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ١٥٩

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٤٢

(٣) الغزالي، أبو حامد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥)، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ط (١٤٠٧ - ١٩٨٧) الحفان

الجابي - قبرص للنشر، ج ١، ص ١١٣

وبهذا المعنى تقول بنت الشاطي: ولعل تأويل مقيت بمقتدر أقرب إلى سياق الآية، وإن لفت إلى الفرق بين كلمتين أن مقيتاً وحيدة في القرآن، على حين كثر مجيء قادر نكرة ومعرفة مفرداً وجمعاً أربع عشرة مرة. والقدير اسم الله تعالى وصفه خمس وأربعين مرة، ومقتدر مفرداً أربع مرات، ومرة بصيغة الجمع. وهذا الفرق الواضح في الاستعمال يبقي لكلمة مقيت دلالة اتصال بمادتها القوت منقولة إلى الاقتدار عن طرق هذا المعنى الخاص كما في معاني الفراء. (١)

حث يذكر الفراء: "أن المقيت : هو المقدر والمقتدر كالذي يعطي كل رجل قوته". (٢)
 إذن هناك فرق ما بين اسم الله المقيت والرزاق؛ حيث إن المقيت أخص من الرزاق، لأنه يختص بالقوت أما الرزق فيتناول القوت وغيره، والمقيت يقدر حاجة الخلائق بعمله ثم يسوقها إليهم بقدرته ليفيهم بها ويحفظهم، لكن أغلب المفسرين فسروا المقيت بالمقتدر كما رجحه الطبري مستنداً بلغة قريش، ولم يفسروا علاقة موضوع الشفاعة بموضوع الإقادة فكأنهم فسروا معنى القدرة وليس معنى اسم الله المقيت.

ومن الأقوال التي ربطت اسم الله المقيت بمعنى الشفاعة في تحقيق لمعاني كلمات القرآن، يقول حسن المصطفي ما مفاده: إن القوت هو كل ما يقتات به الشخص، فيتقوى بذلك مادياً ومعنوياً؛ لأن القوت يكون للفطرة والعقل والقلب كما أنه للبدن، والله تعالى قائم على إمداد المخلوقات بما يتقوون به، أو ما تقوم به عليه حياتهم، فهو الذي أوصل الحياة والرزق والمقادير للمخلوقين، والشافع أوصل المشفوع له إلى غايته خيراً أو شراً، ولا تؤثر أفعال العباد لولم يوقت الله لها ما يوافقها فكان الله مقيتاً على شفاعة الخير، أي يوصل أجرها لفاعلها وللشافع لها. وهو مقيت على

(١) بنت الشاطي، عائشة عبدالرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ط٣، دار المعارف، ص٤٢٩

(٢) الفراء، معاني القرآن، ج١، ص٢٨٠

شفاة الشر يوصل كفلها إلى الشافع والفاعل لها^(١). وبذلك يكون قد تحقق تناسب الفاصلة مع موضوع الآية.

ب- تناسب موضوع الآية مع التعقيب في آخرها

لابد من لفت الانتباه هنا إلى موضوع من الآيات المتشابهات التي تختلف في فواصلها لكن المحدث عنه واحد^(٢). ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَبِعَفْرِ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (النساء: ٤٨).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَبِعَفْرِ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ (النساء: ١١٦) وجه التناسب في كل فاصلة: أنه لما وقع قبل الآية الأولى ذكر أهل

الكتاب وذكر اعتدائهم وتعريفهم من قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الضَّلَالَةَ

وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ (النساء: ٤٤) ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن

مَوَاضِعِهِ ﴿٤٦﴾ (النساء: ٤٦) وهذا إفصاح بكذبهم وافتراءهم ثم أتبع ما ذكر بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ

بِهِ﴾ (النساء: ٤٨)، فناسب ما تقدم من أوصاف الشرك الافتراء الذي هو أخص صفات من كذب من

أهل الكتاب مع أن المشرك مفتر، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(النساء: ٤٨). ولما لم يتقدم مثل ذلك في الآية الأخرى إنما تقدم قبلها قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ (النساء: ١١٥)

(١) المصطفي، حسن، تحقيق معاني كلمات القرآن، ط١، طهران (١٣٩٣)، مادة: قوت، ج٩، ص٣٩٠ "بتصرف"

(٢) ينظر: الزركشي، البرهان، ج١، ص٧٨: وقد اعتبر هذا النوع من الفواصل فن بديع وهو التمكين وعرفه بأن تمهد قبلها تمهيدا تأتي

به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً،

بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم. ومن أنواع الفواصل: التوشيح والإيغال التصدير.

وقبلها ما يخص منافقي أيام النبي عليه السلام من لدن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَا اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ (النساء: ١٠٥) ثم قال ﴿ وَلَا تُجِدِلْ عَنِ

الَّذِينَ يَخْتَابُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ (النساء: ١٠٧) فلم يقع في هذه الآية ذكر

تحريف ولا افتراء إنما ذُكر منافقو أيامه عليه السلام بنفاقهم وما صدر منهم من غير الكذب

والافتراء فناسب ذلك ما بني عليه من قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ صَلَّ صِلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ (النساء: ١١٦)

(١١٦) كما ناسب قوله في الأولى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (النساء: ٤٨) ما تقدمه

وبني عليه وجاء كل على ما يجب. (١)

وقد أحببت أن أورد هذا المثال أيضاً للتأكيد على تناسب الفاصلة القرآنية ليس فقط مع موضوع

الآية نفسها بل بما سبقها من الآيات؛ فهناك من الفواصل ما لا نستطيع معرفة مناسبتها مع آياتها

إلا عندما ننظر في سياق الآيات بالكامل، وهذا مما يثبت الوحدة الموضوعية في جميع أجزاء

السورة فتبارك الله منزل الكتاب .

(١) ينظر: الغرناطي، أحمد بن الزبير النقي (ت ٧٠٨)، ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من

آي التنزيل، تحقيق: عبدالغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ص ٣٧٤-٣٤٨ وينظر: الإتيان ج ٣، ص ٣٥

الفصل الرابع

التناسب في دلالات الألفاظ والأساليب مع محور السورة

المبحث الأول: تناسب دلالات الألفاظ مع محور السورة

المطلب الأول: تناسب الألفاظ التي لم يشتق من جذرها سواها مع محور السورة

المطلب الثاني: تناسب الألفاظ التي اشتق من جذرها سواها مع محور السورة

المبحث الثاني: تناسب الأساليب البيانية مع محور السورة

المطلب الأول: تناسب أسلوب الإنشاء الطلبي مع محور السورة

المطلب الثاني: تناسب أساليب الخبر مع محور السورة

المبحث الثالث: تناسب فواصل الآيات مع محور السورة

المطلب الأول: تناسب الفواصل المنتهية بأسماء الله الحسنى مع محور السورة

المطلب الثاني: تناسب الفواصل المنتهية بغير أسماء الله الحسنى مع محور السورة

الفصل الرابع: التناسب في دلالات الألفاظ والأساليب مع محور السورة

المبحث الأول: تناسب دلالات الألفاظ مع محور السورة

امتاز القرآن في نظم ألفاظه بميزة خاصة هي روح التركيب أي أن العناصر اللفظية تمتزج فيه على نسب خاصة فتتآلف وتتآخى بصورة لا مثيل لها في كلام آخر،^(١) إذ إن ألفاظ القرآن كيفما أدرتها وتأملتها لا تصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة والانسجام العذب، لا يمنعها اختلاف حروفها وتباين معانيها وتعدد مواقفها من أن تكون جوهرًا واحدًا في الطبع والصقل ... تختلف ولا تراها إلا متفقة وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة.^(٢) فليس العجب في تخير ألفاظ القرآن وإنما العجب أن تستجيب ألفاظ القرآن على هذا الوجه المعجز.^(٣)

"و لكل سورة من سور القرآن الكريم معجم لغوي يتميز بصنفين من الكلمات:

الصنف الأول: ما توارد فيها على نحو لافت. والصنف الآخر ما اختصت به دون غيرها على نحو من الأنحاء: مادة أو اشتقاقًا أو تصريفًا.

والصنف الأول يشمل معجمًا للكلمات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة بحيث يكون بين تلك الكلمات قرابة دلالية، قد تكون جلية حيناً وقد تكون خفية حيناً آخر. والأسرة اللغوية تستجمع فيها الكلمات عن طريق الاشتقاق الذي تلتقي الكلمات فيه حول جذر لغوي واحد".^(٤)

(١) ينظر: الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط ٨ (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٢٤٤

(٢) ينظر: الرافي، إعجاز القرآن، ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٣) ينظر: الرافي، إعجاز القرآن، ص ٢٤٧

(٤) سعد، محمود توفيق محمد، العزف على أنوار الذكر (معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة)، ط ١ (١٤٢٤ هـ) (ولو أنه اكتفى بالاسم الآخر للكتاب لكان أفضل).

ومن هذا الصنف الأول في السورة التي ركزت على قضايا النساء والأيتام والضعفاء، كان من اللافت فيها كثرة ورود كلمة النساء واليتامى ومشتقات الجذر ضعف مقارنة بجميع سور القرآن الأخرى، وقد ذكر سابقاً قيمة هذه الألفاظ في إبراز الموضوع المحوري في السورة كما مر في الفصل الثاني.

وقد تم تخصيص هذا المبحث بالصنف الثاني وهو اختصاص السورة وتفرداها بألفاظ دون غيرها من السور، بحيث سيتم إحصاء المفردات التي لم تأت في سور أخرى وبيان معناها اللغوي والمحوري ليُدلَّ على كيفية تناسبها مع محور السورة وموضوعاتها والذي يؤدي بدوره إلى إبراز شخصية السورة، فقد تحدث أكثر من واحد عن الشخصية المستقلة لكل سورة وتميزها عن غيرها بألفاظ وتعبيرات محددة، وأول من نبه إلى ذلك المفسر الشهيد سيد قطب.^(١)

فحسن اختيار الكلمات من عمود بلاغة الخطاب عامة ببلاغة القرآن! يقول الخطابي: "اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشمل فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة".^(٢)

وقد ذكر الراغب الأصفهاني في مقدمته: "أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني مفردات الألفاظ القرآنية في كونه من أوائل

(١) وقد سار على منهجه في تتبع الألفاظ لإظهار شخصية السورة من المعاصرين الدكتور أحمد نوفل في تفسير سورة يوسف والدكتور

صلاح الخالدي في كتابه التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.

(٢) الخطابي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ)، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي

والجرجاني، ط ٢ (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م)، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعرف- مصر، ص ٢٩

المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللبّن في كونه أول معاون في بناء ما يريد أن يبنيه".^(١)

المطلب الأول: تناسب الألفاظ التي لم يشتق من جذرها سواها مع محور السورة.

من الألفاظ التي لم يشتق من جذرها سواها في السورة: (حويًا، أفضى، الحبت، نضجت، لبيطن، أذاعوا، يستتبطونه، مُراغماً، فليبتكن).^(٢)

أما مناسبتها لمحور السورة فما يأتي:

الحوب: وردت اللفظة في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء ٢) والحوب هو "الإثم وهو المصدر

منه وسمي بذلك لكونه مزجوراً عنه"^(٣) والحوبة: "كل حرمة تضيع إن تركها من أم أو أخت أو ابنة

أو غيرها والرجل الضعيف وكذلك المرأة إذا كانت ضعيفة والمسكنة والحاجة والفقير".^(٤)

ومعناها المحوري: "عجز أو ثقل من ضعف".^(٥)

لم يستخدم القرآن الألفاظ التي تقاربها من العجز أو الضعف أو الإثم أو المسكنة؛ لأن حروف

(ح و ب) تتناسب الضعف الغالب على ألفاظ السورة، حتى يشعر بشدة ألم اليتيم من هذا التصرف

بأكل ماله، لأن اليتيم ضعيف وعاجز ومسكين وسيقابل هذا الألم بألم أشد إن ظلم اليتيم.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات ، ص ٦ . وقد سار على هذا النهج محمد محمد جبل في المعجم المؤصل لألفاظ القرآن والمصطفوي

في تحقيق ألفاظ القرآن وفيه جهد رائع لمن أراد فهم ودراسة ألفاظ القرآن وقد استعنت بهذين الكتابين في استخراج المعنى المحوري

للمفردات ثم ربط المعنى بموضوع السورة.

(٢) ذكر البسومي في فرائده أن لفظة : تعولوا وثبات مما تفردت به السورة ولم يشتق من جذرها سواها ولكن اشتق من هذه الألفاظ كلمات

أخرى في سور أخرى

(٣) الراغب الأصفهاني ، المفردات ، مادة حوب

(٤) ينظر : تاج العروس ، مادة حوب

(٥) محمد جبل ، المعجم المؤصل ، ص ٣٦٤

"كما أن الفرق بين الحوب والذنب أن الحوب مزجور عنه، وذلك أن أصله في اللغة الزجر ومنها يقال في زجر الإبل الحوب" (١)، وفي ذلك تخويف وتهويل وتشنيع لأكل مال اليتيم.

الجبت : وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ النساء: ٥١ "والجبت والجبس والفسل (٢) الذي لا خير فيه" (٣) وهو "الشيطان أو الساحر، وهو في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله". (٤)

ووجه مناسبتها للسورة وصفها بأنها منقلبة عن الجبس وهو الجص أو الصلصال الطيني الذي تسوى منه الأصنام فهو لم يقل يؤمنون بالأصنام، وذكر الجبت ليبين أصل هذه الأصنام وضعفها فهي مجرد جبس أو جبت لا خير فيه ولا قوة، وضعف الجبت كمادة يناسب موضوع الضعف في السورة، وكذلك ضعف العبادة نفسها، وضعف الأساس الذي قامت عليه وشدة وهنه.

"وهذا يكشف غموض الكلمة ويكون توبيخ اليهود بهذا أحد وأخرى لهم، ومن هذا الأصل يعمم في كل باطل يتوهم فيه ما ليس له حقيقة وفي الحديث: الطيرة والعيافة والطرق من الجبت (والطرق هو التكهن بضرب الحصى)". (٥)

أفضى: وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ النساء: ٢١ وأفضى "من (فضا) والفضاء المكان الواسع ومنه أفضى بيده إلى كذا، وأفضى إلى امرأته: في الكناية أبلغ، وأقرب إلى التصريح من قولهم خلا بها". (٦)

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر

والتوزيع، القاهرة - مصر، ج ١، ص ٢٣٣

(٢) الفسل هو: الرذل والنذل الذي لا مروءة له

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة جبت

(٤) الداغاني، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش

محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص ٣٥٧

(٥) محمد جبل، المعجم المؤصل، ص ٢٧٢

(٦) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة فضا

والمعنى المحوري لها: خلاء عام محيط بلا تعلق أو حاجز". (١)

ويذكر الإمام الطبري أن سياق الآية هنا بمعنى خلا الرجل بالمرأة دون ستور وحواجز وجمع بين الإفضاء والميثاق الغليظ والمراد هو الجماع. (٢)

فقد صار كل من الرجل والمرأة في فضاء الآخر وزالت بينهما الحواجز، وفي هذا إشارة إلى العلاقة المقدسة التي بنيت عليها السورة وحدة الأصل والنشأة في مطلع السورة في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ١) والتي قام عليها المجتمع ووحدته كما ذكر سابقا. ولم يذكر كلمة خلا لأن الخلو لا تحمل في طياتها معنى زوال الحواجز فقد يخلو المرء بالشيطان ولكن دون أن يراه أو يدنو منه (٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ (البقرة ١٤) فقد أوحى هذه الكلمة (الإفضاء) وألقت بظلال من الحب والألفة والمودة بين الزوجين والتي تبنى عليها المحبة في الأسر وتوحيدها وتماسكها وبالتالي المجتمعات كلها. وهذا يناسب موضوع السورة أتم التناسب، كما أن الإفضاء هنا ذكر في سياق تكون فيه المرأة ضعيفة، فزواجها يريد استبدال أخرى بها وقد يأخذ ما آتاها من مهر.

نَضِجَتْ : وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ (النساء ٥٦)

يقال نَضَجَ اللحم نَضِجًا ونَضِجَ إذا أدرك شَيْئِهِ". (٤) أي أنه بلغ الغاية في شيء ما ، فنضج الطعام أي أصبح جاهزاً للأكل ونضج الصبي أي بلغ الغاية في الوعي.

(١) محمد جبل ، المعجم المؤصل ، ص ١٦٨٣

(٢) ينظر : الطبري ، جامع البيان ، ج ٨ ، ص ١٢٥ وما بعدها

(٣) وقد يعترض أحدهم بذكر الشياطين هنا بمعنى رؤوس الكفر أي أنهم بشر وليس المقصود بالشيطان الجنى "، ينظر الطبري ج ١ ، ص ٣٩٧ ولكن أردت هنا المعنى الحقيقي لوجود الشياطين ورؤيتهم للبشر كما يقول الرسول : (ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما) واستشهدت بالآية لاستخدامها كلمة خلا وكيفية توظيفها للمعنى.

(٤) الراغب ، المفردات ، مادة نضج

والنضج رخاوة النسيج الشديد متأثراً بالحرارة أو الزمن؛ فينضج الطعام بسبب الحرارة، ونضج الثمار ورخاوتها متأثراً بالزمن وحرارة الشمس، وقد اجتمع الزمن والحرارة لأهل النار والعياذ بالله. (١)

وأما تناسبها مع موضوع السورة فمن جانبين؛ الجانب الأول: حديث السورة عن الضعفاء الذين بلغوا الغاية في الضعف والذين يحتاجون حقوقهم، ووصف الحالة التي وصل إليها النساء والولدان واليتامى من الاستضعاف، والجانب الثاني حديث عن قدرة المنهج القرآني في التعامل مع هؤلاء الضعفاء وسد حاجاتهم الذي بلغ الغاية في الاستيعاب ورفي التعامل والعلاج، مما من شأنه أن يرد الحقوق إلى أصحابها. (٢)

ليبطئن: وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ ﴾ (النساء ٧٢) وهي "من البطء وهو تأخر الانبعاث في السير يقال بطؤ وتباطأ واستبطأ وأبطأ، وقيل يكثر التثبط في نفسه. والمقصد من ذلك أن منكم من يتأخر ويؤخر غيره". (٣) وقد تناسبت اللفظة مع موضوع السورة الذي يتحدث عن الجهاد وحركة النفير ﴿ فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴾ (النساء ٧١) وهي الإسراع في تلبية النداء دون تردد أو وجل أو مراوغة نفس، وفي مقابل هذا تصف حال حركة المنافقين بالبطء والتي هي ضد السرعة، ويعبر عن البطء كعلامة ضعف جسدي، لكنها جاءت هنا تعبر عن ضعف نفسي داخل المنافق الذي يضعف نفسه ويضعف غيره. ضعف يؤدي إلى الجبن والخور، والتقاعس عن حماية الأمة.

(١) محمد جبل، المعجم المؤصل، بتصرف ص ٢٢١٣

(٢) قد يظهر للقارئ أن السياق الذي ورد فيه اللفظ بعيد عن هذين المعنيين والمقصود هو تناسب اللفظة مع موضوع السورة بشكل عام

وليس مع سياق الآية بشكل خاص.

(٣) الراغب، المفردات، مادة بطء

وتمتاز هذه اللفظة كغيرها من المفردات القرآنية: "بجمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى".^(١)

كما أن هذه المفردة في دلالة صوتها إثبات لنظرية "جرس المفردات القرآنية يوحى بمعناها قبل أن يوحى مدلولها اللغوي عليه"^(٢) بحيث تدرك أن صورة التبطئة أدتها كلمة (ليبطن) بجرسها إضافة إلى ما أدته النونات في الكلمتين السابقتين من تأكيد لهذا الجرس الخاص^(٣) والذي أوحى بالثقل والتأخير والتعويق ووصف المنافقين الذين يؤخرون غيرهم عن الجهاد والقتال لكرههم له ولخوفهم على أنفسهم من الموت، حيث يقول محمد رشيد رضا: "وإن منكم لمن ليبطنن) كلام مستأنف مسوق لخطاب جميع المسلمين وفيهم المنافق وضعيف الإيمان".^(٤)

وجمهور المفسرين على أن المبطنين هم المنافقون. وترجح الباحثة كلام صاحب المنار لأن المنافق يكره الجهاد أصلاً، وضعيف الإيمان يخشى الموت خوفاً أو جبناً، وعلى ذلك فإن النص يتسع فيشمل المنافقين الذين دأبهم التبطئة عن الجهاد والتثاقل عن ركه، ويتسع ليشمل ضعفاء الإيمان الذين رق دينهم^(٥) وفي هذا تناسب واضح أيضاً بين اللفظة وموضوع السورة. وفيها وصف دقيق لحالة نفسية تتبع منها حركات وتصرفات، والتعبير من الوجهة البلاغية دقيق التصوير لعملية الإبطاء، فلو قال حتى مع التوكيد وإن منكم لمن يبطئ لتغيرت الصورة وتغير وقعها في الحس إلى حد كبير لأن التعبير يصبح أسرع كثيراً من وصفه في النص".^(٦)

(١) أمين، بكري شيخ، التعبير الفني في القرآن، ط٧ (٢٠٠٤)، دار العلم للملايين، لبنان، ص١٨٥

(٢) أمين، بكري شيخ، التعبير الفني في القرآن، ص١٨٦

(٣) أمين، بكري شيخ، التعبير الفني في القرآن، ص١٨٥ وأريد أن أعلق هنا على ما ذكره الدكتور بكري على أهمية الدلالة الصوتية وإعجازها في القرآن على عكس ما ذكره إبراهيم أنيس في دلالة الألفاظ بأنه آلية ووسيلة يرجو المتكلم عن طريقها إيصال ما يهدف من فهم وإفهام وللتوسع ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط٢ (١٩٦٣) مكتبة الأنجلو المصرية، ص٤٩ وما بعدها وينظر الراجعي، مصطفى صادق (ت ١٣٥٦هـ) تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ج٢، ص١٤٠، واحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص٢٨٩ وما بعدها

(٤) محمد رشيد رضا، المنار، ج٥، ص٢٥٤

(٥) الخنين، ناصر عبد الرحمن بن ناصر، النظم القرآني في آيات الجهاد، ط١ (١٤١٦ - ١٩٩٦)، مكتبة التوبة، الرياض، ص٥٢

(٦) محمد قطب، دراسات قرآنية، ط٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، دار الشروق - بيروت - لبنان، ص٤٤٤

أذاعوا / يستنبطونه : وردت اللفظتان في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ أذَاعُوا

بِهِ وَوَرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ النساء: ٨٣.﴾

والمعنى المحوري للفظة أذاعوا: "إذهاب الشيء كله متفرقاً هنا وهنا بحيث لا يسترجع".^(١) والفرقة والتفرقة ضعف وخور وهذا يناسب موضوع السورة. أما يستنبطونه: "أي يستخرجونه منهم والنبط هو الماء المستنبت"^(٢) وكل ما أظهر فقد أنبط والمعنى المحوري لها: نبع لطيف نابع من باطن شيء وأثنائه بجهد".^(٣) ومعنى الآية: علم بتدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه أي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاريتهم ومعرفتهم بأمر الحرب ومكايدها. بدلاً من إفشاء ما سمعوا فتصل أخبار ما أفشو إلى الأعداء فيستغلونه ضد مصلحة الدولة فيعد ذلك مفسدة كبيرة.^(٤)

إذن فإن تراكيب هذا الأصل(نبط) يدل على تتبع أو خروج شيء لطيف من الباطن بعد جهد، وهذا يناسب سياق الآية أولاً لأنها أرادت الإسرار والتلطف في الأمور، وهذه المعاني موجودة في كلمة يستنبطون وفيها مناسبة للعدل العام في السورة بجعل حل الأمور الكبرى والمسائل العظمى مختصاً بأصحاب العقول والحكماء لا أن يكون حديث العوام كما هو الحال الآن. والعدل يحتاج للوصول إلى الحقيقة والحقيقة تحتاج إلى دراسة وتحليل واستنباط، وبهذا تكون قد تناسبت اللفظة مع موضوع السورة.

(١) محمد جبل، المعجم المؤصل، مادة ذيع ص ٧١٣
 (٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة نبط
 (٣) محمد جبل، المعجم المؤصل، مادة نبط
 (٤) أبو حيان، البحر المحيط (بتصرف)، ج ٣، ص ٧٦٧

فليبتكن: وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَبْتِكُنَّ إِذَا كُنَّ الْأُنثَىٰ﴾ (النساء ١١٩) "البتك يقارب

البت لكن البتك يستعمل في قطع الأعضاء والشعر". (١)

والمعنى المحوري لها: "القطع بدقة وحدة كانقطاع الشعر والأطراف الدقيقة" (٢) ومن مترادفاتهما الننف والقلع للشيء الدقيق، وجاءت هذه الآية تتحدث عن دور الشيطان في إفساد الصف المسلم أفراداً وجماعات في قوله تعالى ﴿وَقَالَكَ لَا أَخَذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء ١١٨) فإنه يزين المعاصي والشهوات ويعدهم بالأمنيات الكاذبة ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء ١٢٠) وكل ذلك لتعطيل شرع الله، وتقطيع الصلوات بين الله وخلقه، وعدم إعطاء الحقوق إلى أصحابها، بتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل، وعدم الاحتكام إلى شريعة الله، كل ذلك فيه وسيلة لتقطيع الصلوات؛ فالظلم قطع وضعف والعدل قوة، واتباع الشيطان قطع وضعف واتباع المنهج قوة، فناسبت لفظة البتك بذلك موضوعات السورة.

المطلب الثاني: تناسب الألفاظ التي اشتق من جذرها سواها مع محور السورة.

من المفردات التي وردت في السورة وتفردت فيها واشتق من جذرها سواها:

- ألفاظ تعلقت بالنساء وأحكامهن وأحكام الأسرة مثل: معلقة، تعولوا، نشوزهن، مضاجع، ربائبكم، اهجروهن، فعظوهن، قوامون، العنت، طاب، طين، مريئاً، صدقاتهن، نحلة، كلاله، ضعافاً، طولاً.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة بتك

(٢) محمد جبل، المعجم المؤصل، ص ٦٩

- أَلْفَاظٌ تَعَلَّقَتْ بِالْمُنَافِقِينَ مِثْلَ: شَجَرَ، أَرْكَسَهُمْ، أَرْكَسُوا، يَسْتَخْفُونَ، تَلَوُوا، لِيَا^(١)، مَذْبُذِبِينَ، دَرَكٌ، بَيَّتَ.

- أَلْفَاظٌ تَعَلَّقَتْ بِأَحْكَامِ الْجِهَادِ مِثْلَ: ثُبَاتٌ، تَقْصِرُوا.

- أَلْفَاظٌ جَاءَتْ بِخُصُوصِ سَيِّدِنَا عِيسَى مِثْلَ: يَسْتَكْفُفُ، صَلْبُوهُ.

وَسَيُؤْتَلَقُ عَلَى تَنَاسُبِهَا مَعَ مَوْضُوعِ السُّورَةِ بِبَعْضِ أَلْفَاظِهَا:

ضِعْفًا: لَمْ تَرِدْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ إِلَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا

مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ (النساء: ٩)، وَقَدْ جَاءَتْ عَلَى وَزْنِ (فِعَالٍ) الَّذِي يَعْنِي الْاِسْتِمَال

وَالِاحْتَوَاءَ.^(٢) وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَنَاسُبِهَا مَعَ مَحْوَرِ السُّورَةِ، بِمَعْنَى أَنَّ الضَّعْفَ بِحَاجَةِ مَاسَةٍ إِلَى مَنْ

يُرَاعَاهُمْ وَيَحْتَوِيهِمْ وَيَشْمَلُهُمْ بِرِعَايَتِهِ فَإِنَّ اللَّفْظَةَ مَعَ حَرَكَةِ الْكَسْرِ الْوَاقِعَةَ عَلَى الْحَرْفِ الْأَوَّلِ، أَظْهَرَتْ

شِدَّةَ الضَّعْفِ وَالْحَاجَةَ، وَكَأَنَّ الضَّعْفَ يُلْفَهُمْ وَيَشْمَلُهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ وَالِاتِّجَاهَاتِ كَالْغَطَاءِ

وَاللِّحَافِ. وَقَدْ جَاءَتْ فِي سِيَاقِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْوَصْفِ لَا عَلَى الْكَمِّ كَوْنِهَا مِنْ صَيَغِ الْجُمُوعِ.

صَدَقَاتُهُنَّ نَحْلَةً: وَرَدَّتِ اللَّفْظَتَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ

نَقَسًا فَكُلُوهُ هَيْسًا مَرِيئًا﴾ (النساء: ٤). وَالنَّحْلَةُ هِيَ: "مَا يُعْطَى مِنْ مَهْرِ الْبِنْتِ".^(٣)

وَتَقَابَلَتْ كَلِمَةُ الصَّدَاقِ (الْمَهْرُ - الْأَجْرُ) وَيَقَابَلُ كَلِمَةَ نَحْلَةٍ (عَطِيَّةٌ وَتَمْلِيكٌ) وَاخْتِيَارَ اللَّفْظَيْنِ اِهْتِمَامٌ

بِنَفْسِيَّةِ النِّسَاءِ فَالصَّدَاقُ مِنَ الصِّدْقِ لَا مِنَ الصَّدَقَةِ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى صَدَقِ مَشَاعِرِ الْمُعْطِي وَصَدَقِ

نِيَّتِهِ فِي الزَّوْاجِ.^(٤) وَفِي دَلَالَةِ كَلِمَةِ نَحْلَةٍ أَيِ النَّحْلَةِ الَّتِي تَحْوِزُ الْعَسْلَ وَتُعْطِينَا إِيَّاهُ، أَوْ كَمَا فِي

(١) كَلِمَةُ اللَّيِّ وَاسْتِنْفَاقَاتِهَا (تَلَوْنَ) فِي آلِ عِمْرَانَ آيَةِ ١٥٣ وَ (لَوُوا) فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ آيَةِ (٥) وَكُلُّهَا جَاءَتْ فِي مَعْرُضِ الْحَدِيثِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ

(٢) السَّامِرَائِيُّ، مَعَانِي الْأُبْنِيَّةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، ط٢ (١٤٢٨-٢٠٠٧) دَارُ عِمَارٍ، ص ١١٠

(٣) الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ، الْمَفْرَدَاتُ، مَادَّةُ نَحْلٍ

(٤) مُحَمَّدُ جَبَلٌ، الْمَعْجَمُ الْمُؤَصَّلُ، مَادَّةُ صَدَقٍ بِتَصْرِفٍ

اعتقادنا الصادق القوي بملة من الملل. (١) فقد أضافت بعداً لا تحتويه كلمة عطية أو كلمة تملك حيث دلت على طيب نفس الزوج بدفع هذا المهر الذي هو حق لها، وهذا يناسب قوله تعالى في موضع آخر: ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (النساء: ٤) فكل السورة تدور حول التآلف والتصالح والمودة فناسبت هذه الألفاظ هذه السورة في إصلاح المجتمع الذي سيبدأ من امرأة طيبة ولن يصلح المجتمع إلا الطيب والحب والمودة. (٢)

الكلالة: وردت اللفظة في قوله تعالى (٣): ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧٦ ، وقد اختلف العلماء في معنى الكلالة فقال جمهور اللغويين إنه الميت الذي لا ولد له ولا والد وقيل هو من لا يرثه أب ولا أم وعلى هذه الأقوال كلها فالكلالة واقعة على الميت وقيل الكلالة الورثة ما عدا الأبوين والولد لأن الميت بذهاب الوالدين تكلله الورثة أي يحيطون به من جميع نواحيه ... ومدلوله إلحاق شيء بشيء وإحاطته به وذلك أنه لم يترك ولداً ولا والداً فقد انقطع. (٤) وفي هذا الانقطاع ضعف يناسب الموضوع العام في السورة فالكلالة متجمع على نفسه لأنه لا أهل له يجتمع بهم، وقد فقد امتداده حين فقد ما علاه وما استقل منه.

مذبذبين: وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (النساء ١٤٣) وهي "من ذب والذبذبة حكاية صوت الحركة للشيء المعلق ثم استعير لكل اضطراب وحركة أي مضطربين مائلين تارة إلى المؤمنين وتارة إلى الكافرين". (٥) "والمذبذب

(١) محمد جبل، المعجم المؤصل، مادة نحل بتصريف

(٢) ينظر مادة أفضى فيما سبق

(٣) وردت اللفظة أيضاً في الآية ١٢ من السورة

(٤) الشبلي، نهلة زهدي (٢٠٠٣)، الألفاظ الاجتماعية في سورة النساء (دراسة تأصيلية صرفية دلالية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب،

جامعة اليرموك - الأردن، ص ٤٤

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة ذب

هو المتردد بين أمرين أو بين رجلين لا تثبت صحبته لواحد منهما والمعنى المحوري له: المطاوعة حيث اختلف مساره ذهاباً وجيئاً، ولم يستو على اتجاه كأنه يُدفع إلى هنا ثم إلى هنا".^(١)

ويذكر سيد قطب عند تفسيره لهذه الآية وتناسبها لكلمة الدرك الأسفل من النار فقال: "مصير يتفق مع ثقل الأرض التي تلتصقهم بالتراب، فلا ينطلقون ولا يرتفعون ثقله المطامع والرغائب والحرص والحذر والضعف والخور، الثقل التي تهبط بهم إلى موالاة الكافرين ومداراة المؤمنين والوقوف في الحياة ذلك الموقف المهين في الدرك الأسفل من النار، فأنى ينصرهم الكفار وقد كانوا يوالوهم"^(٢)

فهذه الآية تتحدث عن المنافقين، والمنافق يسير على غير هدى لأنه متردد فهو لا يوالي شخصاً بعينه، وبالتالي فهو في ضعف وحيرة في أمره فلا يوجد ما يستند ويرجع إليه في أمره فناسب استخدام هذه اللفظة مع هذه الفئة. أما تناسبها مع موضوع السورة فيرتبط مع حالة الضعف وهي حالة غير مستقرة في المجتمع، فنتيجة الضعف النفسي أو الفكري أو العاطفي عدم استقرار وعدم سوية في الشخصية، والذبذبة هي عدم الاستقرار على حال وبذلك يضعف المجتمع ويتخلخل فحذر من هذا، وتوعد هذه الطائفة بالدرك الأسفل الذي هو أشد العذاب والعياذ بالله، كما أن دلالتها الصوتية التي أوحى بتردد هؤلاء المنافقين والمرض الذي في قلوبهم ناسبت موضوع السورة ومحورها.

أركسهم - أركسوا : وردت اللفظتان في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٨٨) ، وفي قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِنُصْرَتِكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رَدُّوهُ إِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ (النساء: ٩١) يعاتب الله تعالى بهذه الآية المسلمين على اختلافهم في شأن طائفة من المنافقين كانوا يظهرون أولاً

(١) محمد جبل، المعجم المؤصل، ص ٦٩٩

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ٧٨٥

إسلامهم، ثم لحقوا بالمشركين حينما وجدوا الفرصة، فالقرآن ينكر على المسلمين أن يختلفوا في أمر قوم ردهم الله إلى الكفر، فلا ينبغي أن يحزنوا على فراق هذه الفئات الضالة. والمراد من كلمة أركسهم أي ردهم واختار هذه الكلمة على الرد؛ لأنها توحى في ذهن السامع المعاني من قلب الشيء على رأسه وشد الدابة إلى ما تربط إليه، والشيء الرجس وصورة البناء المتهدم الذي لا يمسكه إلا الترميم، وحينئذ يتصورهم السامع في كل هذه الصور، أو في صورة منها مناسبة للسياق في الحديث عن المنافقين ووصف ضعفهم الإيماني، والتي تبرزهم في صورة ساخرة مهينة ولا ينهض بهذا الوصف غير هذه اللفظة.^(١)

فانظر كيف تلاهمت الألفاظ التي تخص المنافقين معاً والتي تخص الأسرة والإصلاح معاً، ويمكن تطبيق ذلك على باقي المفردات في القرآن بالرجوع إلى المعنى اللغوي والمعنى المحوري للفظه ومن ثم تناسبها مع سياق السورة وموضوعها.

وبقي التنبيه على "أن القرآن يراعي في اختيار اللفظ روح السورة العام، ويراعي في ذلك الاختيار نسق الكلام وسياقه القريب، فقد يعبر عن المعنى الواحد أو الشيء الواحد بلفظ في موضع ونراه في موضع آخر يعبر عنه بلفظ غيره"^(٢) وقد أشار البقاعي إلى ذلك في مقدمة تفسيره عند حديثه عن الخصائص اللغوية التي نلمسها على صعيد المفردة القرآنية، ومنها مراعاتها لمقام السياق مبينا أن الألفاظ الواردة تختلف بحسب أغراضها لاختلاف سياقها.^(٣)

(١) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة ركس، وينظر: لاشين، عبدالفتاح، من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة،

١٤٠٣-١٩٨٣، دار المريخ، الرياض، ص ١١١

(٢) أبو زيد، التناسب البياني، ص ١٨٢

(٣) البقاعي، نظم الدرر، ج ١، ص ٥

ومن أمثلة هذا قوله تعالى في سورة النساء كلمة خير في الآية ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ

سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا﴾ النساء: ١٤٩ ، بينما تجد كلمة شيء في سورة الأحزاب في قوله تعالى:

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٤).

وذكر ابن الزبير الغرناطي في توجيه ذلك الاختلاف مع النظر إلى روح السورة والمحور والهدف الذي تدور حوله؛ فأشار إلى أن قوله في سورة النساء (إن تبدوا خيرا) "مقصود به خصوص طرف الخير وعمل البر جرياً على ما دارت عليه السورة، وتردد فيها من إصلاح ذات البين والندب إلى العفو والتجاوز عن السيئات". (١)

أما سورة الأحزاب فمقصود بها كما ذكر ابن الزبير ما يعم طرفي الخير والشر، واستدل على ذلك بما تقدمها في سياق السورة ومن ذكر المنافقين وسوء مرتكبهم في قصة الأحزاب، فحذر الله المؤمنين من مرتكبات المنافقين وأعلمهم أنه تعالى لا يخفى عليه شيء. (٢)

"إذن لكل سورة هدف خاص ومقصد محدد وشخصية متفردة، والمعاني الجزئية والوحدات الصغرى وأساليب التعبير ومفردات التراكيب تتجه كلها لخدمة هدف السورة وتتأثر في صياغتها بروحها" (٣) وهذا ما وُجد من خلال الكشف عن التناسب بين مفردات السورة وموضوعها والذي ظهرت من خلاله شخصيتها المتفردة عن غيرها من السور القرآنية .

(١) ينظر: الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٢٠هـ)، درة التنزيل وغرة التأويل، ط ١ (١٤٢٢ هـ) -

(٢٠٠١) تحقيق: محمد مصطفى آيدين جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث

العلمية، مكة المكرمة، ج ١، ص ٤٢٦

(٢) ينظر: المرجع نفسه

(٣) أبو زيد، التناسب البياني، ص ٢٣٦

المبحث الثاني: تناسب الأساليب البيانية مع محور السورة

ليس الهدف من دراسة الأسلوب البياني هنا دراسة الأساليب الواردة في سورة النساء جميعها مع موضوعاتها وتكراراتها، وإنما ستتم الدراسة للأساليب وعلاقتها بإبراز المناسبات بين الآيات من جهة ومحور السورة من جهة أخرى، وقدرتها على تحقيق المعنى.

ولا شك أن أساليب البيان وضروب البلاغة المختلفة تساعد في الكشف عن واقع المناسبات بين آيات السورة وموضوعاتها، إن لم تكن هي المفتاح ذاته، حيث إن القرآن لا يدرك فهمه إلا بفهم أساليبه وبيان إعجازه وإظهار المناسبات بين آياته.

"وقد عرف البيانيون بدورهم قيمة مبدأ التناسب في حسن البيان، وجعلوه من شروط فصاحة الكلام وقواعد بلاغته، غير أن تصورهم لمفهومه وحقيقته وحدوده مختلف".^(١)

"وكان يجب أن يكون هذا العلم جزءاً من مباحث إعجاز القرآن ودعامة من دعائم التفسير؛ لأن إظهار الإعجاز في البيان القرآني لا يتم بدراسة الصور البيانية والأساليب البديعية الجزئية، ولا بد من دراسة أحوال التراكيب في حدود الجمل وحدها وإنما يظهر ذلك كله في سياق وحدة السور وارتباط الآيات وتناسب معانيها".^(٢)

وقد كثر الحديث عن البلاغة القرآنية والاهتمام بالألفاظ والجمل القرآنية دونما ربط مع محور السورة مقتصرين في ذلك بالحديث عن الأغراض البلاغية التي أتت من أجلها هذه الحالة، وهذا المطلب سيوضح مناسبة هذه الأغراض والأساليب مع موضوعات السورة، راجية أن يسهم ذلك في شق مسلك جديد، ومن الله التوفيق.

(١) أبو زيد، التناسب البياني، ص ١٨

(٢) أبو زيد، التناسب البياني، ص ٣٦

المطلب الأول: تناسب أسلوب الإنشاء الطلبي مع محور السورة

قد يظن أحدهم أن هذه السورة التي ملئت بالأحكام والتنظيمات والقوانين قد يميل أسلوبها إلى أسلوب واحد جامد، لكن التأمل في آياتها يدل على عظمة الأساليب التي وردت فيها لتعزز محورها ومقاصدها فما أن تقرأ آية وردت بأسلوب الاستفهام تجد نفسك وقد انتقلت إلى آية تحمل أسلوب الأمر، أو أن الآيات تنتقل بك من أسلوب خبري إلى آخر أنشائي، أو أن يقرن الخبر بالاستفهام تارة وبالشرط تارة أخرى وهكذا.

وسيعرض هذا المطلب بعض هذه الأساليب وتنوعها في السورة على النحو الآتي:

أولاً: تناسب أسلوب النداء وإتباعه بالأوامر والنواهي. تمثل هذا الأسلوب في كثير من الآيات ومنها:

- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ (النساء: ١) : أسلوب النداء
- ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء: ٢) : أسلوب الأمر
- ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾ (النساء: ٢) : أسلوب النهي
- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ (النساء: ٢) : أسلوب النهي
- ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء: ٤) : أسلوب الأمر

أمر الله سبحانه وتعالى بتقواه، ومن ثم وضح ماذا يترتب على هذه التقوى من اتباع للأوامر واجتناب للنواهي، فإنها منطلق التقوى وسبب في تحصيلها، فجاء بأسلوب النداء لاستفزاز وتنبيه المنادون، ومن ثم قال بعدها (وأتوا اليتامى) حيث أتبعها بأمر آخر، ومن ثم أتبع الأمر بالنهي في قوله (ولا تبدلوا، ولا تأكلوا)، من ثم أتبع النهي بالأمر (وأتوا النساء). فلو تأمل القارئ في صيغ الأمر والنواهي هنا وجد أنها جاءت تحمل معنى الوجوب، "فالأمر طلب الفعل على جهة

الاستعلاء" (١) والنهي "هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وله صيغة واحدة وهي المضارع مع (لا الناهية) التي تقتضي الفور". (٢)

أما تناسب هذه الأساليب مع محور السورة فذلك "أن الأمر في وجوب التقوى صلاح للدين والدنيا، وعندما يأتي من جهة الله سبحانه وتعالى يتبع هذا التعظيم والتبجيل والامتثال التام بنفس راضية مطمئنة، خاصةً وقد اشتملت الآيات على مسوغات الوجوب؛ صيانة حق الضعيفين المرأة واليتيم، وكعادة الأسلوب القرآني الذي يخاطب النفوس والعقول ليصل إلى حد الانقياد والطاعة بنفس مطمئنة واستسلام تام" (٣) فيتحقق بذلك صلاح المجتمع بصلاح أفرادهم وتقواهم.

ثم إن إتباع الأمر بالنهي وبالعكس؛ فيه تربية للنفوس التواقة لتمثل الخير. فمن رسخت التقوى في قلبه وامتلأ أوامر ربه يترفع تلقائياً عن الظلم والتقصير في حق الله وحق خلقه، وسيصبح منقاداً إلى تحقيق العدل المتمثل في الأوامر، واجتناب الظلم المتمثل في النواهي.

ثم إن إتباع النهي بالأمر يوجد البديل المرضي للعقل والفطرة، فلا يترك الإنسان حائراً في الطريق الذي يسلكه بعد إذ انتهى.

ثانياً: تناسب أسلوب الخبر وإتباعه بالنواهي. تمثلت هذه الأساليب في كثير من الآيات ومنها:

- ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ﴾ (النساء: ١٢٨) : إنشاء غير طلبي (أسلوب الشرط)

- ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (النساء: ١٢٩) : أسلوب الخبر

- ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ (النساء: ١٢٩) : أسلوب النهي

- ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعْنِ﴾ (النساء: ١٣٠) : أسلوب الشرط

(١) فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٤٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٤

(٣) البناني ، خديجة محمد أحمد ، (٢٠٠٩)، سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية ، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى ، المملكة العربية

السعودية، ص ٥٣

تتوعد الأساليب في هذه الآيات فبعد أن بين عدم القدرة على العدل بين الزوجات نهى عن الميل، ثم أوجد البديل مع عدم القدرة على الاستمرار في الإبقاء على أكثر من زوجة باستخدام أسلوب الشرط (وإن يتفرقا)، وهذا النهي عن الميل جاء على سبيل الإرشاد "لأن الميل عمل قلبي من المحال أن يقدر الإنسان على العدل فيه" (١). فقد قال رسول الله ﷺ: "اللهم هذا قَسَمِي، فيما أملكُ فلا تُلْمِنِي، فيما تملكُ، ولا أملكُ" (٢). ويلحظ من تنوع الأساليب هنا تنوع الأساليب التربوية في إيجاد الحلول للمشكلات التي تقع في الأسرة، فالشرع الحكيم لم يأمر وينهى عبثاً بل جاء واقعياً في حلوه وينظر نظرةً شمولية في حاجات الخلق، ويعلم ما يصلح لهم في كل مكان وزمان، وينطلق في التربية من طبيعة النفس ونوازعها وما تستطيع وما لا تستطيع، فهو يعلم ما يناسب من خلق. فجاءت تحقق المحور الذي تدور حوله السورة من تنظيم للمجتمع المسلم على أساس من العدل والتكافل وتطهير المجتمع من رواسب الجاهلية.

وجاء على مثل هذه الأساليب أيضاً في نفس الآية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مِيزَانٌ عُقُوبَةٍ وَمَا تُؤْتُونَهُ مَكْثُومًا وَلَا تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ٢٠ - ٢١) فقد اجتمع في هاتين الآيتين أسلوب الشرط وجوابه والنهي والاستفهام. أي إن أردتم استبدال زوجاتكم بغيرهن كأن وصلت الحياة بينكم إلى طريق مسدود وكنتم قد آتيتم الزوجة المستبدلة قنطاراً، فلا تأخذوا منه شيئاً وإياكم أن تأخذوا ما دفعتموه مهراً للزوجة الأولى بعد طلاقها، ثم يبهر هذا النهي باستفهام يفيد الإقناع بقوله (وكيف تأخذونه).

(١) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٢٤٠، بتصرف

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب: في القسم بين النساء، ح (٢١٣٤)، ج ٢، ص ٢٤٢، والحديث ضعفه الألباني

ثم يأتي أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَيَبْنَعُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٩)

حيث جاء "إنكارٌ لرأيهم وإبطالٌ له وبيان لخبيبة رجائهم وقطع أطماعهم الفارغة".^(١)

وفي أسلوب النهي الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ

بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (النساء: ١٤٠) تنبيه تربوي على عدم مصاحبة

المنافقين والجلوس معهم خوفاً على إيمان المؤمنين "فإن للأخلاق عدوى"^(٢) وفي هذا إرشاد

وتنبيه المجتمع المسلم إلى عدم الاختلاط مع المنافق لما له من أكبر الأثر على هدم الصف

المسلم وخلخلة قواعده وتردد حالتهم المتذبذبة بين الإيمان والكفر.

رابعاً: تناسب أسلوب النداء مع الأمر.

كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النساء: ١٣٦)، هذه الآية وصف

للمخاطبين بأنهم آمنوا، وأردفه بأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسوله وكتبه، وهذا يرشد السامع إلى أن

طلب الإيمان ليس على حقيقته بل خرج إلى معنى الثبات، وهذا من شواهد استعمال صيغة

الأمر في طلب الدوام. وقد توسطت هذه الآية آياتٍ تحدثت عن الكفر والنفاق؛ فأرادت أن

تخبر كيف يكون الخلل في إيمانهم "وقد جاءت عقب أمر المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالقسط

فأمرهم الله تعالى عقب ذلك بما هو جامع لمعاني القيام بالقسط والشهادة لله بأن يؤمنوا بالله

ورسله وكتبه وبادوموا على إيمانهم ويحذروا مسارب ما يخل بذلك".^(٣)

(١) أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج ٢، ص ٢٤٤

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٢٣٥

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٢٢٩

خامساً: التناسب بين أسلوب الخبر والخبر.

جاء أسلوب الإخبار في السورة كثيراً، وذلك لأن الأمور العقديّة لا تحتل إلا الإخبار؛ لأن العبرة منهم أبلغ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٧٢) فأما الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٧٣) فهذه الآيات جاءت لتبرئة المسيح من الاتهامات الباطلة التي افترها أهل الكتاب على سيدنا عيسى عليه السلام ضمن الحديث عن أهل الكتاب. وحتى يتضح للإنسان آثار الظلم في الدنيا والآخرة وأثار العدل في الدنيا والآخرة، فلا بد من إيراد النموذج الذي لا يصل إلا بالخبر، كما أن قوله تعالى: (فأما الذين آمنوا، فبإيمانهم أجورهم، وأما الذين استنكفوا، فيعذبهم عذاباً) يناسب العمل مع الجزاء.

ومن ذلك قوله تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٥١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ؕ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٥٢) جاءت تقابل أخباراً أخرى في قوله: ﴿فِي ظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ (النساء: ١٦٠)، ﴿وَآخِذْهُمْ بِالرِّبَا﴾ (النساء: ١٦١)، ﴿لَنْ كِنِ الرَّاسِخُونَ﴾ (النساء: ١٦٢)، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (النساء: ١٦٣)، فالمقابلة في الأخبار من باب الإنصاف في توضيح حال أهل الكتاب وعلاقة المسلمين بهم، وفيها إخبار وسرد بحال أهل الكتاب وأحوالهم مع أنبيائهم وما يؤول إليه مصيرهم فجاءت متناسبة مع ذكر حال المؤمنين وما يتعرضون إليه من العدا

الداخلي المتمثل في المنافقين من جهة، وأهل الكتاب الذين يقيمون معهم في مدينة رسول الله من جهة أخرى.

وهذا كله وإن كان منطبقاً على زمن نزول السورة إلا أنه لا يخلو منه زمان، فإن أهل الكتاب والنصارى لا يزالون يشكلون صفاً معادياً للإسلام وأهله، وكذا المنافقون فإنهم سوسة تنخر في جسم الكيان المسلم وتشرذم الصف؛ لذا جاء القرآن في هذه السورة العظيمة بما أخبر عن هؤلاء وأولئك (أهل الكتاب والمنافقين)؛ ليبين للمسلمين طبيعة نفسياتهم وواقع تاريخهم المليء بالعداوة للحق وهذا لا يكون إلا بالإخبار.

سادساً: التناسب بين النداء والنهي والاستفهام.

جمعت هذه الأساليب في آية واحدة كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْيَدُونَ أَنْ جَعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۗ﴾ (النساء: ١٤٤) حيث جاءت بأسلوب النداء الذي هو للتنبيه وأسلوب النهي عن موالات الكفار صراحة للتحويل من أمره واستنكاره والاستفهام للتفكير لما فيه ضرر شنيع على الإسلام ومسخ هوية المسلم. (١)

كانت هذه الأمثلة إشارات سريعة خاطفة يحتاج كل مثال فيها إلى دراسة تفصيلية لكن المقام لا يتسع لذلك، فإن تعاقب أساليب البيان وانتشارها يدل على أن تلك السورة نهضت بالفرد والمجتمع بما يتناسب مع فطرته وعقله وما يمكن أن يحفزّه على الأداء والعمل، فعندما يستفهم الإنسان فلا بد من إجابة تقنعه، وعندما يأمر الشارع بأمر ما فلا بد من مصلحة وتعليل لهذا الأمر، وعندما ينهى عن شيء فلا بد من الإتيان بالبديل وهكذا. فكلها جاءت بأساليب تربية نفسية عالمة بطبيعة النفس البشرية ولا يأتي هذا إلا من لدن عليم خبير ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

(١) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج٢، ص ٢٤٦ بتصرف

المطلب الثاني: تناسب أساليب الخبر مع محور السورة

لم تكن أساليب الخبر والإنشاء هي وحدها التي جاء عليها القرآن فحسب، بل هناك الأساليب الأخرى التي تظهر إعجازه وتناسب آياته في كل صورة من صورها، كالتقديم والتأخير والحذف والذكر والفصل والوصل. وسيأتي في هذا المطلب ذكر بعض الأمثلة عن التقديم والتأخير وتناسبها مع محور السورة . ومن ذلك:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِأَنَّ يُقْتَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ٩٢) ،

في هذه الآية تم تقديم المسند (المؤمن) على المسند إليه "فمن شأن المؤمن أن تنتفي عنه وجوه قتل المؤمن ابتداءً ألبتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد ... وتتضمن الآية على هذا إعظام العهد وبشاعة شأنه".^(١) "والسياق القرآني يستبعد وقوع هذا ابتداءً فليس من شأنها أن تقع وليس في هذه الحياة الدنيا كلها ما يساوي دم مسلم يريقه مسلم عمداً، فهذه العلاقة التي أنشأها الإسلام بين المسلم والمسلم من المتانة والعمق والضخامة والغلاوة والاعتزاز، بحيث لا يفترض الإسلام أن تخدش هذا الخدش الخطير أبداً".^(٢) لأن هذه السورة قائمة على جو من التعاطف والتسامح والمحبة والمودة في المجتمع الإسلامي التي أقرتها الآية الأولى من هذه السورة التي تُذَكِّرُ الإنسان

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص١٩

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٧٣٥

بأنه خلق من نفس واحدة في قوله تعالى: ﴿ أَتَقُولُوا لِلَّهِ عَلَىٰ آلِهِ خَلْقٌ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (النساء: ١) وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النساء: ٢٩)

المثال الثاني: اهتم بعض العلماء بالنظم البلاغي للآيات وربطها مع السياق القرآني لها في السورة

في بعض الآيات المتشابهة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾

(النساء: ١٣٥) وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ (المائدة:

٨)، فقد قدم القسط في الآية الأولى وأخرها في الآية الثانية. ويقول البقاعي: "ولما كان أعظم مباني

هذه السورة العدل قدمه فقال: {بالقسط} بخلاف ما يأتي في المائدة فإن النظر فيها إلى الوفاء الذي

إنما يكون بالنظر إلى الموقى له". (١)

وقال الدكتور فضل عباس رحمه الله في هذا: "إذا عرفنا أن آية المائدة نزلت في شأن العدل مع

أعداء الإسلام، وأن الأولى نزلت في شأن تحقيق العدل بين المسلمين؛ أدركنا سر النسق في

الآيتين الكريمتين فقدم العدل مع الأعداء بما يظن أنه من الأمور المستحسنة التي يتقرب بها إلى

الله، لذلك تقدمت فيه كلمة الله وليس كذلك الآية الأولى لأن القسط فيها هو الأهم". (٢) ، "كما أن

آية النساء مبنية على الأمر بالعدل والقسط فيقول قبل هذه الآية: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ

الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٣) ، وقال بعد ذلك:

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَوْتُونَهُنَّ مَا

كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ

اللَّهُ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٢٧) ، وتوالت الآي بعد ذلك في تأكيد هذا المعنى فقدم القسط ليناسب ما

(١) البقاعي، نظم الدرر، ج ٥ ، ص ١٣٤

(٢) فضل عباس ، إعجاز القرآن الكريم، ط ٦ (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦)، دار الفرقان للنشر ، ص ٢١١

ذكر، أما المائدة فقد ذكر قبلها الأمر بالطهارة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (المائدة: ٦) والآية التالية ذكرهم بنعمة الله وأمرهم بتقواه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: ٧) فناسب تقديم قوامين لله على القسط وظهر بذلك وضع كل كلمة في محلها". (١)

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤) ، حيث ذكر الأستاذ محمد قطب لفظة رائعة في تقديم القتل على الغلبة والنصر أحببت أن أورها هنا لبيان كيفية ربط الأسلوب البياني مع سياق السورة وموضوعها فيقول: "ثم يلفت نظرنا في الآية تقديم القتل على الغلبة والنصر، وكان المتوقع ما دام المقام مقام الاستحاثات والتشجيع أن يذكر النصر أولاً. ومن يقاتل في سبيل الله فيغلب ثم يؤخر ذكر القتل الذي تنفر منه النفوس قبل أن يملكها الإيمان الحق وتخلص كلها لله حتى لا يكون ذكره دافعاً إلى تردد من يتردد، ولكن التوجيه الرباني الحكيم يأتي على غير ذلك ويسبق ذكر القتل هنا بالذات على الغلبة والنصر، إنها التربية على الأفق الأعلى .. أفق العزيمة .. وأفق التجرد والخلوص لله، إنه لا يغري بالنصر لاستحاثات المتناقلين حتى إذا كانت الهزيمة من نصيب المسلمين نكص منهم من ينكص على عقبيه، إنما يضع المسألة في وضعها النفسي والتربوي الصحيح. إن المنطلق الحقيقي للقتال ينبغي أن يكون هو التجرد الكامل لله وبيع الحياة الدنيا كلها حتى بما فيها من رغبة النصر ورغبة التمكين في الأرض؛ لتشتري بها الحياة الأخرى ويشتري بها رضوان الله، وفي واقعية كاملة يقول الإسلام للذين يريهم إنكم ذاهبون للقتال في سبيل الله ومعرضون أن تموتوا هناك، وذلك أفعل في تربيتهم على الأفق الأعلى من ذكر النصر مسبقاً،

(١) لاشين ، صفاء الكلمة، ص ٢١٣-٢١٤

لتشجيع الهمم واستحثاث المتناقلين، فإن الذي يذهب ليموت لن يتغير موقفه حين يمن الله عليه بالنصر، ولكن الذي يذهب للنصر والغنيمة يتغير موقفه كثيراً حين تحدث الهزيمة^(١). وهذا كله يدل على أهمية الجهاد وبيان عظمة المجاهد الذي كان مقصداً مهماً من مقاصد السورة، وقد تناسب في ذلك مع محور السورة في الدفاع عن المستضعفين عن طريق الجهاد والحث عليه لنصرة المستضعفين.

"ومن ذلك يبدو أن القرآن مكون من ألفاظ مختارة دقيقة موحية، قد اتسقت في جملها واستقرت في مكانها، وكونت مع زميلاتها آيات تؤثر في نفس السامع بقوة نسجها وجمال موسيقاها، فُدم فيها ما فُدم، وأُخر فيها ما أُخر، وذكر فيها ما ذكر، وحذف ما حذف، واستعملت صيغة دون أخرى لاعتبارات نفسية دقيقة ... فكان النهج القرآني خير نهج يؤثر في النفس الإنسانية ويدفعها إلى العمل الصالح المثمر في أسلوب يدعو إلى التفكير الهادئ ويؤثر تأثيراً سريعاً وعنيفاً".^(٢)

(١) محمد قطب ، دراسات قرآنية، ص ٤٤٥

(٢) بدوي، أحمد أحمد، بلاغة القرآن ، ط٢، مكتبة نهضة مصر، ص٣٤٤ وممن اهتم بهذا النوع وسار على هذا النهج د. فاضل

السامرائي في كتابه أسئلة بيانية.

المبحث الثالث: تناسب فواصل الآيات (١) مع محور السورة

تأتي الفاصلة القرآنية لتحقيق أهدافاً عديدة ومقاصد جليلة لا تُحصى، "وهي ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم، وهي مما انفرد به القرآن عن النثر والشعر معاً، وتُعد من أبرز الخصائص التي جعلته نحواً جديداً من أنحاء البيان، وطريقاً فريداً من طرق التعبير". (٢)

وترى الباحثة في تعريف الفاصلة هنا: بأنها الجملة الأخيرة التي جاءت تعقب على ما قبلها من الآية وتلخص معناها أو تُتممه، ولا يقصد فيها معنى حرف الرُويّ الأخير؛ لأن هذا يعتني بالنظام الصوتي، أما هذا المبحث فيُعنى بالجانب المعنوي، وبمجموع هذه الفواصل وتكرارها وتناسبها مع المحور الرئيس من حيث تعزيره أو الدلالة عليه. وليس من غرض المبحث هنا بيان مناسبة كل فاصلة مع كل آية في السورة.

وسيقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ الأول يتحدث عن الفواصل المنتهية بأسماء الله تعالى، والثاني يتحدث عن الفواصل التي لم تنته بذلك، فجاءت بتعقيبات عامة. وسيدرس كل قسم من هذه الأقسام على حدة ليُعلم صلته بمحور السورة الرئيس.

المطلب الأول: تناسب الفواصل المنتهية بأسماء الله الحسنى مع محور السورة

امتازت سورة النساء بكثرة ورود أسماء الله تعالى وصفاته في خواتم آياتها، وقد تنوعت هذه الأسماء والصفات بحسب سياق الآي وموضوعاتها. وغلب فيها ختم التعقيب باسمين متجاورين متماتلين في الوزن الصرفي مثل: (عليماً حكيماً) وقد يختلفان في الوزن مثل (غفور رحيم) وقد يكون التعقيب بصفة إلهية واحدة مثل: (نصيراً) و(حسيباً).

(١) سبق البحث في دراسة تناسب كل آية مع فاصلتها ببعض الأمثلة عليها كما جاء في الفصل الثالث، ص ١٨١

(٢) أبو زيد، التناسب البياني، ص ٣٥١

وفيما يلي جدول يبين الآيات المنتهية بأسماء الله الحسنى وصفاته والصيغة التي جاءت بها للخروج منها ببعض النتائج:

جدول رقم (٣) : الفواصل التي جاءت بأسماء الله الحسنى وصفاته

الفواصل التي جاءت بأسماء الله المتجاورة	الفواصل التي جاءت بأسماء الله المفردة
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيَّكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴿٨٥﴾﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٨﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٦﴾﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٥﴾﴾	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾	﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾﴾	﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٦٦﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٥٧﴾﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾	﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾	﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾
﴿لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾﴾	﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣٣﴾﴾	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١﴾﴾	﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾
﴿يَجِدُ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾	
﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٩﴾﴾	
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٣﴾﴾	
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾	
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾﴾	
﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾	
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾	
﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾	
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَرِيمًا ﴿٣٤﴾﴾	
﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾	

يلحظ من الجدول ما يأتي:

أولاً: ورد التعقيب بنسبة كبيرة في أواخر الآيات باسم الله **(العليم)**، "فالعليم فهو العالم بالسرائر والخفيات لا يُدركها علم الخلق، وجاء على فعيل للمبالغة في وصفه بالعلم" ^(١)، وقد تناسب وروده بهذه الكثرة مع موضوع السورة تناسباً كبيراً، لأن السورة جاءت تعالج وترعى مصالح الضعفاء، وهم بحاجة إلى معين، وكلما كان المعين عالماً بحالهم وبضعفهم كان أقرب لقلوبهم ونفوسهم من غيره، وعندما يعلم الظالمون والمستكبرون الذين يستغلون ضعف الضعيف أن الله عليم بالسرائر والخفيات وعلیم بأحوالهم وتصرفاتهم، فيكون أدعى وأعظم لردعهم وردهم إلى العدل والحق في التعامل معهم.

كما أن سورة النساء مدنية ومليئة بالتشريعات والأحكام الجديدة التي لم يعهدها العرب من قبل فتناسب ذكر هذه الصفة الإلهية **(العلم)** بكثرة فيها، إشارة إلى أن المولى عز وجل يعلم ما يصلح للعباد مما أمرهم به، وكيف أن هذه التشريعات إنما جاءت لتبين المنافع والمصالح التي تعود عليهم بالخير كله في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ورود هذا الاسم بكثرة في الآيات التي تحدثت عن أحكام الموارث وهي أحكام تفصيلية شائكة تحتاج إلى العلم بأحوال الخلق، وبذلك تطمئن النفوس إلى أن مثل هذه الأحكام مردها صادر من الله تعالى. "فللتذكير بعلمه عند الأحكام فائدتان: فائدة بحكم التشريع، وفائدة بكيفية التنفيذ ومراعاة المراقبة". ^(٢)

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، الأسماء والصفات، ط ١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، تحقيق: عبد الله بن محمد

الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٧١

(٢) الرقب، أحمد، آيات الميراث في القرآن دراسة بيانية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، عدد (٣/ب)،

ثانياً: ورود صفة (الحكمة) بكثرة في هذه السورة أيضاً مع آيات التشريع، وقد ارتبطت بصفة العلم، "فإنه يحكم لأنه عليم وهم لا يعلمون، والفرائض صادرة من العليم سبحانه، والله يفرض ويقدر لأنه حكيم وهم قد يحكمون الهوى"،^(١) "فالحكيم: ذو الحكمة والحكمة عبارة عن أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وأن الحكم والحكيم هما بمعنى الحاكم وهو القاضي. وهو فعيل بمعنى فاعل، وفيه أيضاً أن الحكيم المتنقن للأمر من أحكم الأمر أي أتقنه"^(٢) "ومعنى الإحكام لخلق الأشياء إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها".^(٣)

وقد تناسب هذا الاسم مع محور السورة التي تتحدث عن رعاية المستضعفين وإصلاح المجتمع المسلم، فعندما يعلم المسلم بحكمة المشرع، ويعلم الحكمة من هذه الأوامر والتشريعات، فإنه بذلك يطمئن ويرضى بقضاء الله وبأحكامه، ويعلم أن هذا كله لم يأت إلا لرعاية مصالحه وشؤونه فينفذ أوامره ليصلح بها أموره وأمور مجتمعه.

ثالثاً: ورود اسمي (الغفور والرحيم) تناسب مع محور السورة وذلك لأن "المغفرة هي ستر الذنوب ومحوها والرحمة إيصال الخيرات".^(٤)

وصفة الرحمة والمغفرة في هذه السورة من أهم الصفات التي تأتي لتقوي الرجاء في رحمة الله وعفوه وغفرانه، عما سلف مما كان معهوداً عندهم من إيذاء مادي ومعنوي للنساء واليتامى والضعفاء، وأكل مال القوي للضعيف، ووأد البنات، ونكاح المحارم، وشرب الخمر، فكل هذه العادات وغيرها يحتاج فيها العبد الضعيف إلى مغفرة الله وطلب عفوه ورحمته، فكثر ورود هذه الصفات في التعقيب على الآيات التي تتحدث عن أحكام الزواج، والجهاد والهجرة، والترغيب في التوبة.

(١) الرقب، آيات الميراث في القرآن، ص ٤٠

(٢) ابن منظور، لسان العرب، فصل الحاء المهملة، ج ١٢، ص ١٤٠

(٣) البيهقي، الأسماء والصفات، ج ١، ص ٦٦

(٤) العيني، محمود بن أحمد، (ت ٨٥٥)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٢، ص ٢٩٢

رابعاً: ورود اسم (الخبير) ومعناه: "علم ما يلطف إدراكه ويدق" (١) فهو من الفعل خبر و"الخبرة أبلغ وأدق من العلم لأنها علم وزيادة، فالخبير بالشيء من علمه وقام بمعالجته وبيان تجربته وامتحانه، فأحاط بتفاصيله الدقيقة وألمّ بكيفية وصفه على الحقيقة". (٢)

وفي ورود هذا الاسم هنا تناسب مع محور السورة؛ لأنه يحمل معنى التنبيه لإصلاح البواطن والنوايا والأعمال، فالخبير يدل على علمه بالأمور الباطنة فيكون وعيداً منه تعالى إن لم يطبقوا ما أمرهم، سواء أكان في تقسيم الأرزاق أم في الميراث، أم في العدل بين فئات المجتمع، أم في طاعة الرسول، أو غيرها من الأوامر التكليفية أو الحدود التشريعية التي وردت في السورة. (٣)

خامساً: التعقيب باسمي (العلي والكبير) جاء في سياق الحديث عن قوامة الرجل وتنظيم أمر من أمور الأسرة ضمن المجتمع ككل، ويفيد أنه لا ينبغي للرجل أن يتكبر أو يستعلي، أو أن يكون لثيماً متسلطاً، وأن لا يستعجل ويظلم المرأة إن عادت إلى رشدها، ثم جاءت الجملة الاسمية كأنها تعليل وتهديد لما قبلها، فاختيار لفظ العلو إشارة إلى أن المسألة هنا ليس فيها تعالٍ ولا ترفع ولا استبداد، فهناك من هو أعظم من قدرتك عليهن، إنه الله العلي الكبير سبحانه ما أعظم شأنه. (٤) وقد ذكرنا سابقاً أن القوامة مصطلح قرآني يشكل الوجه الآخر لخلافة الأرض وهو حفظ العدل في الكون والوقوف في وجه الظلم، وبذلك فإن تناسب الفاصلة مع الآية ومع محور السورة واضح تماماً. (٥)

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص ٨٨

(٢) الرضواني، محمود عبد الرزاق، أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة، ص ٥٨

(٣) ينظر: القانوع، عاطف رجب جمعة، (٢٠٠٦)، الإعجاز البياني في نظم خواتم الآيات المشتملة على أسماء الله الحسنى، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، فلسطين، ص ٩٧

(٤) ينظر: الرازي مفاتيح الغيب، ج ١٠، ص ٧٣

(٥) ينظر: الفصل الثالث المبحث الثاني من الرسالة، ص ١٢٨

سادساً: ورود اسم الله (النصير) في هذه السورة مرة واحدة (وكفى بالله نصيراً) وورود كلمة النصير في ستة مواضع دون أن يقصد فيها وصف الله بالنصير، بصيغة (ولن تجد له نصيراً) تعطينا دلالة في المعنى، خاصة إذا عرفنا أن ذكر النصير سواء قصد به وصف الله أم غير ذلك في القرآن كله ثلاث عشرة مرة منها سبع مرات في سورة النساء، فإن هذا يؤكد أن نصرته المستضعفين والمظلومين تأتي من الله وحده ومع نصرته الحق وحده لا من أحد غيره. فالنصير: "من النصر، وهو إغاثة المظلوم على عدوه".^(١)

"فقد ابتدأت الآية التي ورد فيها اسم الله النصير بدرس جديد؛ لتخبر عن معركة الجماعة المسلمة مع المعسكرات المعادية من حولها، وكل ما سبق من السورة من تنظيمات اجتماعية واقتصادية وعائلية وأخلاقية، ومحو ملامح الجاهلية لم يكن بعيداً عن المعركة الخارجية مع أعداء الجماعة المسلمة في المدينة خاصة والجزيرة عامة"^(٢) وهذا إنما يحتاج إلى ثقة المسلم بربه "فمن كان الله وليه ونصيره فلا يبالى بالأعداء، فإنه ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم".^(٣) فعندما يثق المسلم بأن النصر لا يأتي إلا من عند الله، فهذا يشعره بقوة السند، وأن الله سينصر المظلوم والضعيف، وسيكون المجتمع الإسلامي هو الأقوى أمام أعدائه الذين يريدون به كيداً وتفكيكاً، فنعم المولى ونعم النصير.

سابعاً: ورود اسم الله (الحسيب) الذي يعني: "الكافي، وفعل بمعنى يفعل من أحسن الشيء إذا كفاني، وما أحسبته وحسبته بالتشديد: أعطيته ما يرضيه حتى يقول حسبي، والحسب: العَدَّ والإحصاء وكفى بالله حسيباً يكون بمعنى محاسباً، ويكون بمعنى كافياً فالله جل وعلا حسيب لأنه كاف جميع خلقه من جهة ثم يحاسبهم من جهة أخرى".^(٤)

(١) ابن منظور، لسان العرب، فصل النون، ج ٥، ص ٢١٠

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ٦٧٢

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٦٥٩

(٤) ابن منظور، لسان العرب، بتصرف، ج ١، ص ٢٠٩ وما بعدها

يتناسب الاسم مع موضوعات السورة التي يدور الحديث فيها حول الأيتام والمستضعفين والسفهاء وإعطاء كل ذي حق حقه من أموالهم محسوبة بالتمام لا نقص فيها، وناسب ذكر آيات الميراث التي تحتاج إلى الحساب، فبذلك يكون قد تناسب التعقيب بذكر هذا الاسم في السورة سواء أكان بمعنى الحسيب من الحساب، أم بمعنى المحاسب لأعمال العباد جميعهم. (١)

ثامناً: ورود اسم الله (الوكيل) وهو: "المقيم الكفيل بأرزاق العباد، وهو من الفعل وكل يقال وكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه" (٢) "والله هو الوكيل لأن أمر الخلائق كلها موكولة إليه فهو الوكيل المتولي لتدبير خلقه بعلمه، وكمال قدرته وشمول حكمته الذي يتولى أوليائه فييسرهم لليسر ويعينهم العسر، وكفاهم الأمور فمن اتخذ ولياً كفاه (٣) وقد جاء التعقيب بهذا الاسم وبهذا الأسلوب (وكفى بالله) بمعنى أن الله يتكفل بالحفظ من الأذى، ويتكفل بالرعاية والحماية، سواء أكانت هذه الحماية من الإيذاء الخارجي المادي من أعداء الإسلام، أو حماية من إيذاء داخلي كما في حماية الأسرة أو إيذاء نفسي كما في حماية النفس من الانحراف عن العقيدة الصحيحة، فكل هذا الحفظ والرعاية إنما تأتي من الله الوكيل الذي لا يخيب من اتكل عليه (٤) ويظهر تناسبه أيضاً مع موضوع السورة بأكملها والذي يوكل فيه الضعفاء أمورهم للقوي الوكيل، ومن أحسن من الله وكيلاً!

(١) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ٢، ص ٤١٩

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٧٣٤، بتصرف فصل الواو

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أحمد، شرح أسماء الله الحسنى، ط ١ (٢٠٠٦)، مكتبة الصفا، ص ٣٣٦

(٤) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ٧٠٠

تاسعاً: تكرر في هذه السورة صيغة لم ترد في سورة أخرى بهذه الكثرة مطلقاً وهي ربط قوله: (كفى

بالله) باسم الوكيل أو الحسيب أو العليم أو الشهيد، وجاءت هذه الصيغة ثماني مرات في

سورة النساء وحدها، بينما جاءت في سور القرآن كلها مجتمعة عدا النساء ثماني مرات.

"يتكون هذا التركيب (كفى بالله) من الفعل (كفى) وفاعل سبقته باء زائدة للتوكيد واسم

منصوب على التمييز، فإن الدلالة العامة لهذا التركيب هي التوكيد الذي أفادته زيادة الباء

في فاعل كفى إيداناً بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية في من غيره في عظم المنزلة

فضوعف لفظها ليتضاعف معناها".^(١)

وورود هذا الأسلوب (وكفى بالله) بكثرة في السورة يؤكد للضعيف أن الله وحده كافيهم ليسد

ضعفه ، وليعلم القوي بغير الله أن مع الضعيف قوياً لا يغلب ، يتكفل بالحفظ من الأذى

ويتكفل بالرعاية والرقابة والمحاسبة .

عاشراً: يُلاحظ في السورة كثرة الجملة الاسمية (إن الله كان)، وذلك دلالة على الثبوت والاستمرار

"فإن كان في حق الله تقتضي ثبوت الخبر له سبحانه وتحقيقه وأنه شأن من شؤونه

المعروف بها في آيات كثيرة"^(٢). ذلك أن سورة النساء سورة الأحكام التي جاءت تثبت وتقر

تلك الأحكام الجديدة وتؤكد عليها لتمحو ملامح الجاهلية، وتنشئ المجتمع الإسلامي الجديد

القائم على توحيد الله تعالى وتقواه، وطاعة رسوله، والعدل بين أفراده.

وقد ورد الفعل (كان) متبوعاً بصفات الله تعالى أربعاً وثمانين مرة في عشر سور وهي:

النساء والإسراء والكهف والفرقان والأحزاب وفاطر والفتح والإنسان والانشقاق والنصر. وقد

(١) الكوازي، محمد كريم، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ط١ (١٤٢٥هـ - ١٨٦٠م)، منشورات جامعة السابغ من ابريل، ص٢٣٣

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص٥٠

ورد في سورة النساء اثنتين وأربعين مرة مقابل اثنتين وأربعين مرة في السور الأخرى. فقد ورد في سورة الأحزاب ثماني عشرة مرة، ثم الفتح ثلاث عشرة مرة.

وقد ورد الفعل (كان) في سورة النساء إحدى وعشرين مرة قبل لفظ الجلالة، وورد إحدى وعشرين مرة بعد لفظ الجلالة، وهذا يظهر أن ورود كان مع صفات الله يكثر في سور التشريعات التي تكثر فيها الأحكام.

ومما يميز السورة إذن تعدد أسماء الله الحسنى الواردة فيها، حتى بلغت تسعة وعشرين اسماً بغير تكرار وهي (الولي، المقيت، الرقيب، الغني، الشاكر، الحميد، المحيط، التقدير، العزيز، السميع، الوكيل، البصير، التواب، الشهيد، العفو، العلي، الحسيب، النصير، التواب، الشهيد، العفو، العلي، الحسيب، الكبير، الخبير، الغفور، الرحيم، الحكيم، العليم).

وإذا علمنا أن الأسماء التي وردت في سورة البقرة كاملة سبعة وعشرين اسماً، وفي آل عمران كاملة إحدى وعشرين اسماً، وهما أطول من سورة النساء من حيث عدد الآيات، علمنا ميزة سورة النساء. ولا يدل تكرار هذه الأسماء دون غيرها في السورة إلا مناسبة هذه الأسماء وضرورتها لمعالجة مشاكل النساء والضعفاء في كل زمان ومكان، ومن أقدر من ربنا على تشريع ما يجمع كل هذه الصفات! ووجب التنبيه في آخر هذا المطلب إلى ورود اسم (الله) سواء أكان ضمن الفاصلة القرآنية أم ضمن أول الآية، فإن كثرة لفظ الألوهية مقارنة مع لفظ الربوبية في السورة ظاهر، وهو مما امتازت به السورة، ففي حين ورد لفظ الربوبية بمشتقاته ست مرات، نجد لفظ الألوهية تكرر ما يقرب من مائتي مرة، وهذا يدلنا على حكمة ذلك بأن هذه السورة سورة المستضعفين، وحقوق الضعفاء لا تؤدي إلا إذا أخلص الناس التوحيد، كما أن لفظ الألوهية يعطي الرهبة والعظمة في نفوس الناس أكثر من كلمة الربوبية التي توحى لنا بالتربية والمحبة والرغبة.

المطلب الثاني: تناسب الفواصل المنتهية بغير أسماء الله الحسنى مع محور السورة

سيتم تقسيم الفواصل بحسب أنواع الفواصل التي جاءت بها الآيات من حيث دلالتها كالاتي

جدول رقم (٤): الفواصل المنتهية بغير بأسماء الله الحسنى

الفواصل التي تتحدث عن وصف جزاء المؤمنين	فواصل الآيات التي تتحدث عن المنافقين	فواصل الآيات التي تتحدث عن الكافرين	فواصل الآيات التي تتحدث عن أوامر وتشريعات وتبيين الحكمة من الأمور
<p>﴿وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾ (٣٢)</p> <p>﴿وَنَذِخْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣٣)</p> <p>﴿وَيُوتِي مِنَ اللَّهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠)</p> <p>﴿وَنُذِجُهُمْ ظِلًّا طَلِيلًا﴾ (٥٧)</p> <p>﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَافِقًا﴾ (٦٢)</p> <p>﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٥)</p> <p>﴿وَفَسَّلَ اللَّهُ الْمُجْرِمِينَ عَلَى الْمُتَعَبِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٥٥)</p> <p>﴿وَلَا يَظْلَمُونَ نَجِيرًا﴾ (١١٦)</p> <p>﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٥)</p> <p>﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٣)</p> <p>﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥)</p>	<p>﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾</p> <p>﴿صَلَاةً بَعِيدًا﴾ (٦٠)</p> <p>﴿يَصُدُّونَ﴾</p> <p>﴿صُدُّوْا﴾ (١١)</p> <p>﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٢٢)</p> <p>﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا آلَاءِ احْسِنَا﴾</p> <p>﴿وَتَوْفِيحًا﴾ (٢٢)</p> <p>﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾</p> <p>﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (١٢٣)</p> <p>﴿وَيَسْأَلُوا تَسْلِيمًا﴾ (١٥)</p> <p>﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾ (١١)</p> <p>﴿إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (١٢٢)</p> <p>﴿فَأَقْوَصُ قَوْرًا عَظِيمًا﴾ (١٣٢)</p> <p>﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٧٨)</p> <p>﴿سُلْطَنًا مُبِينًا﴾ (١١)</p> <p>﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (١٨٨)</p> <p>﴿وَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٥٥)</p> <p>﴿بَشِيرَ الْمُنْفِقِينَ يَأَنَّ لَهُمْ﴾</p> <p>﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨)</p> <p>﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ﴾</p> <p>﴿اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (١٢٢)</p>	<p>﴿وَلَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٢٢)</p> <p>﴿وَلَا يَظْلَمُونَ قَبِيلًا﴾ (٤٤)</p> <p>﴿فَقَدْ ضَلَّ صَلَاتًا بَعِيدًا﴾ (١٣١)</p> <p>﴿فَقَدْ ضَلَّ صَلَاتًا بَعِيدًا﴾ (١٣٢)</p> <p>﴿يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ (١٣٧)</p> <p>﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ إِلَهًا وَلَا لِجَاهِلِهِمْ سَبِيلًا﴾ (١٣٧)</p> <p>﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا﴾ (١٣٨)</p> <p>﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠)</p> <p>﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٣٧)</p> <p>﴿فَسَيَحْمِلُهُمُ إِلَهُو جَمِيعًا﴾ (١٣٧)</p> <p>﴿قَدْ ضَلُّوا صَلَاتًا بَعِيدًا﴾ (١٣١)</p> <p>﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠)</p>	<p>﴿فَكَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (١٠)</p> <p>﴿وَقُولُوا اللَّهُمَّ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٥)</p> <p>﴿وَقُولُوا اللَّهُمَّ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٨)</p> <p>﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٩)</p> <p>﴿أَوْ أَنْزِلُوا جَمِيعًا﴾ (٧)</p> <p>﴿كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾ (١٢)</p> <p>﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (٥٠)</p> <p>﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى سُلْطَنًا تُبِينًا﴾ (١٣٢)</p> <p>﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢)</p> <p>﴿ذَلِكَ أَتَىكَ الْأَتَعُولُوا﴾ (٣٠)</p> <p>﴿وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا﴾ (١١)</p> <p>﴿وَآخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (١١)</p> <p>﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَاحِكًا﴾ (١٨)</p> <p>﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (٣٨)</p> <p>﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٨)</p> <p>﴿إِنَّا كَذَّبْنَا الشَّيْطَانَ إِذْ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (١٨)</p> <p>﴿لَوْجًا وَآيَةً أَخْبَلْنَا كَثِيرًا﴾ (٢٢)</p>
<p>فواصل الآيات التي تتحدث عن صفات وأفعال أهل الكتاب</p> <p>﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (٤٤)</p> <p>﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤١)</p> <p>﴿وَكَفَى بِهِمْ إِيمَانًا مُبِينًا﴾ (٥٠)</p> <p>﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ (٥٥)</p> <p>﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (٢٢)</p> <p>﴿فَإِذَا لَا يُؤْمِنُونَ النَّاسَ نَجِيرًا﴾ (٢٢)</p> <p>﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٥٥)</p> <p>﴿وَلَا يَجِدُ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٣٢)</p> <p>﴿وَآخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (١٥٤)</p> <p>﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥٥)</p> <p>﴿بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ (١٥٨)</p> <p>﴿وَيَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَبِيرًا﴾ (١١٦)</p> <p>﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٢٤)</p> <p>﴿وَمَا قَالُوهُ يُقِينَا﴾ (١٧٧)</p>	<p>الفواصل التي تتحدث عن وصف جزاء الكافرين</p> <p>﴿وَسَيَصْلُونَكَ سَعِيرًا﴾ (١٠)</p> <p>﴿وَكَفَى بِهِمْ سَعِيرًا﴾ (٥٥)</p> <p>﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٤١)</p> <p>﴿وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٣٧) ﴿إِنَّ﴾</p> <p>﴿اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٢٢)</p> <p>﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٥٠)</p> <p>﴿فَأُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١٧)</p> <p>﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١٥٠)</p> <p>﴿وَأَعَدَّ اللَّهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٣٢)</p>	<p>تعقيبات خاصة للرسول p</p> <p>﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (١١)</p> <p>﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (١٢٢)</p> <p>﴿وَلَا تَكُنِ لِلْخَالِئِينَ حَصِيمًا﴾ (١٥٠)</p> <p>﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (٨٠)</p>	
<p>فواصل جاءت على شكل دعاء أو استفهام</p> <p>﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥)</p> <p>﴿أَنَا خُدُونَهُ بُهْتَنًا وَإِيمَانًا مُبِينًا﴾ (٢٠)</p>	<p>﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥)</p> <p>﴿أَنَا خُدُونَهُ بُهْتَنًا وَإِيمَانًا مُبِينًا﴾ (٢٠)</p>		

يتبين بعد هذه التقسيمات ما يأتي:

أولاً: وردت تعقيبات لزجر المسيء وتشجيع المحسن، وهذه الفواصل لا شك لها أكبر الأثر على المخاطبين بها؛ لتدفعهم إلى إقامة العدل المطلوب في هذه السورة، أو تمنعهم من الاستمرار في ظلم الضعفاء الذي حاربه الآيات.

وقد تنوع أسلوب الفواصل في عرضها للصفات التي تذكر جزاء كل من المؤمنين والكافرين والمنافقين ومن ذلك: "حال المنافقين كما تصوره فواصل الآيات الكريمة وهو تصوير حقيقي لهذه الطائفة وتلقي ظلال هذه الأوصاف التي وصفوا بها بيانياً، لما كان يعانيه الصف المسلم من هؤلاء المجرمين؛ ليسجل لنا القرآن نوعاً من القيم التحذيرية التي يمكن استخراجها من التعامل مع هؤلاء المتلونين، ولذلك لا يستغرب أن ينوع وصف العذاب والجزاء الذي تستحقه هذه الطائفة بتنوع السوء الذي كان عندهم" (١) وكذلك تنوع صفات النعيم وجزاء المحسنين الذي يرشدنا فيها القرآن إلى التوازن ما بين الوعد والوعيد لاستئثار النفوس نحو الإصلاح وإحسان العمل. (٢)

ثانياً: وردت تعقيبات مَهَّد لموضوعها قبل الفاصلة في الآية، وقد جاءت تبين الحكمة مما سبق في أول الآية فتعلق معناها بالتمهيد تعلقاً تاماً، ويسمى هذا النوع من الفواصل بالتمكين بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضرب الفهم. (٣)

كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَلاَّ تَعْمَلُوا﴾ (٣) ، ﴿وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩) ، ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَثِيرًا﴾ (٢) ، ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِنَا وَإِنَّمَا مِثْبَاتُنَا﴾ (٢٠) ، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَنجِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٢٢))

(١) أبو حسان، جمال، الدلالات المعنوية للفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن وإعجازه)، ط ١ (١٤٣١-٢٠١٠)، دار الفتح

للدراسات والنشر، عمان - الأردن، ص ٥٤١

(٢) ينظر: أبو حسان، الدلالات المعنوية للفواصل القرآنية، ص ٥٤٩

(٣) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٧٩ "بتصرف"

وهذه الفواصل تتناسب ضعف عقل الإنسان القاصر عن الإحاطة بحكمة الله وبواطن الأمور فيحتاج لتعليم الله له، لكي لا تهاجمه القوى الطاغية بالشبهات، التي تجعله يترك أوامر الله التي لا يعلم الحكمة من وراءها، فالضعفاء يحتاجون من يعلمهم حقوقهم ووسائل ردها، والظلمة بحاجة ليعلموا الحكمة من منعهم مما يقومون به من أعمال وعواقب أفعالهم في الدنيا والآخرة .

ثالثاً: ورود فواصل تؤكد أحد المعاني المذكورة في بداية السورة كالتذكير بأمر لازم وجوده مع ما سبقه. ومثال تأكيد المعنى الوارد في الآيات قوله ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝١١﴾ ، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا

قَلِيلًا ۝١٢﴾ ، ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا ۝١٦﴾ ، ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۝١٣﴾ ، ﴿لَوْجُدُوا فِيهِ أُخْتِلَفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾

وأما التذكير بأمر لازم وجوده مع ما سبقه كقوله ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝٨﴾ ، ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ ، ﴿وَلَيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ ، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۝١٣﴾ ، ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥﴾ . وهذه الفواصل بنوعيتها تمثل دعائم البناء ومكملاته التحسينية ليتم بناء السورة بشكل متكامل، ويتم بناء المجتمع الملتزم بأحكام هذه السورة كاملاً، فيعمل بالأصول ولا ينسى الدقائق، فلا يعطي المظلوم حقه المالي ويحرمه كرامته، ولا يأخذ على يد الظالم ثم يظلمه، بل هو العدل بكليته والحق بمجموعه في كل دقائق الأمور .

"فإن الفاصلة في القرآن ليست فيه كفاية الشعر بين التفعيلات والأوزان، وتضبط بالحركات والسكنات، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل، أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان ولا الألفاظ تحشد حشداً وتلصق إصاقاً، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب، بل الفاصلة طليقة من كل قيد، والنظم بنجوة من كل صنعة، والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد، إن هو أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص، يلين أو يشدد، ويهدأ أو يهيج، وينساب انسياباً كالماء إذ يسقي الغراس، أو يعصف عصفاً كأنه صرصر عاتية تبهر الأنفاس." (١)

(١) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ، ط٤ (١٩٦٥)، دار العلم للملايين - بيروت ، ص ٣٤٠

وإناسبة هذا القول السابق وحب التنبيه إلى النظام الصوتي وتناسبه مع محور السورة في فواصل سورة النساء التي تميزت بصوت فاصلتها المنتهي بالألف في أغلب السورة، وهذا الصوت يمنحها إحاء الحزم الممزوج بالسعة، فنحن لا نستطيع مد الفاصلة إلى أربع أو ست كما في المد العارض، ويُجبرنا حرف الألف على حبس النفس بمقدار المد الطبيعي فقط.

ولكن هذا الحبس للمد ممزوج بسعة الفم الناطق بالألف المفتوحة وهذا الحزم الممزوج بالسعة هو من أهم وسائل ضبط أمور الضعفاء. ويبقى الأمر موضوعا اجتهاديا فقد يقول قائل إن الألف تمنحها صفة اللين التي تتناسب مع الضعف والله أعلم.

الخاتمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، أما بعد:

تم التوصل إلى النتائج التالية بعد هذا البحث:

- ١- علم المناسبات علم دقيق وواسع يبرز إعجاز القرآن ويكشف أسرارها.
- ٢- علم المناسبات علم اجتهادي؛ يستطيع المفسر من خلاله فهم الآيات على الوجه الأحسن بعد التعرف إلى مقاصد السورة وموضوعاتها.
- ٣- إن القرآن الكريم لا يخلو من ناظم يربط آياته وسوره، مهما تبين أن الموضوعات التي تطرقها الآيات متباعدة.
- ٤- وجود التناسب بين الآيات والسور يكشف عن ربانية مصدره، ويهدف إلى التربية المتكاملة المتوازنة.
- ٥- بالرغم من طول آيات سورة النساء؛ إلا أن الإعجاز تجلى في وحدتها الموضوعية فالسورة وحدة كاملة لها هدف واضح محدد ومقاصد متعددة.
- ٦- المحور الذي يدور حوله سورة النساء هو تنظيم المجتمع المسلم ورعاية شؤون المستضعفين بالإنصاف والإصلاح.
- ٧- جميع الأساليب التي وردت في السورة جاءت تعزز المحور التي تدور حوله.
- ٨- السور المتحدة في المطلع تتشابه في موضوعاتها وتتناسب فيما بينها.

ونظراً لأهمية علم المناسبات ودوره في فهم القرآن وتنزيل آياته على الواقع، فإن الباحثة توصي بما يلي:

١- الكشف عن المناسبات كشفاً يعين على فهم السياق القرآني وإدراك الوحدة الموضوعية في كل سورة دون تكلف أو خروج عن النص.

٢- زيادة الاهتمام بهذا العلم بتشجيع الطلبة على كتابة الأبحاث في هذا الموضوع عن جميع سور القرآن، وعقد مؤتمرات وورش عمل لاستخراج المناسبات بين السور ووضع ضوابط وقواعد في استخراجها.

وأسال المولى عز وجل أن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً، وأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزي مشايخنا وعلماءنا خير الجزاء لما قدموه من خدمة للقرآن العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأصفهاني، أبي نعيم (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٣٤٩هـ.
- الألمعي، زاهر بن عواض (١٤٠٥هـ)، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط١.
- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ.
- أمين، بكري شيخ (٢٠٠٤)، التعبير الفني في القرآن، ط٧، لبنان، دار العلم للملايين.
- الباقلائي، محمد بن الطيب (ت ٣٠٤)، إعجاز القرآن، ط٤، (تحقيق: عماد الدين حيدر)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٦٥هـ)، صحيح البخاري، ط١، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ).
- بدوي، أحمد أحمد، بلاغة القرآن، ط٢، مكتبة نهضة مصر.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥)، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط١، مكتبة المعارف - الرياض (١٤٠٨هـ - ١٩٨١م).
- _____ نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ط١، (تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، الأسماء والصفات، ط١، (تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي)، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- البيومي، محمد رجب، (١٩٧١م)، البيان القرآني، ط١، دار النصر للطباعة.
- جبل، محمد حسن، (٢٠١٢)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط١، مكتبة الآداب.
- ابن جزري، محمد بن أحمد بن عبدالله (ت ٧٤١)، التسهيل لعلوم التنزيل، ط١، (تحقيق: عبدالله الخالدي)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، (١٤١٦هـ).

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط١، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (١٤٢٢هـ).
- الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، ط٤، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
- حجازي، محمد محمود، (١٤١٣هـ)، التفسير الواضح، ط١٠ ، بيروت-لبنان، دار الجيل الجديد.
- _____ (١٣٩٠هـ)، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط١ ، دار الكتب الحديثة.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (١٣٧٩م).
- أبو حسان، جمال، (٢٠١٠)، الدلالات المعنوية للفواصل القرآنية (دراسة في بيان القرآن وإعجازه)، ط١، عمان - الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر.
- حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد ، ط١، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون)، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).
- حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، (تحقيق: صدقي محمد جميل)، دار الفكر - بيروت، (١٤٢٠هـ).
- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ)، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، ط ٢، (تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام)، دار المعرف- مصر، (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م).
- الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٢٠هـ)، درة التنزيل وغرة التأويل، ط١ (تحقيق: محمد مصطفى آيدين)، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية ، مكة المكرمة، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١).
- الخطيب، عبدالكريم يونس (ت ١٣٩٠)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة.
- خليفة، إبراهيم، (١٩٩٣)، التفسير التحليلي لسورة النساء ، ط١.

- الخنين، ناصر عبد الرحمن، (١٩٩٦)، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، ط ١، الرياض-السعودية، مكتبة التوبة.
- الدامغاني، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ)، **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**، (تحقيق: عدنان درويش محمد المصري)، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، دار الثقافة، الدوحة.
- دروزة، محمد عزت، (١٣٨٣ هـ)، **التفسير الحديث**، ط ١، القاهرة-مصر، دار إحياء الكتب العربية.
- الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (١٤٢٠ هـ).
- الرازي، محمد أبي بكر عبدالقادر، **مختار الصحاح**، ط ١٠، (تحقيق: عصام فارس حرساني)، دار عمار، (١٤٢٨-٢٠٠٧).
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط ١، (تحقيق: صفوان عدنان داوودي)، دار العلم والدار الشامية، دمشق - بيروت، (١٤١٢هـ).
- الرفاعي، مصطفى صادق، (٢٠٠٥م)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط ٨، بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي.
- رضا، محمد رشيد بن علي (ت ١٣٥٤هـ)، **المنار=تفسير القرآن الحكيم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠)
- _____ **الوحي المحمدي**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥).
- الرضواني، محمود عبد الرزاق، **أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة**.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (تحقيق: مجموعة من المحققين)، دار الهداية.
- ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ط ١، (تحقيق: محمد شعباني)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م).
- الزحيلي، وهبة مصطفى، (١٤١٨هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط ٢، دمشق-سوريا، دار الفكر.
- _____ **التفسير الوسيط**، ط ١، دمشق-سوريا، دار الفكر.

- الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، دار إحياء الكتب العربية، منشورات: عيسى البابي الحلبي وشركائه، (١٣٧٦، ١٩٥٧).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط١، (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- _____ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، (١٤٠٧هـ).
- أبو زيد، أحمد، (١٩٩٢)، **التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي)**.
- السامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٦م)، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، ط٤، دار عمار.
- _____ (٢٠٠٧)، **معاني الأبنية في العربية**، ط٢، دار عمار.
- سبحاني، محمد، (٢٠٠٣)، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، ط١، دار عمار للنشر والتوزيع.
- سعد، محمود توفيق محمد، (١٤٢٤هـ)، **العزف على أنوار الذكر (معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة)**، ط١.
- السعدي، عبد الرحمن بن عبدالله (ت ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، (تحقيق: عبد الرحمن بن معلا)، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم=تفسير أبو السعود**، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- _____ **تناسق الدرر في تناسب السور**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- _____ **قطف الأزهار في كشف الأسرار**، (تحقيق: أحمد بن محمد الحمادي)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- _____ **مرائد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**، ط١، مكتبة دار المنهاج للنشر، الرياض، (١٤٢٦).
- _____ **معتك الأقران في إعجاز القرآن**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (١٩٨٨م).

- بنت الشاطي، عائشة عبدالرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، ط٣، دار المعارف.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ط١، (تحقيق: عبد الله دراز)، دار المعرفة-لبنان، (١٩٩٤).
- شحاتة، عبدالله محمود، (١٩٨٦)، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ط٣، الهيئة المصرية للكتاب.
- الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم.
- شلتوت، محمود، (١٩٦٢)، إلى القرآن الكريم، ط١، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر.
- _____ تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، ط١١، مصر، دار الشروق.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط١، دار الفكر للطباعة - بيروت-لبنان، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت(١٤١٤هـ).
- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق.
- صباغ، عبد الهادي قدور، تفسير نداء القرآن وصوت الإسلام الحكيم، ط٢
- الضائي، عبد الله بن سالم بن حمد، (٢٠٠٥)، أسماء سور القرآن الكريم، ط١، الأجيال للتسويق.
- طنطاوي، محمد سيد، (١٩٩٧)، التفسير الوسيط، ط١، القاهرة، دار نهضة مصر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية، (١٩٨٤هـ).
- عباس، فضل (١٩٩٧م)، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط١.
- _____ (٢٠٠٦)، إعجاز القرآن الكريم، ط٦، دار الفرقان للنشر.
- _____ (١٩٩٦م)، البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبدیع)، ط٢.
- _____ (٢٠٠٨)، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تركيا، المكتبة الإسلامية.
- عبدالمطلب، رفعت فوزي(١٩٨٦)، الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ط١، دار السلام.
- عبيدات، رافع محمد فندي(٢٠٠١)، موقف الإسلام من تعدد الزوجات، دار الكتاب.

- عنر، نور الدين(٢٠٠٤)، أحكام سورة النساء، من محاضرات الدراسات العليا
- ابن العربي، محمد بن عبدالله (ت٣٤٥)، أحكام القرآن، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. (١٤٢٤ - ٢٠٠٣)
- ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي (ت ٨٠٣)، تفسير ابن عرفة ، ط١ ، (تحقيق: جلال الأسيوطي)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (٢٠٠٨).
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط١، (تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد)، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، (١٤٢٢هـ).
- علي، علي صبح، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية.
- العيني، محمود بن أحمد،(ت ٨٥٥)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- الغرناطي، أحمد بن الزبير النقي (ت ٧٠٨)، ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل ، (تحقيق: عبدالغني محمد علي الفاسي)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- الغزالي، أبو حامد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥)، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، ط١، الجفان الجابي - قبرص للنشر، (١٤٠٧ - ١٩٨٧).
- الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي، ط١، دار النهضة، مصر.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- الفراء، أبو زكريا يحيى من زياد (ت ٢٠٧)، معاني القرآن، دار المصرية للتأليف، مصر.
- الفراهي، محمد(١٣٨٨م)، دلائل النظام، ط١ ، الدائرة الحميدية.
- الفراهيدي، الخليل بن احمد (١٧٠ هـ)، العين، (تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي) ، دار الهلال.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (تحقيق: محمد علي نجار)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- القاسم، محمد يوسف، (١٩٧٩م)، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ط١ ، طبعت على نفقة الأزهر.

- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت ١٣٣٢ هـ)، محاسن التأويل، ط ١، (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية - بيروت. (١٤١٨هـ).
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، (تحقيق: أحمد البردوني)، دار الكتب المصرية - القاهرة، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، ط ٣، (تحقيق: إبراهيم البسيوني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ١٧، دار الشروق، بيروت-لبنان، ١٤١٢هـ.
- قطب، محمد، دراسات قرآنية، ط ٢، دار الشروق، بيروت - لبنان، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- قطان، مناع، (١٩٨٠م)، مباحث في علوم القرآن، ط ٧، مؤسسة الرسالة.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أحمد، شرح أسماء الله الحسنى، ط ١، مكتبة الصفا، (٢٠٠٦).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، التفسير العظيم، (تحقيق: سامي بن محمد سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الكواز، محمد كريم (١٨٦٠م)، أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ط ١، منشورات جامعة السابع من إبريل.
- لاشين، عبدالفتاح (١٩٨٣)، من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، الرياض-السعودية، دار المريخ.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله (ت ١٨١هـ)، الزهد والرقائق لابن المبارك، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- المتولي، صبري (٢٠٠٣)، التفسير التحليلي للقرآن على صدر سورة النساء، جامعة الناصرة، مكتبة زهراء الشرق.
- المدني، محمد محمد، (١٩٦٢) المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، مكتبة البراق، التعريف الأعلى للشؤون الإسلامية.

- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مسلم، مصطفى (٢٠٠٥)، مباحث في التفسير الموضوعي، ط٤، دار القلم.
- _____ (٢٠١٠)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، ط١، جامعة الشارقة.
- المصطفوي، حسن، (١٣٩٣)، تحقيق معاني كلمات القرآن، ط١، طهران، إيران.
- مناهج جامعة المدينة العالمية، التفسير الموضوعي ٢، جامعة المدينة.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر - بيروت. (١٤١٤هـ).
- أبو موسى، محمد محمد (١٩٩٦م)، أسرار التعبير القرآني "دراسة تحليلية لسورة الاحزاب"، ط٢، القاهرة، مكتبة وهبة.
- _____ (٢٠١٢م)، الزمر وعلاقتها بآل حم (دراسة في أسرار البيان)، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ابن النقيب، محمد بن الحسن، الفوائد المشوق في علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية.
- نوفل، أحمد (٢٠٠٥م)، تفسير سورة القصص دراسة تحليلية موضوعية، ط١، مركز حراء القرآني، جمعية المحافظة على القرآن.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، (تحقيق: محمد إبراهيم سليم)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- الواحدي، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، (تحقيق: صفوان داوودي)، دار القلم، دمشق، (١٤١٥هـ).
- الوداعي، أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي (١٩٨٧)، الصحيح المسند من أسباب النزول، ط٤، القاهرة - مصر مكتبة ابن تيمية.
- وافي، علي عبدالواحد، بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام، مؤسسة المطبوعات الحديثة.

الأبحاث والرسائل والجامعية

- بدران، غسان عاطف علي(١٩٨٨م)، المستكبرون والمستضعفون "دراسة قرآنية"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- البناني، خديجة محمد أحمد (٢٠٠٩)، سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- حميدة، طارق مصطفى محمد(٢٠٠٧)، التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين
- الشبلي، نهلة زهدي (٢٠٠٣)، الألفاظ الاجتماعية في سورة النساء (دراسة تأصيلية صرفية دلالية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد - الأردن.
- أبو شريعة، زياد أحمد(١٩٨٩)، سورة محمد دراسة وتحليل، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان - الأردن.
- علان، علي عبد الله علي(١٩٩٩م)، منهج مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان - الأردن.
- القانوع، عاطف رجب جمعة (٢٠٠٦)، الإعجاز البياني في نظم خواتم الآيات المشتملة على أسماء الله الحسنى، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة - فلسطين.
- مغاربة، محمد صدقي محمد (٢٠٠٠م)، يا أيها الذين آمنوا دراسة في التفسير الموضوعي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق - الأردن.

الدوريات

- ابتسام بنت بدر بن عوض الجابري، ١٤٢٨هـ، رعاية النساء في ضوء سورة النساء، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مكة المكرمة، (ج١٩، عدد ٤٠)
- الرقب، أحمد(٢٠٠٩)، آيات الميراث في القرآن دراسة بيانية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، عدد (٣/ب)

مواقع الكترونية

- السامرائي، فاضل صالح ، برنامج لمسّات بيانينة، الناشر: موقع إسلاميات،

<http://www.islamiyyat.com/lamsat.htm>

الدورات

- فينو، دعاء ، دورة فقه العروس (رؤية إسلامية معاصرة)، مركز الريحان القرآني، البيادر، ٢٠٠٨/٤/٢٧

THE RELEVANCE IN WOMEN CHAPTER (AL- NISA) AND ITS THEMATIC INDICATIONS

By

Deema Gazi Ramadan

Supervisor

Dr. Solyman Al-Dqoor

ABSTRACT

The relevance's science contributes to strengthening the relation of those studying with the Holey Qur'an, it is a diligence science that depends on the length of contemplating to perceive the link in order to result in treasures and gestures influencing the soul and adjusting the behavior, leading to accomplishing the purpose from sending down the Qur'an that guides the human being to their life and after life goodness.

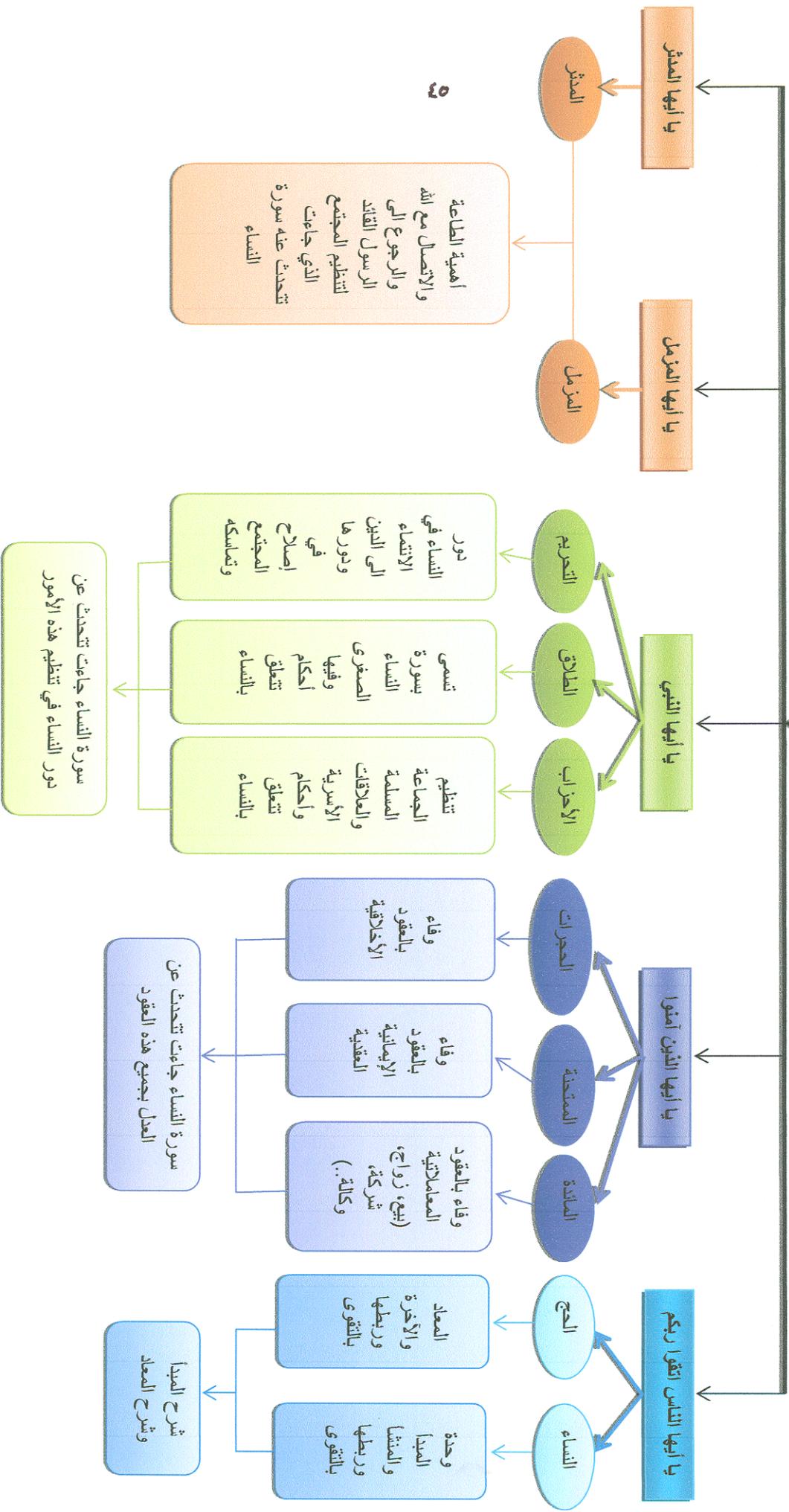
From here emerges the importance and the value of this study that has addressed the relevance topic in chapter Annisa to reveal its thematic unity in its all verses.

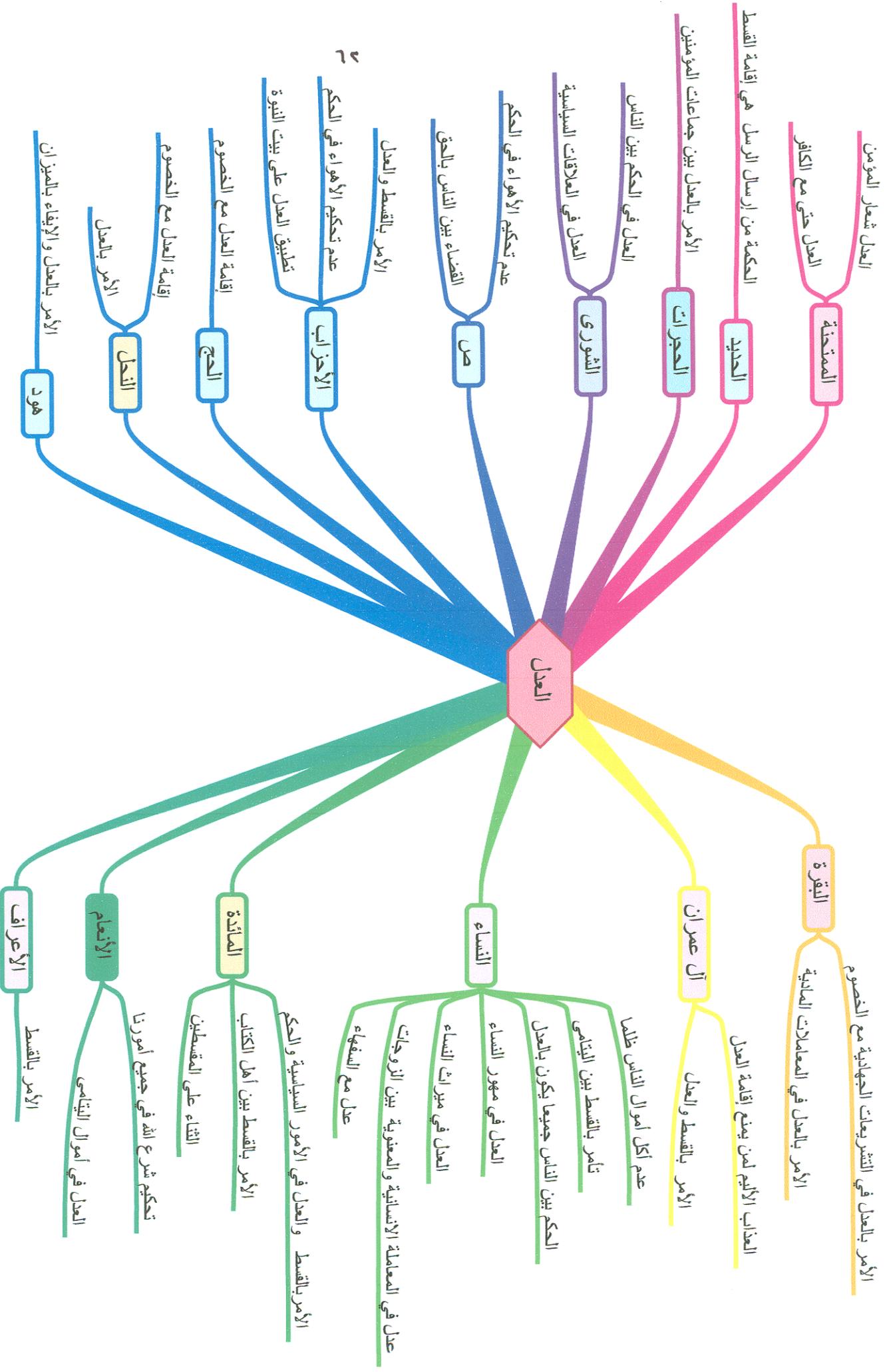
Also, it came to reveal its relations between the Qur'an's chapters, whether those unites with item the preface, or those that approximated with it, or resembled with it in the topics.

The study showed the link of chapter Annisa in its topics, arrangements, its verses order, sentences, pronunciations and the illustrative methods that came in it.

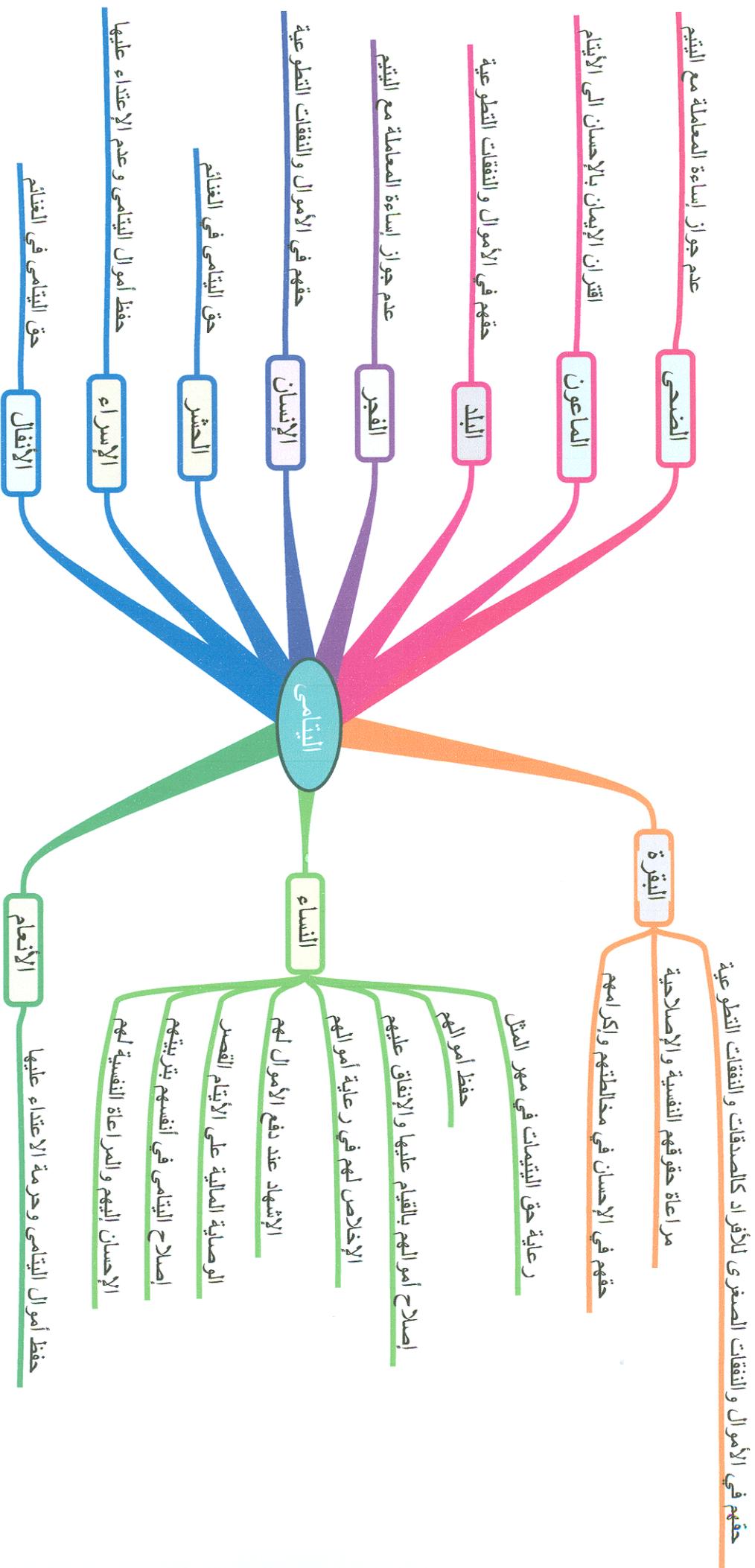
The study was able to verify the presence of links and relations between the chapter's topics regardless of what has been seen that it addressed diverging topics, and from the Qur'an's manifestations and significances, its manifestations and significances in its topics and its verses relevance.

علاقة سورة النساء
بالمسور المفتحة ب (يا أيها)





مخطط رقم 2
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن العدل



مخطط رقم 3
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن اليتامى

الجزء يشمل الرجل والمرأة على حد سواء في الخير أم في العقاب

المسند

دور المرأة في الدعوة الإسلامية

وَأَمْرُ الْمَرْأَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

أحكام أسرية ونساج نسائية مومنة وكافرة

أحكام تخص النساء من طلاق وعدة وغيرها

أحكام امتحان المهاجرات في إيمانهم

أحكام في مبايعة النساء للرسول

دورها في الدعوة الإسلامية

أحكام الظهار مع المرأة

تخصيص النساء بالذكور عند الحديث عن آداب الكلام

النساء

تحدثت عن النساء كحالة مستضعفة

استغلال النساء في الجاهلية

تكريم المرأة وتكريم العلاقة الزوجية

أحكام تخص النساء والزواج والأسرة

النساء تعتبر قتيمة

عرض نموذج إيماني للنساء امرأة عمران ومريم

تعرضت للحديث عن المرأة كزوجة وأم وأخت وابنة وحفيدة

اصتبت بالمرأة من الناحية الإنسانية والدينية

حريتها في التصرف المالي وأعطتها حق في الميراث

عرضتها كحالة مستضعفة

أعطتها أهلية التكليف وتحديد مسؤوليتها وجزائها

نهى عن عضل المرأة وظلمها

اصتبت فيها اجتماعياً

رعتها في التعليم والتأديب والترفيهية

إباحة الزواج من المرأة الكثرانية

النساء تعتبر قتيمة

تحدثت عن النساء كحالة مستضعفة

أشارت إلى العلاقة الزوجية والمرأة سكن الزوجها

أشارت نفسية إلى مراعاة تعب المرأة في حملها

الإشارة إلى كيد المرأة

اعتبار المرأة حالة مستضعفة

أبراهيم

يوسف

الأعراف

المائدة

النساء

عرض المرأة كحالة مستضعفة

عرض المرأة كحالة مستضعفة

اختيار الزوجة الصالحة

قواعد الابتعاد عن الفاحشة

احترام مشاعر الأئمة

إبراز شخصية المرأة

تعرض المرأة كحالة مستضعفة

الحديث عن أسرة النبي وزوجاته

الأحزاب

عرض المرأة كحالة مستضعفة

خاطر

الفتح

عرض المرأة كحالة مستضعفة

الحجرات

المجادلة

أحكام الظهار مع المرأة

الممتحنة

أحكام في مبايعة النساء للرسول

الطلاق

التحريم

النكوير

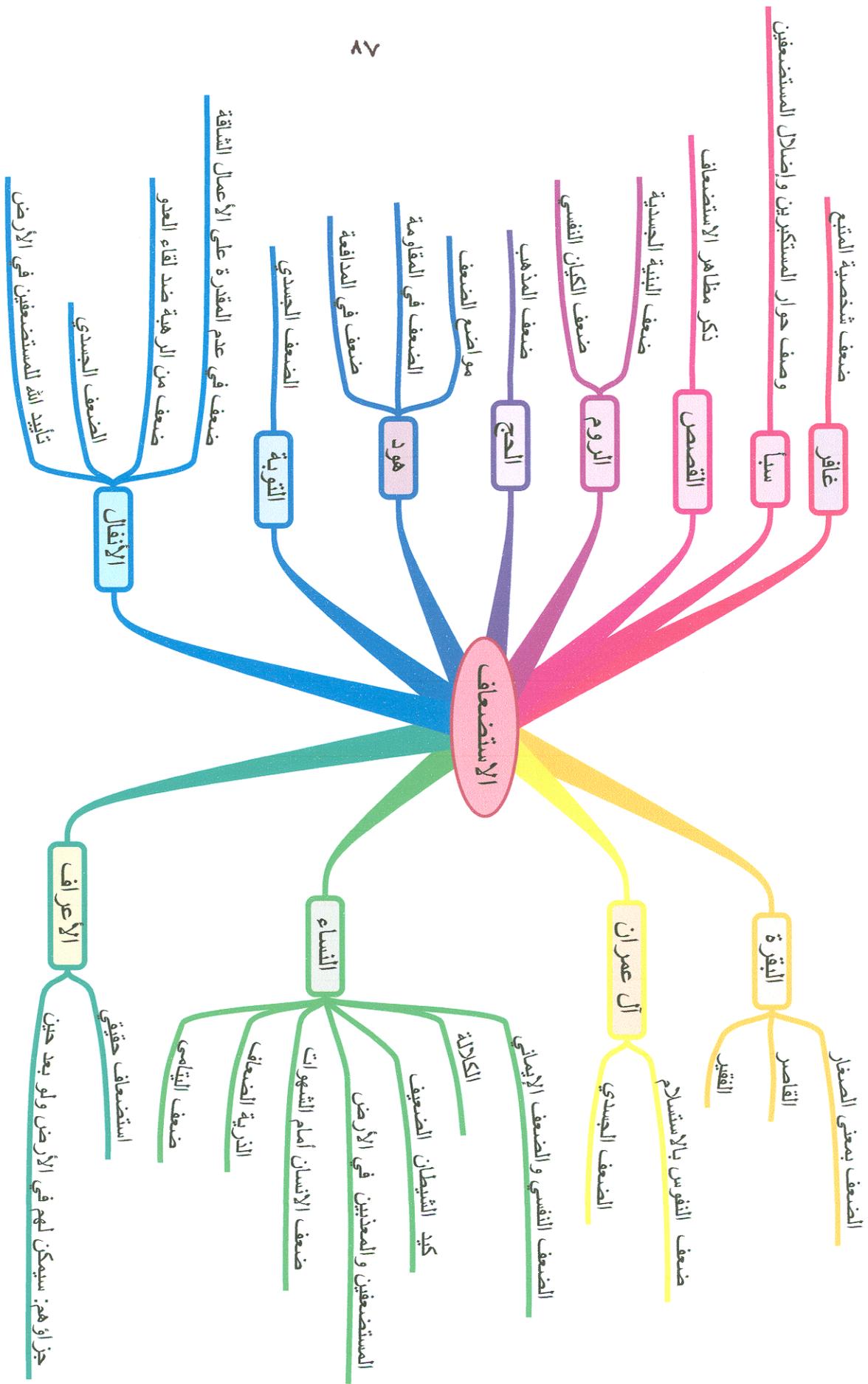
البروج

دور المرأة في الدعوة الإسلامية

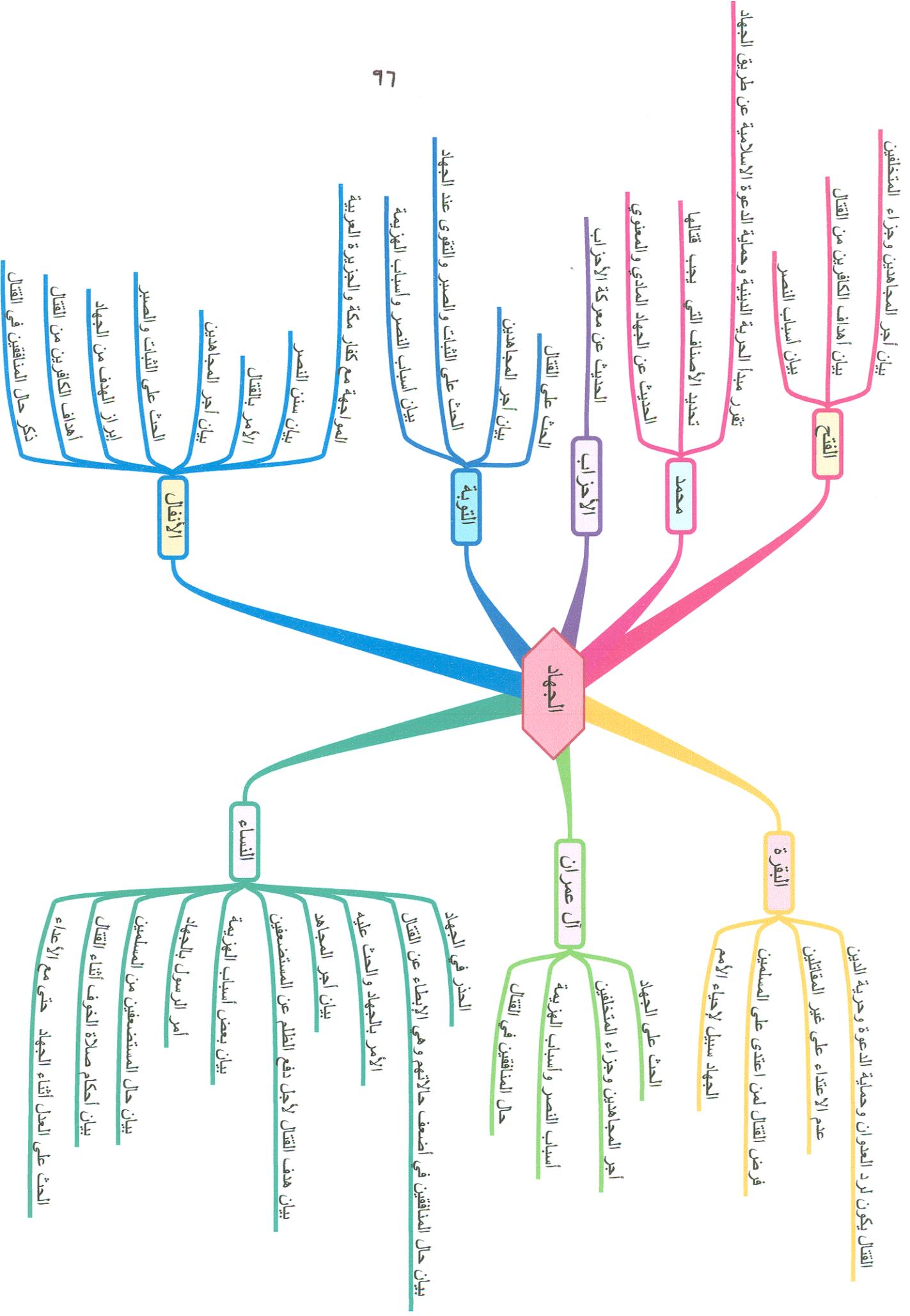
3

مخطط رقم 4

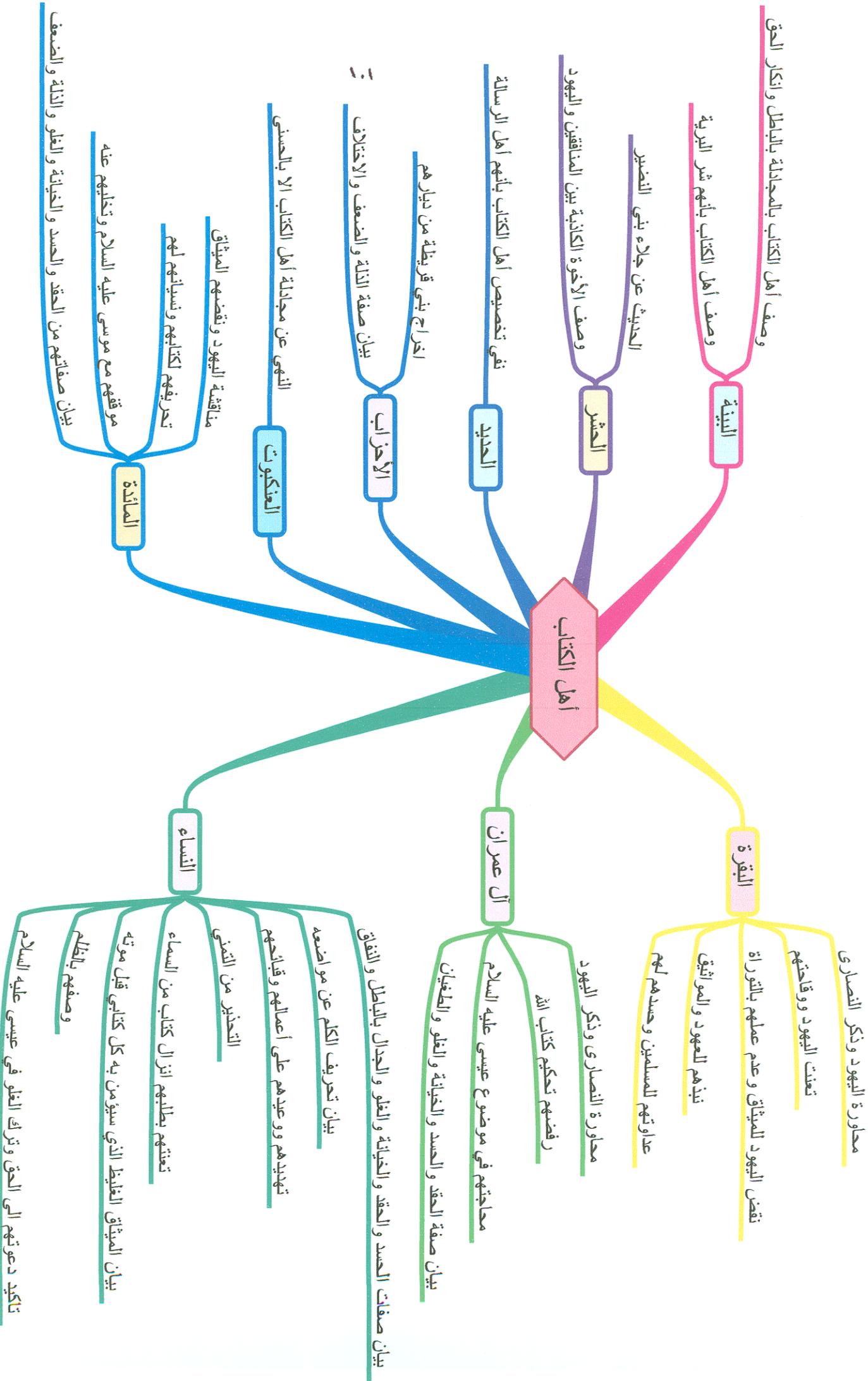
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن النساء



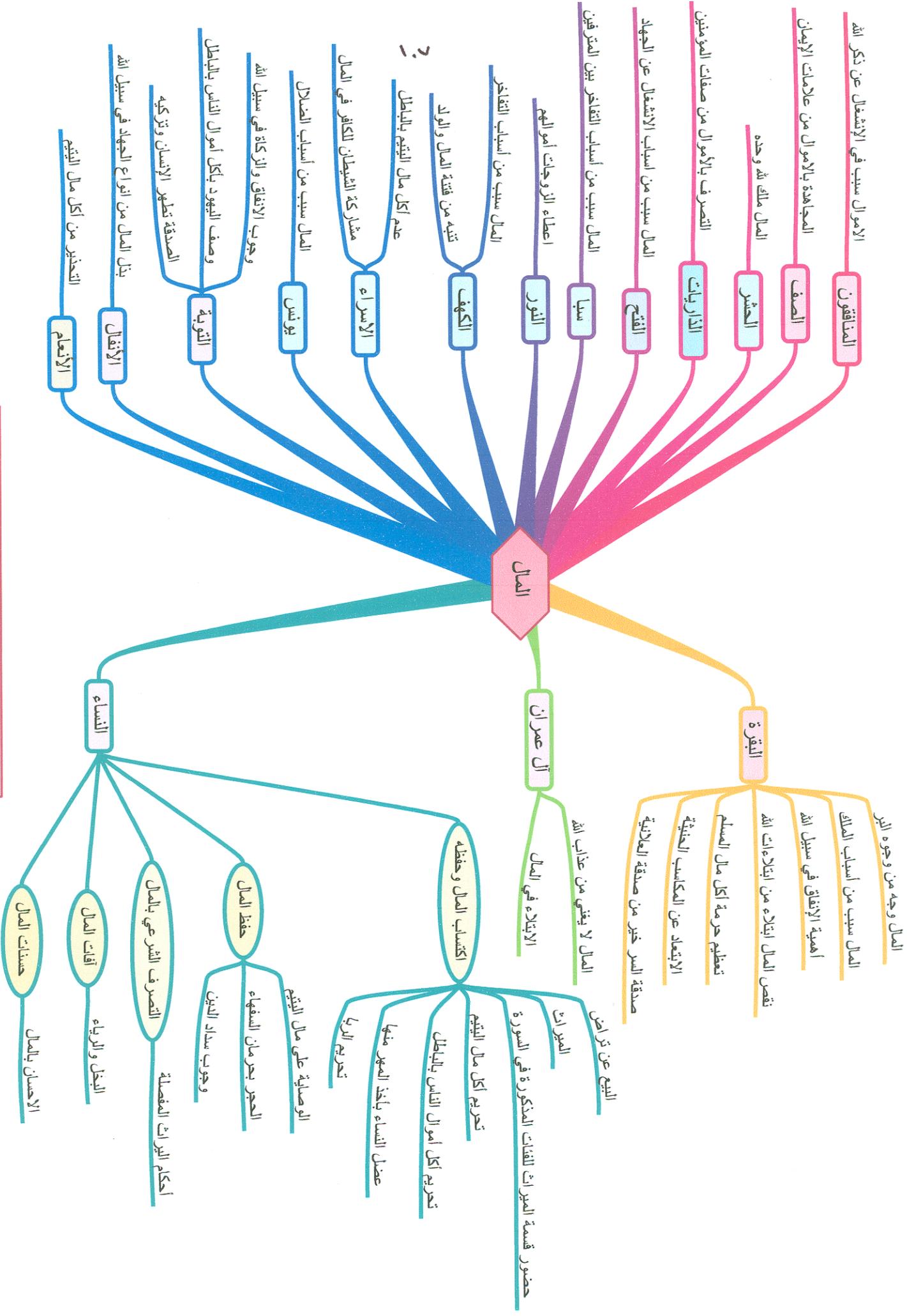
مخطط رقم 5
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن الاستضعاف



مخطط رقم 6
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن الجهاد



مخطط رقم 7
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن أهل الكتاب



مخطط رقم 8
علاقة سورة النساء بغيرها في الحديث عن المال

خصائص المنافقين والتي عن الجهر باسمه (136-149)

اصحاب الكافرين وجزاؤهم (150-152)

احوال بني اسرائيل (153-162)

الرسول والحكمة من ارسلهم (163-166)

جزاء الكافرين ونهي أهل الكتاب من الغلو بعيسى (167-173)

ثواب المهتدين (174-175)

ميراث الكلاية (176)

احوال الناس وجزاؤهم (136-176)

سورة النساء
تنظيم المجتمع
ورعاية المستضعفين

الامر بالقسط وحفظ الشائكة القضائية (105-135)

الامر بالعدل والقسط (105-113)

زلات اللسان وخطر الشرك (114-121)

جزاء العمل الصالح (122-126)

النساء والأسرة (127-130)

توحيد الله والامر بالقسط (131-135)

الحث على الجهاد وفضل المجاهدين والهجرة الى دار الاسلام (94-100)

قصر الصلاة وصلاة الخوف (101-104)

الحث على الجهاد (90-104)
وعلاقة الهجرة بالتحرك والقتال

وحدة النوع الانساني ومقتضيات التقوى (1-10)

وحدة الاصل الانساني (1)

القيامي، تعدد الزوجات، السهور (2-6)

المواريث، اكل مال اليتيم (7-10)

التوزيع المالي للأسرة (11-35)
والحقوق المتعلقة به وحفظ الأعراض

احكام المواريث وحفظ الأعراض والتوبة (11-18)

حقوق النساء ومحارمهن وزواج الحر بالامة (19-25)

من نعم الله اليسر في التشريعات الالهية (26-28)

حرمة أموال المسلمين وانفسهم (29-30)

ثواب تجنب الكبائر والتي عن التمني (31-35)

احكام الأسرة (36)

ثم الجلاء والمراتب وعلل الله ووعده (37-42)

من شروط الصلاة (43)

من قبائح اليهود والنصارى والعقاب (44-57)

اداء الأمانة والحكم بالعدل (58-59)

مزامع المنافقين ومواقفهم (60-68)

منزلة وثواب الطائعين (69-70)

قواعد الجهاد وموقف المنافقين منه (71-84)

التفاحة الحسنة والسبئية ورد التحية (85-86)

كيفية معاملة المنافقين / قانون التعامل الدولي (87-91)

القتل الخطأ والعمد (92-93)

الحرص على السلام والتثبت في الأحكام (94)

أساس الحكم والعدل والأمانة (58-94)

مخطط رقم 9

موضوعات سورة النساء

